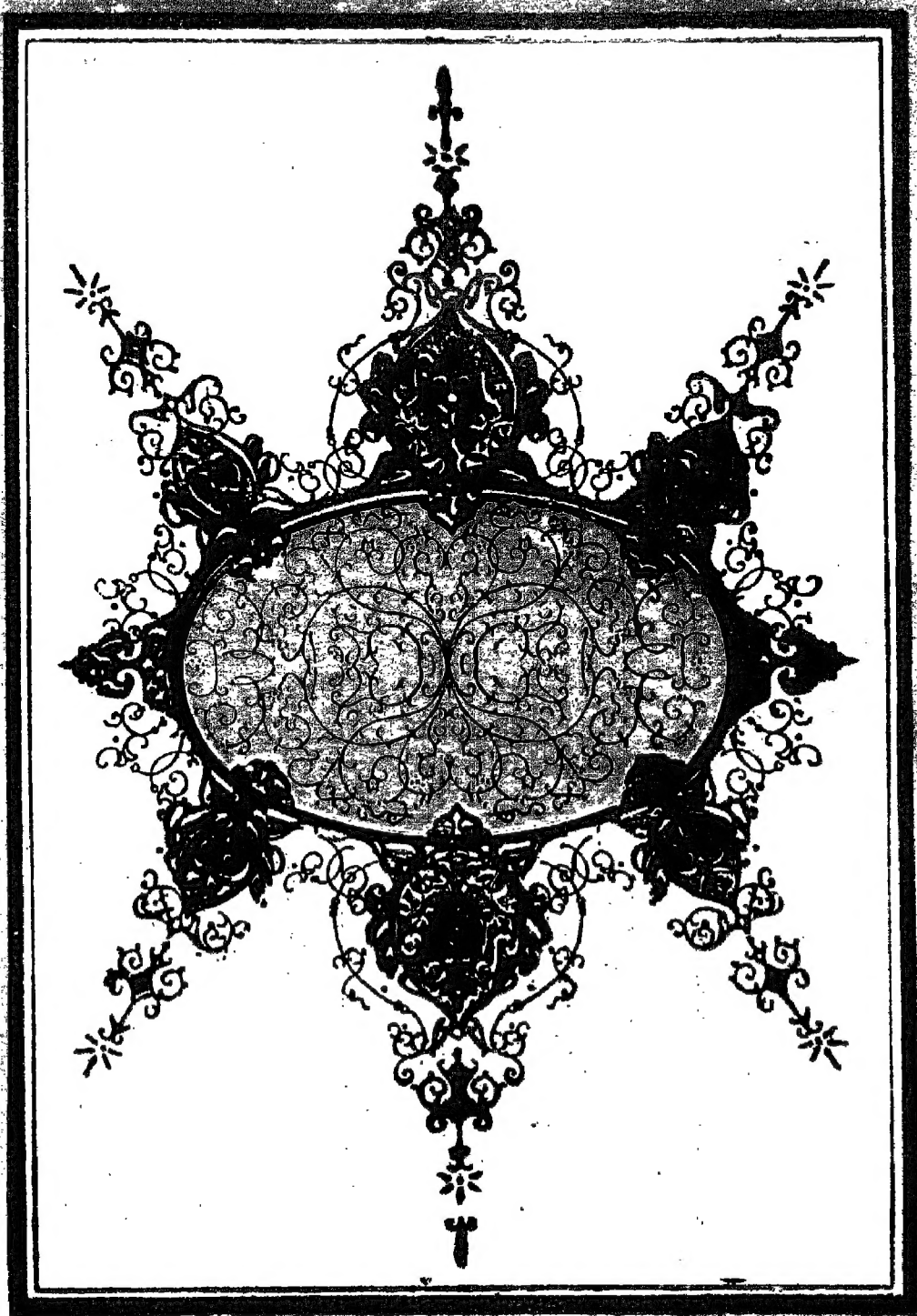


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الخامس والثلاثون
ربيع الآخر ١٣٩٥ هـ
مايو ١٩٧٥ م



مجمع اللغة العربية
٢٦ شارع الدكتور
(مراد سابقاً) بالجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الخامس والثلاثون
ربيع الآخر ١٣٩٥هـ - مايو ١٩٧٥م

المشرف على المجلة:
د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:
إبراهيم الترش

الفهرس

- | | |
|---------------------------------|---|
| • قول في السجو | • تقدير : |
| • الاستاذ محمد شوقي أمين | • صيغة الجمع |
| ص ٦٦ | • للدكتور ابراهيم أنيس |
| • مفهوم الجوال في اللغة العربية | ص ٧ |
| • للدكتور عثمان أمين | |
| ص ٧١ | |
| • المقايير عبد العرب | |
| • للدكتور عبد العظيم حنفي صابر | |
| ص ٨١ | |
| • التأريخ للربية | |
| • للدكتور محمد سالم الجرج | |
| ص ٩٠ | |
| • ألفاظ العلم الطبيعي | |
| • للدكتور جلال شوقي | |
| ص ١١١ | |
| • الصراع بين القراء والنجاة (٣) | |
| • للدكتور احمد علم الدين الجندى | |
| ص ١١٨ | |
| | • بحوث ومقالات |
| | • الثقافة العربية اليوم وغداً (١) |
| | • للدكتور ابراهيم مذكور |
| | ص ١٨ |
| | • القول في « ما » الزائدة |
| | • للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج |
| | ص ٢٣ |
| | • الإنسان العربي في القرن الخامس عشر الهجرى |
| | • للدكتور عبد الحليم منتصر |
| | ص ٣٢ |
| | • من إنجاز الحذف في القرآن |
| | • للدكتور احمد الخوقي |
| | ص ٣٩ |
| | • تحقيق لسان العرب (٥) |
| | • للاستاذ عبد السلام هارون |
| | ص ٤٢ |



تعريف ونقد

• الدكتور محمد يوسف حسن

• شرح مقالات الحريري

• الدكتور محمود مختار

تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

كلمة الدكتور محمد مهدي علام في استقبال

تعريف ونقد :

الأستاذ بدر الدين أبو غازي

الأستاذ محمد عبد الفتى حسن

ص ١٤٩

ص ١٣٨

كلمة الأستاذ بدر الدين أبو غازي

شخصيات مجمعية

ص ١٠٤

كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر في استقبال :

أعضاء جدد :

• الدكتور محمد يوسف حسن

استقبال دائرة أعضاء جدد وهم :

• والدكتور محمود مختار

• الأستاذ بدر الدين أبو غازي

ص ١٠١

• كلمة الدكتور بولاس عياد عن أسرة المرحوم

الدكتور مراد كامل

ص ١٨٣

• رثاء الدكتور طه حنين

للدكتور عبد الله الطيب

ص ١٩٧

من أبناء المجمع

• كلمة الدكتور محمد يوسف حنين

ص ١٦٧

• كلمة الدكتور محمود مختار

ص ١٧٤

اعضاء راحلون

• كلمة الدكتور عثمان أمين في تأبين المرحوم :

الدكتور مراد كامل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَطْدِير

صِفَةُ الْجَمْعِ : "فُعْلَان" مَثَلُ فُعْلَان
لِلدَّكْتُورِ اِبْرَاهِيمِ اَنْنِيس

الانكسار العربية التي جاءت على هاتين الصورتين قد سببت بعض الحيرة
للعلماء العربية فقد حاولوا في كتبهم أن يضعوا قاعدة لها ، فجاءت
قاعدتهم في نهاية الجهد عرجاء لا تفسر الحكمة في أن عدداً من صور المفرد التي لا يمت
بعضها إلى بعض من حيث البنية بأي صلة ، قد جمعت على « فعلان » بكسر الأول ،
وأن عدداً آخر من صور المفرد قد جمعت على « فعلان » بضم الأول ١١

جموع

فأي صلة بين بنية المفردات ، « غراب . صرد . حوت . تاج » حتى يمكن أن يقال
إنها تجمع قياسياً أو باطراد على « فعلان » بكسر الأول ؟ وأي صلة بين بنية المفردات
« بطن . ذكر . قضيب » حتى يمكن أن يقال إنها تجمع قياسياً على « فعلان » بضم

الأول ١٢

ومن عجيب أمر هؤلاء العلماء أنهم إذا وجدوا في اللغة أمثال :
[« غزلان » جمعا لغزال : وخرفان » جمعا لخروف و « نسوان » جمعا لنسوة ،
« ركبان » جمعا لراكب ، « سودان » جمعا لأسود] قالوا : إن كل ذلك من المسبوعات
القليلة أو النادرة ١١

هم يتصورون إذن أن الجمع « فعلان » بصورتيه ، مطرد في سبع صيغ ومسبوع
في خمس صيغ من صيغ المفرد ١٢ فأى جمع هذا ١٢ وأى لغة مستقيمة يمكن أن تتضمن
مثل هذا النظام الذي زعموه ١٢

فإذا حاولنا أن نضع فرضا معقولا في تأصيل هذا الجمع ، قلنا : إن أمثله العربية ،
لا تعدو أن تكون جموعا على طريقة اللغة الحبشية في جمع المفرد المذكور بإلحاق الألف
والنون ١٢ ولذلك نفترض أن الجمع « فعلان » بصورتيه ، صيغة غريبة على العربية
الشامية المألوفة لنا . وقد جاءت هذه الصيغة على حسب الجمع في اللغة الحبشية ، ربما عن
طريق العربية القديمة في جنوب شبه الجزيرة ، وذلك بأن ألحقت الألف والنون بالجمع
العربية التي على الصور [فَعْلَل مثل خرس ، فَعُول مثل بطون ، فَعْلَل مثل غدر ،
فَعْلَلَة مثل إخوة] في السكثرة الغالبة من الأمثلة المروية في اللغة .

والجمع بإلحاق الألف والنون كثير الشيع جدا في اللغة الحبشية ، وربما كان أيضا
في العربية الجنوبية التي كانت سائدة في اليمن القديمة .

لماذا إذن لا نفترض أن السكثرة النالبة من الأمثلة التي رويت في معاجنا العربية
على « فعلان » بكسر الأول أو ضمّه ، لا تعدو أن تكون في الأصل جموعا عربية مألوفة
ثم جمعت ثانية على طريقة اللغة الحبشية بأن ألحقت بها الألف والنون ، فهي بما يمكن
أن يطلق عليه مصطلح « جمع الجمع » ١١

ولا بد هنا من وقفة قصيرة لنقول شيئا عن ظاهرة جمع الجمع ، التي لم يجد القدماء من
علماء العربية ما يعللونها به سوى أن يقولوا :

[قد تدعو^(١) الحاجة إلى جمع الجمع كما تدعو إلى تثنيته ، فكما يقال في جماعتين من

(١) أشمون ج ٤ ص ١١٢

الجمال « جمالان » كذلك يقال في جماعات وجمالات ، وإذا قصد تكسير المسكن نظر إلى ما يشاكله من الأحاد فينكسر بمثل تكسيده ، كقولهم في « أعبد » أعابد و « أسلحة » أسالحو و « أقوال » أقاويل وقالوا في « مصران » مصارين ، و« غرابان » غرابين وما جاء من الجوع على زنة مفاعل ، مفاعيل ، لم يحزن تكسيده لأنه لا نظير له في الأحاد فيحمل عليه ، ولكنه قد يجمع بالواو والواو كقولهم في « نواكس » نواكسون وفي « أيا من » أيا منون ، أو بالالف والياء كقولهم في « حدائد » حدائدات وفي « صواحب » صواحبات . ومنه الحديث : إنكن أئتن صواحبات يوسف [

ولا يكاد هؤلاء العلماء يحاولون تعليل ظاهرة جمع الجمع أو تسويها .

غير أنا نرى في إشارة منسوبة في لسان العرب للأزهري يعقب بها على ما روى عن سيدييه من أنه كان يعتبر كلمة « مصارين » جمع الجمع . جاء في اللسان : [المصارين جمع المصران جمعته العرب كذلك على توهم النون أنها أصلية] ١١

أى أن « مصران » في رأيه ، اعتبر مفردا عن طريق التوهم ، أو ما نسميه نحن بالقياس الخاطئ ، ثم جمع على مصارين ، وليست مصارين إذن في رأيه من جمع الجمع !! وظاهرة جمع الجمع قد عرفها اللغويون المحدثون في لغات متعددة قديمة وحديثة ، ليست مقصورة على اللغة العربية ، لكي نسمح لبعض القدماء من علماء العربية ، أن يقول : « لأنها من سنن العرب » !!

ويفسر اللغويون المحدثون ظاهرة جمع الجمع على أحد أساسين :

أولها : أن بعض الكلمات التي تتضمن دلالة الجمعية قد يكثر شيوعها جدا ، فتبلى فيها تلك الدلالة أو تضعف تدريجيا ، حتى تصبح في وقت ما وقد اقتضت دلالتها في أذهان معظم الناس على الأفراد ، ويقال حينئذ إنها فقدت فكرة الجمعية ، وأصبحت بحاجة إلى أن تجمع مرة ثانية ، ولتوضيح ذلك يكفي أن نتذكر هذه الكلمات (زناد . برام . كراس . مصران) التي تجرى على ألسنتنا الآن ، ونحسبها من المفردات ، ولكنها في حقيقة أمرها جموع ، ومفرداتها الأصلية هي على الترتيب (زند . برمة . كراسة . مصير) ١

وقد أدى فقدان فكرة الجمعية إلى تكرار الجمع في الكلمة الإنجليزية Children التي هي الآن في أذهان معظم الإنجليز مجرد جمع الكلمة Child وفي الحقيقة أن المفرد Child قد جمع قديما على Childer حين كانت علامة الجمع « Er » ، تم تنويع جمعيتها فجمعت بعد ذلك بطريقة أخرى أو علامة أخرى للجمع هي « En » وهي العلامة التي لا تزال نراها في مثل الكلمة الإنجليزية Oxen فأصبحت كلمتا في نهاية المطاف Children !!

ثانيهما : أن فكرة الجمعية أو دلالة الجمعية في كلمة ما قد لا تكفي ، أو لا تقنع المتكلم ، فيعتمد إلى تقويتها رغبة في المبالغة ، أو التهويل ، بأن يجمعها مرة ثانية ، ويبدو أن هذه هي الحال التي سيطرت على ذهن علماء العربية بين القدماء حين تحدثوا عن جمع الكلمة مرة ثانية ، وسموا ذلك جمع الجمع . فهم يتصورون في جمع الجمع أنه يفيد عددا من الآحاد أو الأفراد أكثر مما يفيد الجمع الأول الأصلي .

وبما شجع على جمع الجمع في العربية ، ولا سيما فيما سموه بتكسير المكسّر ، أن في العربية بعض الصيغ التي يكثر ورودها مع بعض المفردات ومع بعض جموع التكسير في وقت واحد ، مثل « فُعُول » الكثيرة الشيوع في مصدر الفعل الثلاثي اللازم المفتوح العين أمثال : نزول . خروج . دخول . وهي أيضا كثيرة جدا في جمع الاسم الثلاثي أمثال : قبور . قرون . قصور .

وكذلك الشأن مع الصورة الأصلية للاسم الثلاثي حين يكون مضموم الفاء ساكن العين مثل : جرح . قطر . حلم . فهذه الصيغة كثيرة الشيوع أيضا ومطرودة في جمع الألوان وذوى العاهات ، أمثال : حمر . زرق . عرج . صم . بكم .

وربما كانت كذلك صورة الاسم الثلاثي المضمومة الفاء والعين ، والكثيرة الشيوع في القرآن الكريم ، إذ ورد فيه من هذه الصورة ١٧ مثلا هي :

(أفق . أكل . حلم . ثلث . دبر . ربع . زبر . سدس . شغل . عنق . هزؤ
أذن . نسك . ظفر . عمر . قدس . نصب) .

وقد جاءت هذه الصورة « فُعُول » مطرودة بين جموع التكسير في أمثال : قَضُب (جمع

قضيبي (، مُعمِد (جمع عمود) ، مُحمِر (جمع حمار) مُقْدَل (جمع قذال) صُبْر (جمع صبور) الخ .

وأخيراً صيغة « فِعْلة » ، مثل فْتية ، صبية ، وهي الصيغة التي تشكك بعض القدماء في أنها صيغة للجمع ، ووصفوها بأنها لم تطرد في شيء وإنما سمعت في ألفاظ ، ولذلك قالوا عنها إنها اسم جمع ، وليست من صيغ الجمع !! هي إذن أكثر قبولاً لأن تجمع ثمانية من غيرها من صيغ جرع التكسير الأخرى أمثال : مُعُول ، مُعْمِل ، مُفْعِل ، التي أشرنا إليها آنفاً .

وهكذا ترى أن الصيغ (مُفْعُول ، مُفْعِل ، مُفْعِل ، فِعْلة) حين عبرت عن دلالة الجمعية قد شجعت على أن يعاد جمعها مرة ثانية ، وأن تصبح بما يسمى جمع الجمع .
ويبدو أن هذا هو الذي حدث في صيغة (فعْلان) بصورتها ، فأمثلتها العربية ، لا تعدو أن تكون في الأصل جموع تكسير على الصور الآتية الذكر ، ثم ألحقت بها الألف والنون لتقوية دلالة الجمعية فيها أو للبالغة ، وكان ذلك اتباعاً لطريقة الجمع الشائعة جداً في اللغة الحبشية — ونفترض لذلك أن العربية قد اقتضت علامة الجمع في اللغة الحبشية ، وربما كان هذا الاقتراض عن طريق العربية القديمة في جنوب شبه الجزيرة فألحقت الألف والنون ببعض الأمثلة المجموعة أصلاً على الأوزان (مُفْعُول ، مُفْعِل ، مُفْعِل فِعْلة) .

وقد أحصينا في استقراء سريع من معاجمنا القديمة أكثر من أربعين مثلاً جاءت على (فعْلان) بصورتها ، ولم نجد بينها ما يتطلب تفسيراً خاصاً سوى ثمانية أمثلة هي :
ذوبان . خرفان . حملان . ميدان . جرذان . صردان . رهبان . صنوان .

وقد ورد في القرآن الكريم نحو عشرة أمثلة ليس بينها ما يتطلب تفسيراً خاصاً سوى مثلين هما : رهبان ، صنوان . وأما من حيث (رهبان) فقد اعتبرها بعض اللغويين مفرداً — جاء في اللسان ما نصه : (وقد يكون الرهبان واحداً وجمعاً ، فمن جعله واحداً جعله على بناء فعْلان ، أنشد ابن الأعرابي :

لو كَلَّمْتِ رهبانَ ديرٍ في القُلالِ لا تحدرُ الرهبانُ يسعى فنزلُ

وأما من حيث « صنوان » ، فيمكن أن يقال إنها جاءت قياسا على « إخوان » لأن المفرد (صنو) يتحد في الدلالة مع المفرد (أخ) ، أى أن الجمع (صنوان) قد نشأ دون المرور بمرحلة (فَعْلَة) كما في « إخوة » لأن الصنو ، يؤنث على صنوة .

وأما سائر الأمثلة الأخرى التي تتطلب تفسيراً خاصاً فنؤثر هنا أن نمر بها مرورا ودون أن نحاول تفسيرها بأكثر من أنها ربما تكون قد جمعت على هذه الصورة قياسا على أمثلة أخرى تشبهها ، وإن كنا نجعل المقيس عليه في معظم تلك الحالات ؛ لجهلنا بتاريخ نشأة الكلمات في أغلب الأحيان . فثلا يمكن أن يقال : إن الجمع (مُعْلان) قد جاء قياسا على الجمع (ذُكران)

ويعني هنا ، قبل تفسير القلة من الأمثلة المروية في اللغة ، أن نصف القاعدة التي خضعت لها الكثرة من الأمثلة ، وهي تجاوز الثلاثين مثلاً . ونبدأ هذا الوصف بأن نقرر أن إلحاق الألف والنون بالصيغة (فَعْلَة) يأتي لنا بالجمع (فُعْلان) المكسور الأول ، وإلحاقهما بالصيغ (فَعُول ، فَعْل ، فَعْل) يأتي لنا بالجمع (فُعْلان) المضموم الأول . فحركة « الفاء » في الجمع الأصلية هي التي تحدد حركة « الفاء » في الجمع (فُعْلان) ، كما نقرر أيضا أن العربية في إلحاق الألف والنون ببعض أمثلتها قد تحاشت ، فيما يبدو ، اللبس بالثنى ولذلك مالت إلى تسكين الوسط مع صيغتي (فُعُول ، فَعْل)

نسوق بعد هذا الأمثلة المروية في المعاجم القديمة ، والتي خضعت للقاعدة التي نفترضها في تفسير الجمع المختتم بالألف والنون :

أولا : وزن (فُعْلان) بكسر الأول . وأمثلة هذا الوزن في الكثرة الغالبة ، مما ورد منها في اللغة ، لا تعدو أن تكون في أصلها جموعا على صيغة (فَعْلَة) ثم جمعت ثانية بأن ألحقت بها الألف والنون :

- | | | | | |
|----------|---|---------|---|----------|
| ١ - شيخ | ← | شَيْخَة | ← | شَيْخَان |
| ٢ - فقي | ← | فَقِيَة | ← | فَقِيَان |
| ٣ - صبي | ← | صَبِيَة | ← | صَبِيَان |
| ٤ - غلام | ← | غَلَمَة | ← | غَلَمَان |

- ٥ - غزال ← غزلة ← غزلان
 ٦ - شجاع ← شجعة ← شجعان (المضموم الأول أكثر شهرة)
 ٧ - أخ ← إخوة ← إخوان
 ٨ - جار ← جيرة ← جيران
 ٩ - نار ← نيرة ← نيران
 ١٠ - قاع ← قيعة ← قيعان
 ١١ - ثور ← ثيرة (قال المبرد جمعوه على فِعْلة ثم حركوا الياء) ← ثيران .
 ومن المؤكد أن أمثال (باب ببيان ، تاج تيجان ، كوز كيزان ، حوت حيتان ،
 نسوة نسوان) قد جاءت قياسا على بعض الأمثلة الآتية الذكر ، أو أنها فقدت إحدى
 المراحل الثلاث (مفرد ← فِعْلة ، فعلان)

ثانيا : وزن (فعلان) بضم الأول ، وأمثلة هذا الوزن في الكثرة الغالبة بما ورد
 منها في اللغة ، لا تبدو أن تكون في أصلها جموعا على إحدى الصيغ (فُعْعل ، فُعْعل ،
 فُعْعل) ، ثم جمعت ثانية بأن ألحقت بها الألف والنون :

- ١ - فُعْعل + ان = فُعْعلان . واشتهر ذلك فيما يعبر عن الألوان والعاهات ،
 ١ - أسود ← سُود ← سُودان
 ٢ - أبيض ← بِيض ← بِيضان (كسر الأول طارىء بسبب الياء)
 ٣ - أعمى ← عَمى ← عَميان
 ٤ - أبكم ← بَكَم ← بَكمان
 ٦ - أصم ← صَم ← صَممان
 ٦ - أخرس ← خَرَس ← خَرسان
 ٧ - أعرج ← عَرَج ← عَرجان
 ٨ - ولد ← وَلَدَ ← وَلدان

(ب) فُعْعل + ان = فُعْعلان (بعد تسكين الوسط لئلا يلتبس بالثنى)

- ١ - غدير ← غَدَر ← غَدِيران

- ٢ - جدار ← جدر ← جذران
 ٣ - قضيب ← قضب ← قضبان
 ٤ - رغيف ← رغف ← رغفان
 ٥ - عبد ← عبْد ← عبدان
 ٦ - صليب ← صُلْب ← صلبان

(ح) مفعول + ان = 'فعالان (بعد تسكين الوسط لئلا يلتبس بالمتنى)

- ١ - بطن ← بطون ← بطنان
 ٢ - ظهر ← ظهور ← ظهران
 ٣ - راكب (أوركب) ← ركوب ← ركبان
 ٤ - ذكر ← ذكور ← ذكران
 ٥ - ضيف ← ضيوف ← ضيفان (كسر الأول طارىء بسبب الياء)

ومع أن المستشرقين يشيرون في كتبهم إلى أن إلحاق الألف والنون في اللغة الحبشية علامة للجمع المذكر الصحيح ، ويقررون أنه قد وجدت له بعض الآثار في اللغتين الأكادية والسريانية . وبرغم ذلك إذا عرضوا لجمع التكسير في اللغة العربية يعتبرون إلحاق الألف والنون من علامات جمع التكسير فيها (١) ١٩

ومن كل ما تقدم نرى أن الصيغة (فعالان) بصورتها بما يسمى بجمع الجمع . وأنها في الأصل جمع على إحدى الصيغ (فَعْلَة ، فَعْل ، مَفْعُل ، مَفْعُول) ، ثم جمعت ثانياً على طريقة اللغة الحبشية بأن ألحقت بها الألف والنون .

وفي الحق أن بعض علمائنا القدماء قد اعتبروا بعض أمثله (فعالان) : ما يسمى بجمع الجمع . جاء في اللسان : (والجدار : الحائط والجمع جدر ، وجدران جمع الجمع) .

(١) S. Moscati : an introduction to the Comparative grammar of the semitic Languages . p . ٨٨ .

وليس اقتراض علامة الجمع من لغة أخرى أمراً فريداً ، أولاً نظير له بين اللغات ، فقد اقترضت الفارسية علامة جمع المؤنث السالم من العربية (ا ت) وجمعت عليها بعض الكلمات الفارسية الأصل مثل (باغ) بمعنى حديقة جمعت على (باغات) بمعنى حدائق . وكثيراً ما اقترضت الإنجليزية علامة الجمع اللاتينية فقالت مثلاً فى جمع (formulae ، formula) . وإذا كان قد تم اقتراض علامة الجمع بين لغتين من فصيلتين مختلفتين كالعربية والفارسية فلا غرابة أن يتم ذلك بين لغتين ساميتين هما الآرية والحبشية .

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة

ابراهيم انيسى





الثقافة العربية اليوم وغدا

نسأتمها ونطورها
للدكتور ابراهيم مذكور

ومنذ القرن الرابع عشر طغت على العالم العربي موجة غاشمة من القهر والغلبة ، وظلمة قاتمة ضاق فيها الفكر والأفق ، وعاش الناس في ماضيهم يرددونه ويحاكونه ، وربما عز عليهم فهمه وإدراكه . وكثيرا ما رددت تلك العبارة المشهورة : « ما ترك الأول للآخر شيئا » ، فأجذبت العقول ، وكثر المحرم ، وقل المباح . وعطلت المصانع والمعامل ، وأغلق كثير من معاهد العلم الكبرى ، ولم يبق منها إلا الأزهر في القاهرة ، والزيتونة في تونس ، والقرويين في مراکش . وما بقي ظل يدور حول نفسه ، يلخص الحقائق العلمية في « متون » ، ثم يوضح هذه المتون في « شروح » ، وقد يفسر الشروح في « حواش » و « تقارير » ، وكل ذلك أخذ عن السابقين . دراسات في الغالب رتيبة غير متنوعة ، جامدة غير متحركة ، مقلدة غير مبتكرة ، لفظية غير موضوعية . وفي اختصار : كانت الحياة الثقافية ضيقة النطاق ، مقصورة على طائفة محدودة تعيش في الماضي ، ولا تعبأ بالحاضر ، تنكر التطور

١ - الحياة الثقافية في مجتمع ما ولادة وعى وبقظة ، وثمرة انطلاق وحرية . ولا شك في أن الإسلام بعث في العالم العربي وعيا نشيطا خلافا وأسبغ عليه نعمة شاملة ، وحرية كاملة ، فتفجرت فيه عبقریات استطاعت أن تقيم حضارة لها شأنها بين الحضارات الإنسانية الكبرى . وفيما بين القرنين السابع والرابع عشر الميلاديين تنافس العرب والمسلمون جميعا في ميدان الثقافة ، فأنجزوا ما أنجزوا ، وأنتجوا ما أنتجوا في نواح شتى : في الأدب والفن ، في العلم والفلسفة ، في العمران والحضارة ، في الصناعة والتجارة واسترعى إنتاجهم الأنظار ، وبهرأوروباني القرون الوسطى ، وأخذت تنهل من حياضه وتحاكيه . ولم يبق شك اليوم في أن العلم والفلسفة لدى اللاتين مدينان للعلم والفلسفة العربيين ، وأن الازدهار الفكري في باريس وأكسفورد إبان القرن الثالث عشر إنما كان صدى لما سبقه من ازدهار في بغداد وقرطبة ، وقد مهد ذلك كله للنهضة الأوروبية الحديثة .

والتقدم ، ولا تشعر بحاجة إلى تجديد أو ابتكار .

* * *

٢ - وفي القرن التاسع عشر بدأت تهب على العالم العربي نسمة جديدة من اليقظة والحرية وظهرت بوادرها في مصر أولاً ، ثم امتد صداها شيئاً فشيئاً إلى بلاد عربية أخرى . وأخذ العرب يحسون بوجودهم ، ويشعرون مرة أخرى بأنفسهم . ففكروا في استقلال ، ونظروا في تفكير غيرهم . ولا شك في أن الحملة الفرنسية كانت القوس الأول الذي انبعثت منه حركة البحث والتجديد ، فقد اصطحب نابليون معه أربعين من كبار العلماء جاسوا خلال الدار ، ووصفوا طيور مصر وحيواناتها ، وحلّلوا تربتها ، وكشفوا عن معادنها وصخورها ، ورسموا معالم اقتصادها . وأخرجوا ذلك الكتاب القيم Description de l'Egypte وأسسوا معهداً لا يزال قائماً إلى اليوم ، وهو : L'Institut d'Egypte الذي حرص نابليون على أن يرأسه بنفسه . وتلك حركة استقلالية ردت إلى مصر اعتبارها ، ودفعها لأن تتسلح بسلاح العلم الحديث . وتزعم محمد علي طوال أربعين سنة حركة علمية وحضارية فسيحة ، فأنشأ مدارس الطب والهندسة والصيدلة إلى جانب المدارس الحربية . وأوفد إلى أوروبا وفرنسا خاصة بعثات متلاحقة ، وكانت أولها (١٨٢٦) مكونة من ٤٠ طالباً قصدوا باريس لدراسة الرياضيات والهندسة والطب والعلوم الصناعية . وأنشئ عدد من المدارس الابتدائية والثانوية . وأقيمت مشروعات كبرى كالقناطر الخيرية ، ونظم الري والصرف ، وشق بعض الدرع

والرياحات . إلا أن أبناء محمد علي لم يسيروا على نهجه تماماً ، فأغلقت المدارس العليا ، وتوقفت البعثات الطلابية إلى أوروبا . ويظهر أنهم عنوا خاصة بالنواحي الحضارية والعمرانية ، فشيّدوا القصور الفخمة ، ودار الأوبرا ، وأنشأوا السكك الحديدية والبريد والبرق .

ونود أن نشير إلى أمرين آخرين كان لهما شأنهما في هذه الحركة الثقافية ، وأولهما : دعوة العلماء والخبراء الأجانب ، والاستعانة بهم في النروض والتجديد ، في العلم والصناعة والعمران . ومنهم جماعة وضعت اللجنة الأولى في بيان النهضة المصرية الحديثة . وعول محمد علي في مدارس مصر ومصانع على الأساتذة والخبراء الفرنسيين ، وطبعت الحياة الثقافية المصرية بطابع فرنسي واضح استمر حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويضاف إلى هذا ثانياً السماح بإنشاء مدارس أجنبية دينية كانت أو مدنية . ولم تقتصر هذه المدارس على تعليم أبناء الجاليات الأجنبية ، بل فتحت أبوابها أيضاً لأبناء المصريين ، وعززت تعليم اللغات الأجنبية بين فرنسية وإيطالية ، إنجليزية وألمانية . ونشئ فيها عدد غير قليل ممن تولوا القيادة الفكرية والسياسية في القرن العشرين . والواقع أن الأوروبيين حظوا في مصر إبان النصف الثاني من القرن الماضي بمزايا لم يحظ بها الوطنيون أنفسهم . فوقف عليهم أحياء خاصة في بعض المدن الكبرى ، وعوملوا معاملة كلها رعاية وتقدير ، ونعموا بامتيازات لم تخل من ظلم للمواطنين ، ولا نظير لها في بلادهم الأصلية . وبلغ عددهم أحياناً نسبة ملحوظة ، ويكفي أن

نشير إلى أن هذه النسبة صعدت في الإسكندرية إلى نحو ١٠ السكان أيام الخديو إسماعيل . وفى هذا الاختلاط والاتصال ما سمح بتبادل ثقافات وتجارب وخبرات متعددة .

واسمطاعت مصر أن تكون رائدة ، وسيبدو أثر ريادتها في القرن العشرين على شكل أوضح ، وقل أن نجد بلدا عربيا لم يبعث إليها ببعض أبنائه لينهلوا من حياضها ، ويقفوا على مظاهر نهضتها ، وكان الأزهر من قديم قبله طلاب العلم من البلاد الإسلامية عامة . وحرصت البلاد العربية ، إن أتيحت لها فرصة ، على أن تحاكي مصر ، وأن تحذو حذوها . وأفاد بعضها من المدارس الأجنبية ، وإن تأثر بشيء من ميولها واتجاهاتها . ولبنان ، وهو نسبيا أكثر حظا من هذه المدارس ، مدين خاصة لمعدين كبيرين : هما الجامعة الأمريكية والجامعة اليسوعية . وهذان المعدان من غرس القرن التاسع عشر ، ولم يخلوا من أهداف دينية ، وقد بدأ في صورة مدرستين ثانويتين ، وإليهما يرجع الفضل على كل حال في حركة لبنان الثقافية المبكرة . ولبنان في حاجة أن نشير إلى أن الاستعمار في الجلالة لم يشجع التعليم العالي ولا المتخصص ، واكتفى بتخريج كتاب وسكرتاريين . وكان لابد للبلاد العربية أن تعزز استقلالها ، لكي تستطيع أن ترسم بنفسها وسائل نهوضها وتقدمها ، وتفاوتها ثقافيا يرجع في قدر كبير منه إلى الزمن ؛ فأقدمها عهدا بالاستقلال أرسنها قدما في ميدان العلم والثقافة .

٣ - والقرن العشرون هو البدء الحقيقي

للنهضة الثقافية العربية المعاصرة ، لأنه قرن التحرر والاستقلال ، قرن الازدهار الاقتصادي والرخاء . ولا سبيل إلى نهضة ثقافية بدون إمكانيات تعدلها وتيسر وسائلها ، وهو أخيرا قرن التحدى والمنافسة . وإذا كانت الحربان العالميتان اللتان بلى بهما هذا القرن قد غديتا الشعور القومى في العالم العربى ، فإنهما عانتا وسائل نهوضه وتقدمه ، وتلتهمها حروب إسرائيل التي لم تعرف نهايتها بعد ، وحروب الاستقلال في الجزائر ، وحروب الأكراد في العراق ، والحرب الأهلية الوحشية في لبنان . وقد أنفق فيها جميعها ما أنفق من أموال وأرواح ، وعوقت دون نزاع سير التجديد والإصلاح . وبرغم هذا كله حاول من بلوا بها ما وسعهم أن يلائموا بين متطلبات السلم ومقتضيات الحرب ، ولو قدر لهم أن يسلموا من هذه الويلات لكان سيرهم في طريق النهوض والتجديد أكل وأسرع . ولا تخلو الشدائد من دروس تليها ، فهي تكشف عن مواطن الضعف والنقص ، وتعين على وضوح الرؤية ، وتستحث الهمم ، وتضفى النفوش . وتدعو إلى جمع الكلمة . وكل تلك دروس ما كان أحوج العالم العربى إليها ، ونعتقد أنه أفاد منها ، ويعز عليه أن يذساها ، ونأمل أن يعمل دائما في ضوئها .

وقد انضجت معالم النهضة في القرن العشرين ، وتحددت أهدافها ، واتسعت آفاقها . ويراد بها أن تكون نهضة عربية أولا تعبر عن العالم العربى في آماله وآلامه ، تحكى واقعة ، وتصور شخصيته ، وتحفظ للثقافة العربية بمكان لائق بين الثقافات العالمية . وفى فجر هذا القرن كانت

شوطاً بعيداً ، فعرّبت الكتاب والمدرس ، واستكملت وسائل التعريب في العلوم والفنون على اختلافها . ولم تقف عند المدرسة الثانوية ، بل جاوزتها إلى التعليم العالي والجامعي ، وعرّبت منه قدراً غير قليل ، والثنية معقودة على تعريبه جميعه . وتعريب التعليم اليوم من القضايا التي تشغل العالم العربي بأسره ، وقد تحقق منه قسط غير يسير . والغالبية العظمى تؤمن بضرورته ، ولا مناص من تعريبه جميعه ، يوم أن تتوفر وسائله . ومن الخطأ أن يعرب التعليم العالي قبل أن يتم تعريب المراحل السابقة ، وأولى بمعارضى هذا التعريب أن يسلبوا أسلحتهم في معركة فاشلة ، والمسألة مسألة زمن وإعداد .

والعربية التي يستمسك بها الآن غير تلك التي كانت تستعمل في القرن الثامن عشر ، أو في جزء كبير من القرن التاسع عشر ، إنها عربية من إملاء العصور وروحه . فهي سهلة سائغة ، لا غرابة فيها ولا تعقيد ، ولا زخرف ولا صنعة . وهي واضحة دقيقة تصوب إلى المعنى وتؤديه في أحكام ، ولا تحتاج في الغالب إلى معجمات وقواميس . تعنى باختيار الألفاظ المألوفة السهلة ، وبتبسيط الجمل وتوضيحها ، ويراد بها أن تكون يسيرة في تعليمها وتعلمها . يتخفف ما أمكن من نحوها وصرفها ، ولا يشغل الشباب من قواعدها إلا بالضرورة والعمل ، ويسلك في كتابتها وإملائها أيسر السبل . يراد بها في اختصار أن تكون لغة الخاصة والعامة على السواء ، لأننا نعيش في عصر لا يقبل الخصوصيات ، ولا يسلم بالامتيازات . وعربية هذا شأنها تقرب فيها

هناك حيرة بين الشرق والغرب ، بين القديم والجديد ، بين التقليد والابتكار . ولا نزاع في أن الأمر قد وضح الآن ، ذلك لأن العالم العربي يحرص على كيانه ووجوده وشخصيته . يريد أن يكون له فن وأدب ، وعلم وفلسفة ، وقد حقق فعلاً بعض ما أراد ، وليس شيء أبعث على الثقة بالنفس من التحقيق والإنجاز . ويريد العالم العربي أكثر من هذا ، فيطمح في أن يكون لفنه وأدبه منزلة بين الفنون والآداب الأخرى ، وأن يسهم في مضمار العلم والتكنولوجيا ، وأن يباهى بما يحقق من كشف واختراع . يريد في اختصار أن يعيد مجد الماضي ، وأن يضيف إليه أجداداً أخرى في الحاضر .

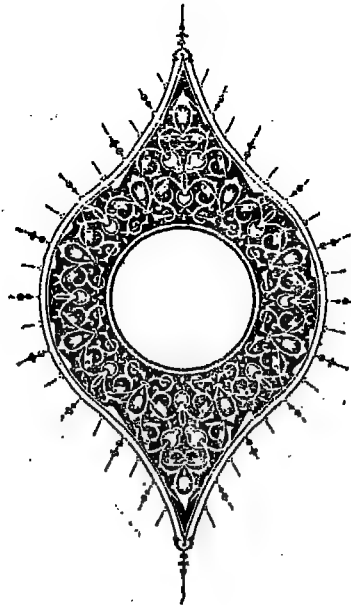
٤ — ولغته نفسها كانت محل أخذ ورد ، لأن الاستعمار حاول أن يحل محلها لغات أخرى ، من تركية أو إنجليزية أو فرنسية . فهل تستطيع العربية أن تستعيد مكانتها في مظاهر حياتنا على اختلافها ؟ في الصحافة والمدرسة ، في المصنع والمتجر ، في الإدارة الحكومية والأعمال العامة في تعامل الأفراد ومصالحهم ؟ وقد آمنت مصر منذ عهد مبكر أنه لا بد من لغة وطنية ، وتسامل فريق من الناس أهى الفصحى أم العامية ؟ وتلك بلبله أخرى عشنا فيها زمناً ، ولكن لم يبق اليوم شك في أن العربية هي اللغة الوطنية ، وأنها كفيلة بأن تحل محل العامية واللغات الأجنبية . وبدأ سعد زغلول منذ العقد الأول من هذا القرن في تعريب المدرسة الابتدائية والثانوية الأميرية ، التي سبق للاستعمار أن كساها بكساء إنجليزي . وقد سارت مصر في هذا الطريق

وتسود الثانية في المشرق، وربما جمعت بلاد
بينهما، وقد تضاف إليهما الألمانية أو الإيطالية.
وهناك محاولات لتعميم الروسية، ولعله لوحظ
من قبل أن في العالم العربي استعداداً لتعلم
اللغات الأجنبية، ولا تزال مدارس اللغات،
وهي أجنبية الأصل، تؤدي رسالتها، وعليها
إقبال ملحوظ. والعالم اليوم متشعب الصلات
ومتعدد العلاقات، ولا يمكن أن يستغنى فيه
عن تعلم لغات أجنبية، وبقدر ما يسعى العرب
إلى تعلم لغات غيرهم بدأ يسعى هؤلاء إلى تعلم
لغتهم.

لغة الخطاب من لغة الكتابة، وتضيّق مسافة
الخلف بين العامية والفصحى، ولعلها تستطيع
يوماً أن تحل محل اللاميات المتعددة.

وليس في الاعتزاز باللغة القومية ما يصرف
عن تعلم اللغات الأجنبية. وتقضى النظم التعليمية
في أغلب البلاد العربية بتعلم لغة أجنبية على
الأقل، وقد تضاف إليها ثانية. وهذه البلاد
حساسة لأي تقصير في تعليم اللغة الأجنبية
حساسيتها لما يحدث من تقصير في تعليم اللغة
القومية، وتسكاد توزع كلها بين الفرنسية
والإنجليزية؛ فتسود الأولى في المغرب،

ابراهيم مذكور
رئيس المجمع



القول في "ما" الزائدة

للكتور الشيخ عبدالرحمن تاج

هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
(٢٨ البقرة) ، فقد جاءت « ما » في هذه الآية
بعد إن الشرطية الجازمة وقد أدغمت فيها .
وكما في قوله سبحانه : « أيا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى » . (١١٠ الإسراء)

فقد جاءت هنا بعد « أيا » التي هي شرطية
جازمة أيضا .

وهي في هاتين الآيتين زائدة ، فإنها قد
انسلخت عن معناها الاصلى الذي كان يمكن أن
يكون لها حينئذ ، وهو معنى الشرطية ، من
حيث إن هذا المعنى قد استفيد من أحالة الشرط
قبلها ، وهي « إن » في الآية الأولى ، و « أيا »
في الآية الثانية .

« والثاني » الشرط غير الاجازم ، كما في قوله
تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى
إلى بعض » . (١٢٧ التوبة)

وقوله سبحانه : « وإذا ما غضبوا هم
يغفرون » . (٢٧ الشورى)

فكلمة « ما » هنا أيضا زائدة ، إذ أنه لم يوث

تقع « ما » في فصيح
الكلام زائدة ، ولكن

ق

لا يمكن أن تكون فيه حشوا لغوا خالية من
الفائدة . وأصل هذا — كما نبهنا إليه فيما سبق —
أنها تنسلخ عن معانيها الوضعية ، فلا تكون
مستعملة في شيء منها ، وإنما يوثق بها لتأكيد
معنى مستفاد من غيرها عما وقع في التركيب نفسه .

ومعلوم أن « ما » لها معان كثيرة : فتكون
استفهامية ، واسم موصول ، وموصولا حرفيا
« مصدرية » ، وشرطية ، ونافية ، وهذه أهم
معانيها وأشهرها .

فإذا وردت في تركيب مجردة عن معانيها
كلها ، وكان لا يمكن أن تكون مستعملة في
شيء منها على أن يكون جزءا أساسيا من المعنى
المراد من التركيب فإنها تكون مزيدة . ثم
هي تزداد في عدة أحوال ، أهمها — على ما قاله
بعض العلماء — ثلاثة أحوال : (١) .

الحالة الأولى : أن تقع بعد شرط جازم أو غير
جازم :

فالأول كما في قوله تعالى : « فإما يأتينكم منى

(١) في أمثلة الحالة الثالثة يمكن أن تكون « ما » أصلية ، وذلك بتوجيه وجيه ، كما سنقف على ذلك فيما
سيأتي .

الذى يجب السير عليه في إعراب القرآن
وتفسيره (١).

٣ - « الحالة الثالثة » أن تقع بين الجار
والمجرور ؛ كما في قوله تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم » .
(١٥٩ آل عمران) .

« فسما نقتلهم ميثاقهم لعناهم » :
(١٣ المسائدة) .

« قال عما قليل ليصبحن نادمين » :
(٤٠ المؤمنون) .

« سخطا خطيئاتهم أغرقوا » :
(٢٥ نوح) .

هذا - وإذا كانت « ما » زائدة في هذه
الاحوال الثلاثة فما الفائدة التي حققها تلك
الزيادة ؟ ومن أى طريق كان تحقيق هذه
الفائدة إن كانت ؟

« والجواب ، أن الفائدة التي حققها زيادة
« ما » هي توكيد المعنى الذي استفيد من غيرها
عما ذكر معنا في التركيب ؛ وذلك يفيد
بالضرورة توكيد الحكم المستفاد من هذا
التركيب في جملة .

فإذا زيدت بعد أداة شرط كان المقصود من
زيادتها إفادة توكيد معنى الشرط ، والمعنى العام
في كل شرط هو ربط جواب الشرط بربط يفيد
ترتيب الجواب على ذلك الفعل ، فإذا زيدت
« ما » على أداة الشرط فإنها تفيد توكيد ذلك
الربط ، وتقوية ذلك الترتيب .

بها لإفادة معنى من معانيها الأصلية التي بينهاها ،
فإنها قد انسلخت عن هذه المعاني جميعها ولا أثر لها
فيما يراد إفادته من المعنى الأصلي للتركيب ،
فإنه مستفاد بدونها .

٢ - « الحالة الثانية » أن تقع بعد نكرة
لمناسبة ما فيها من شيوع وإيهام ، وذلك كما في
قوله تعالى : « وقالوا قلونا غلف بل لعنهم
الله بكفرهم قليلا ما يؤمنون » ، (٨٨ البقرة)
فإن « ما » في هذه الآية لا يصح أن تكون
اسم موصول أو موصولا حرفيا حتى يمكن أن
يتخذ منها مبتدأ ؛ لأنه لا يكون حينئذ من غير خبر
إذ أن « قليلا » منصوب لا يصلح أن يكون
خبرا ، فهو مفعول للفعل : « يؤمنون » أى أنه
صفة موصوف محذوف مفعول لهذا الفعل ،
تقديره : إيماننا قليلا أو زمانا قليلا .

وليس من هذا القليل - على الراجح - « ما »
في قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب
مثلا ما » ، (٢٦ البقرة)
فإن « ما » هذه في رأى الراجح - ليست حرفا
زائدا ، وإنما هي اسم نكرة وقعت صفة « مثلا »
والمعنى : لا يستحي أن يضرب مثلا أى مثل ،
وذلك كما نقول « أعطى كتابا ما » ، أى كتابا
أى كتاب .

ومنى كان صحيحا في « ما » التي في هذه الآية
أن تجعل على ذلك المعنى فلا ينبغي أن تجعل
حرفا زائدا لا يدل على معنى ، وهذا هو القانون
العام والدمشور الذى نهبنا إليه مرارا ، وهو

(١) بعض العلماء يجيز - كما أشرنا إلى ذلك آنفا - أن تكون « ما » في آية : « إن الله لا يستحي أن يضرب
مثلا ما » زائدة ولكنه رأى ليس بجيد .

بمجرد أنها زائدة ، فإن مطلق الزيادة التي لا يراعى فيها معنى خاص يناسب التوكيد ويساعد على تحقيقه لا يمكن أن يقال إنه مفيد للتوكيد .

ذلك المعنى الخاص هو الشيء الذي من طريقه تفيد « ما » الزائدة التوكيد ، وهو أمر يختلف باختلاف المواضع .

(١) « في الحالة الأولى » - وهي التي تزداد فيها « ما » بعد أداة الشرط - يراعى فيها أنها في الأصل قد تستعمل شرطاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ (١٩٧ البقرة) .

فإذا كانت - حين وقعت بعد أداة شرط - قد سلخت - كما قلنا - من معناها الأصلي ، وهو الشرطية ، ولم يكن ورودها في الكلام حينئذ لإفادة هذا المعنى لإفادة أصلية ما دام أنه قد استفيد من غيرها قبلها . فإنه يمكن أن يقال : إنها تلح إلى هذا المعنى ، وتشير إليه إشارة يتحقق بها تأكيد معنى الشرطية .

وإذاً يكون التأكيد بها في معنى التأكيد بالتكرير ، كما يقال : نعم . نعم ، ولا . لا ، فكان الشرط في هذه الحالة قد ذكر مرتين ، وذلك يفيد تقوية وتأكيدها من غير شك .

هذا البيان - الذي يتضح به وجه إفادة « ما » الزائدة بعد أداة الشرط توكيد ما استفيد من هذا الشرط - يشمل حالتي الشرط الجازم وغير الجازم .

ومن هنا يقول الزمخشري ، فيما كتبه في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . ﴾ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ (١٩ ، ٢٠ . فصلا) .

ما نصه : « فإن قلت ، « ما » في قوله : ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ ما هي ؟

« قلت » مزبدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ؛ ولا وجه لأن يخلو منها . ثم قال : ومثله قوله تعالى : ﴿ أثم إذا ما وقع آمنتم به ﴾ ، أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به (١) .

وهذا هو ما أفاده « أبو السعود » بوضوح واختصار إذ قال : « ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ أي حتى إذا حضروها [أي النار] ، وما مزبدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ، (٢) .

والذي يدل على أنها تفيد زيادتها توكيد الشرط أنها هي التي انتمت مجيء الفعل بعده مقترنا بنون التوكيد ، وأن يكون توكيده بالنون حينئذ واجبا ، كما هو رأى المبرد والزجاج ، وهو أرجح الآراء .

ولذلك لم تأت « إن » الشرطية المؤكدة « بما » في الكتاب العزيز إلا جاء الفعل بعدها مؤكداً بالنون .

« وأما طريق إفادتها التوكيد » فليس هو

(١) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٣٢٩

(٢) تفسير أبي السعود المطبوع على هامش تفسير الفخر ج ٧ ص ٦٤٥ الشرفية

براءة (يريد آية ٣٢ من سورة التوبة) .

ثم قال : « وكان هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً له ؛ لما فيها من معنى الإرادة في قولك : جئتكم لأكرامكم » (١) .

هذا - والإمام الزمخشري قد قرر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا غلفت بل لعنهم الله بكفرهم فقل قليلا ما يؤمنون ﴾ (٨٨ البقرة) أن « ما » - في قوله سبحانه : ﴿ فقل قليلا ما يؤمنون ﴾ - زائدة ، وأن المعنى فلإيماننا قليلا يؤمنون ، وهو إيمانهم ببعض الكتاب ، ثم لم يعرض لحكمة زيادتها ، ولم يبين المعنى الذي أفادته هذه الزيادة .

لكنه في آية : « وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (٧٨ من سورة المؤمنون) قال في تفسير قوله سبحانه : « قليلا ما تشكرون » مانصه : أى تشكرون شكرا قليلا ، وما « زائدة للتأكيد بمعنى حقا » .

وهذا تفسير غريب ، إذ كيف تكون « ما » بمعنى « حقا » ؟ وبأى وضع لغوى أفادت هذا المعنى ؟ (٢) .

٣ - « وأما الحالة الثالثة » - وهى التى وقعت فيها « ما » بين الجار والمجرور - فإن زيادة « ما » فيها - على ما يرى بعض العلماء - تفيد التوكيد ، لكنهم لم يبينوا في وضوح من أين كانت هذه الزيادة مفيدة للتوكيد ؟

ويضاف إليه - حين يكون الشرط الجازم « أيا » كما في قوله تعالى : ﴿ أيا ما تدعوا ﴾ أن « ما » حينئذ تكون - بما فيها من إيهام مؤكدة أيضاً لما في الشرط من الإيهام .

وفي هذا يقول العلامة أبو السعود - في تفسير قوله تعالى : ﴿ أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنی ﴾ ما نصه : « والتوین فی « أيا » عوض عن المضاعف إليه . و « ما » مزيدة لتأكيد ما في « أى » من الإيهام » ٥١ .

(٢) أما في الحالة الثانية - وهى التى فصلت فيها « ما » بين نكرة وقعت قبلها ، وعامل في النكرة جاء بعدها في مثل قوله تعالى : ﴿ فقل قليلا ما يؤمنون ﴾ - فإن السبر في أن زيادة « ما » حينئذ تفيد التوكيد هو ما تحمله من الإيهام الذى يلزم معانيها الأصلية كلها ، فكانت بهذا الإيهام مؤكدة للنكرة ، التى تدل بحسب وضعها على معنى الإيهام والشيوع .

وبما يشبه ما قلناه هنا وفي مواطن أخرى - عن زيادة « ما » وأخواتها من الحروف التى تزداد للتأكيد ، وأن هذا التأكيد ليس لمجرد أنها زائدة مطلق زيادة ، وإنما هو لأنها تشعر بمعنى يناسب معنى ما جعلت مؤكدة له - ما يقوله الإمام الزمخشري : في تفسير قوله تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٨ الصف) .

فإنه رحمه الله قال : ﴿ يريدون ليطفئوا ﴾ أصله يريدون أن يطفئوا ، كما جاء في سورة

(١) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٥٥

(٢) ولعل مراد الزمخشري بكلمة « حقا » ما يفيد تأكيد الفاعل ، كأنه قيل قليلا جدا

« إن أهل العربية اختلفوا في معنى « ما »
التي في قوله : « فقليل ما يؤمنون » .

فقال بعضهم : هي زائدة لا معنى لها ،
ولما تأويل الكلام : « فقليل يؤمنون » ، كما
قال جل ذكره : « فيها رحمة من الله لنت لهم »
وما أشبه ذلك ؛ فزعم أن « ما » في ذلك زائدة ،
وأن معنى الكلام : « وبرحمة من الله لنت لهم » ،
وأنشد في ذلك — محتجا لقوله ذلك — بيت
مهمل :

لو بأبائين جاء يخطبها

خضب ما أنف خاطب بدم
وزعم أنه يعني : « خضب أنف خاطب
بدم » ، وأن « ما » زائدة .

« وأنكر آخرون » ما قاله قائل هذا القول
في « ما » في الآية وفي البيت الذي أنشده ، وقالوا
إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر

عن عموم جميع الأشياء ، إذ كانت « ما » كلمة
تجمع كل الأشياء ثم تخص وتعم ما عمته بما
تذكره بعدها » . ثم قال ابن جرير : « وهذا
القول عندنا أولى بالصواب » ، لأن زيادة
ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائز
إضافته إلى الله جل ثناؤه « اهـ (١) » .

ومعنى هذا أن « ما » تكون أصلية اسما
نكرة بمعنى شيء أو أمر ، ثم يكون ما بعدها
بدلا منها في آية « آل عمران » : « فيها رحمة من

« وهناك رأى آخر » : أن « ما » في هذه الحالة
الثالثة أصلية ، وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين :
وذلك بأن تكون اسما نكرة بمعنى « شيء » أو
« أمر » ، ثم يكون الاسم المضارع به عقيها
بدلا منها ، وبذلك يتحقق توكيد الحكم وتقويته
من حيث إنه يكون مثبتا أولا بأمر مجمل ، وثانيا
بمعين مفصل .

وقد يكون مما يتمشى مع هذا المعنى ويستأنس
به فيه ما يقرره النحاة حين يقولون : إن العامل
في النابع هو العامل في المتبوع ، إلا البدل ، فإنه
على نية تكرار العامل .

وعلى هذا يكون قوله تعالى : « فيها رحمة من
الله لنت لهم » في تقدير : « فبسبب أمر لنت لهم ،
بسبب رحمة من الله » . وقوله تعالى : « فيها
نقضهم ميثاقهم لعناهم » يكون تقديره : « فبسبب
أمر ، بسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم » .

ولاشك أن تخريج الآيات التي تدخل في
الحالة الثالثة على هذا الوجه الذي تكون فيه « ما »
أصلية لا زائدة ، هو الذي ينبغي أن يسار عليه ؛
فإنه — كما قلنا وكررنا — ما دام يمكن حمل
الكلمة على الإصالة لتدل على معنى من معانيها
المعروفة لها في اللغة بوجه صحيح مقبول فلا يسوغ
العدول عن ذلك ؛ ليقال إنها زائدة لا تقيد شيئا
من تلك المعاني .

وفي هذا يقول ابن جرير الطبري ما نصه :

(١) تفسير الطبري ج ٢ ص ٣٣١ ، ٣٣٢ دار المعارف

الكلام لتأكيد ما يستغنى عنه — قال : « وقال المحققون : إن دخول اللفظ المهمل الضائع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز » . ثم عقب بذلك الرأي الغريب فقال ما نصه :

وهاهنا يجوز أن تكون « ما » استفهامية للتعجب ، تقديره : « فبأي رحمة من الله لنت لهم » ، وذلك لأن جنائهم لما كانت عظيمة ، ثم إنه ما أظهر ألبتة تغليظا في القول ولا خشونة في الكلام ، علوا أن ذلك لا يتأتى إلا بتأييد رباني ؛ وتأييد إلهي ؛ فكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك التأييد والتسديد ؛ فقليل : « فبأي رحمة من الله لنت لهم » . ثم قال الرازي : وهذا هو الأصوب عندى ، اهـ (١) .

ومعنى هذا أن « ما » في هذه الآية ليست — في اختياره — زائدة ؛ بل هي أصلية للاستفهام التعجبي .

وهذا رأى عجيب وغريب ؛ على رغم أن « الفخر » يقول إنه هو الأصوب عنده .

إن جعل « ما » في الآية للاستفهام التعجبي هو شيء لا تستصوبه اللغة ولا تسوغه ؛ ذلك أن « ما » الاستفهامية إذا وقعت بعد حرف جر فإنه يجب أن تحذف ألفها ؛ كما في قوله تعالى : « (عم يفسلون) » ؛ « (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) » ؛ « (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) » ، « (يا أيها

الله لنت لهم » ، وفي بيت مهلهل ، ولا شك أن الأسلوب يكون على هذا الوجه أقوى وأكثر منه على وجه الزيادة ؛ إذ يكون الكلام به مشتملا على الحكم مرتين : مرة من طريق ما في « ما » من معنى العموم ، ومرة أخرى على وجه الخصوص من طريق البدلية .

وهذا هو رأى الاخفش وغيره من أئمة النحو ، كما حكاها الآلوسي (١) .

وهكذا نجد « ابن جرير » يستصوب القول بأصالة « ما » في آية « آل عمران » : « فبإرحمة من الله لنت لهم » ، وفي بيت « مهلهل » من حيث إن ذلك قد جاء على ما جرت به عادة العرب من التحديث من الشيء أولا بصيغة العموم ، ثم يذكر بعد ذلك بطريق الخصوص .

وظاهر كلامه أنه لا يرى هذا الذي استصوبه في الآية والبيت مما يمكن أن يجرى في آية البقرة : « (قليل ما يؤمنون) » ، إذ أن حديث العموم والخصوص لا يتحقق في هذه الآية ولا ينطبق عليها .

أما « الفخر الرازي » فإنه ذهب في الآية التي معنا : « فبإرحمة من الله لنت لهم » ، مذهبا غربيا جدأ ، فإنه — بعد أن حكى عن الأكثرين القول بزيادة « ما » فيها وفي الآيات التي على شاكلتها ، وهي التي فصلت فيها « ما » بين الجار والمجرور ، وقولهم : إن العرب قد تزيد في

(١) روح المعاني ج ٤ ص ٩٤ الميزية
(٢) تفسير الرازي ج ٣ ص ٨٠ المطبعة الحسينية

الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴿١﴾ ؛ ﴿٢﴾ فيم أنث من ذكرها ﴿٣﴾ .

وهكذا لا تقع « ما » الاستفهامية المجرورة لا في القرآن ولا في كلام عربي فصيح إلا وألفها محذوفة ، للتفرقة بين الاستفهام والخبر . وإذا وردت ثابتة الألف في كلام يدعى أنه عربي فأقبل ما يقال فيه : إنه شاذ وردى .

هذا سبب لا تسوغ اللغة من أجله أن تكون « ما » — في قوله تعالى : ﴿٤﴾ فيما رحمة من الله أنث لهم ﴿٥﴾ — استفهامية تعجبية .

وهو أمر يرجع إلى الصورة ومخالفها لما هو مقرر في اللغة في « ما » الاستفهامية المجرورة .

« وسبب آخر » يرجع إلى المعنى ، وهو أن « ما » الاستفهامية — سواء أكانت تعجبية أم غير تعجبية — ليست في اللغة بمعنى « أى » المجردة ، حتى يمكن أن توصل بكلمة « رحمة » في الآية ليصير المعنى : فبأى رحمة من الله أنث لهم ؛ كما يقول الفخر الرازى ؛ وإنما هي في اللغة بمعنى « أى شيء » (١) .

وذلك كما في قوله تعالى : «عم يتساءلون » ؛ فإن معناه عن أى شيء يتساءلون . وقوله سبحانه — حكاية لقول ملكة سبأ — : « وإلى مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » ، فإن معناه : فناظرة بأى شيء وبأى رد وجواب يرجع المرسلون .

فإذا أخذت « ما » بمعناها هذا في آية : « فيما رحمة من الله أنث لهم » لم يستقم الأمر على ما يريده الرازى ؛ إذ لا يكون معنى الآية حينئذ : فبأى رحمة من الله ؛ وإنما يكون : فبأى شيء رحمة من الله ؛ ويكون ذلك ضرباً من اللفظ الذى يستحيل أن يقع مثله في القرآن الكريم .

« والرخسرى » ماذا يرى في « ما » الاستفهامية هذه التى وقعت بعد حرف جر ؛ إنه قد اضطربت كلمته في ذلك :

ففي قوله تعالى : « قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم » (١٦ الأعراف) نجد يقول ما نصه : « وقيل « ما » للاستفهام ، كأنه قيل بأى شيء أغويتني ؟ ثم ابتداء « لأقعدن » . [ثم قال] : « وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على « ما » الاستفهامية قليل شاذ » (٢) .

لكنه في آية ٢٧ من سورة « يس » — في قوله تعالى — : « قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربى » — يقول : « يحتمل أن تكون « ما » استفهامية » يعنى بأى شيء غفر لي ربى » ، ثم استدرك فقال : « إلا أن قوله : « هم غفر لي » بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزاً » (٣) .

وهكذا يحين « الرخسرى » أن تكون « ما » الاستفهامية الواقعة بعد حرف جر ثابتة الألف ،

(١) القاموس المحيط ، مادة « ما » من باب الألف اللينة

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٨١

الاستفهام لتدل عل الاتصاف بالحسن أو العظم
والفخامة ؛ فيقال : رأيت رجلا أى رجل ،
ولقيت عالما أى عالم أى رجلا عظيما وعالما فاضلا .
فقوله تعالى : « فى أى صورة ما شاء ربك » ،
معناها فى صورة عظيمة أو صورة حسنة
بديعة .

وهذه الجملة : « فى أى صورة ما شاء ربك »
قد فسدت عما قبلها فلم تعطف عليه كما عطف
قوله سبحانه : « فمواك فعدلك » لأنها وقعت
بيانا للتعديل وإفادة أن التعديل الذى هو العدل
— كما فى قراءة حفص : « فعدلك بالتخفيف —
مراد به إتقان الصورة وإحكامها وجعلها مدقة
متناسقة الاعضاء والأجزاء ، متناسبة الأركان
والأطراف .

هذا هو حاصل معنى الآية وإعرابها على
القول بأن كلمة « ما » فيها زائدة .

وهناك قول آخر أن « ما » هذه أصلية ،
وأنها اسم موصول وقعت خبرا لمبتدأ محذوف
والتقدير : « فى أى صورة هى ما شاء ، أى هى
التي شاءها ، والجملة من المبتدأ والخبر صفة
لصورة ؛ وقوله تعالى : « فى أى صورة » متعلق
بقوله : « ربك » كما فى القول الأول ؛ والتقدير
« فى أى صورة هى ما شاءها ربك » ، أى فى
صورة عظيمة وعجيبة والمعنى أنه سبحانه وتعالى
ربك فى صورة عظيمة بديعة هى التي شاءها .

وجمله « فى أى صورة ما شاء ربك »
مستأنفة وقعت بيانا لمعنى العدل أو التعديل فى
قوله سبحانه : « فعدلك » كما فى القول الأول

ولم يجعل ذلك من الأمور الشاذة التى جاءت على
خلاف القواعد العامة ، أو على خلاف الاستعمال
الغالب فى اللغة ، كما قال فى آية الأعراف . وكل
ما قاله فى ذلك أن الأجود هو طرح الألف ،
وفرق كبير بين أن يقال : « إن إثبات الألف
قليل وشاذ » وأن يقال : « إن الأجود خلافه »
والرخصى هو صاحب القولين .

* * *

« وبعد » فإننا نريد هنا قبل أن ننهى هذا
البحث أن نورد آية من صورة « الانفطار »
وردت فيها كلمة « ما » على وضع خاص كان
منار اجتهد المجتهدين من علماء اللغة والمفسرين .
وذلك فى قوله تعالى : « يأبى الإنسان
ما عرك ربك الكريم » الذى خلقك فسواك
فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ربك .

اختلفت آراء أولئك المجتهدين فى إعراب
هذه الآية الثامنة ومعناها :

فقال بعضهم : إن « ما » فى قوله سبحانه :
« ما شاء ربك » زائدة ، وجمله « شاء » بعدها
صفة لصورة ؛ والتقدير « فى أى صورة شاءها
ربك » ، أى ربك فى صورة عظيمة عجيبة شاءها
فقوله سبحانه وتعالى : « فى أى صورة » متعلق
بالفعل ربك .

ووصف الصورة بالعظم أو بالحسن والإعجاب
أت من أن كلمة « أى » هى فى الأصل للاستفهام
ولاشئ العظيم الفخم أو الحسن المعجب من شأنه
أن يستفهم عنه وعن مقدار عظمه وحسنه وفخامته ،
وقد جرى الاستعمال فى ذلك بنقل « أى » من

ثم إن القول بأن « ما » في الآية أصلية هو
الاقوى واللاحق بالاتباع ، فإن المعنى على أساسه
جلي وواضح ، وقد قلنا في مواطن كثيرة : إنه
مادام يمكن حمل اللفظ على معنى من معانيه
الأصلية فإنه يجب الاعتداد به فيه ، ولا ينبغي
جعله زائداً غير مفيد شيئاً من تلك المعاني .

هذا — واختيار القول بأصالة « ما »
في هذه الآية وإعرابها على النحو الذي بيناه هو
بما وفق الله للاهتمام إليه ، على خلاف ما أطال
القول فيه كثير من العلماء ، كما ذكره الآلوسى في
تفسيره ، والله أعلم .

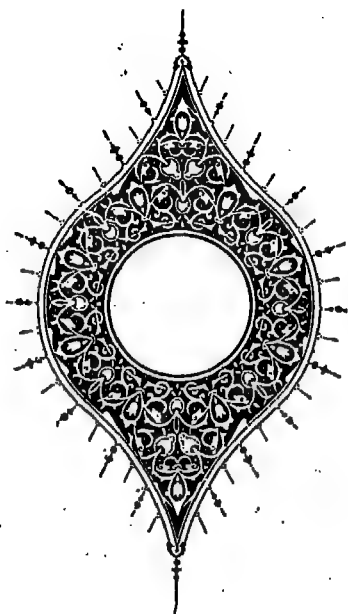
عبد الرحمن تاج
عضو المجمع الراحل

سواء ؛ ولذلك فصلت ولم تعطف على ما قبلها
كما عطف قوله تعالى : « فـواك فـعدلك » .

والخلاصة أنه على القول الأول تكون « ما »
زائدة ، وجملة « شاء » بعدها في محل جر صفة
لصورة ؛ وعلى القول الثاني — انى هي أصلية اسم
موصول خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة من المبتدأ
والخبر في محل جر صفة لصورة أيضاً .

وجملة : « فى أى صورة ما شاء ركبك »
مستأنفة على كلا القولين ، لأنها بيان لقواه
سبحانه : « فـعدلك » .

وإذاً لا فرق بين القولين فى المبنى والمراد
من الآية ، ولا فى إعرابها إلا فى كلمة « ما »
وما يترتب على الحكم بأنها زائدة أو أصلية .



الإنسان العربي

في القرن الخامس عشر الهجري

علميا وتكنولوجيا

للدكتور عبد الحليم مشصر

« يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء »
 وقوله « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » وقوله
 « الناس من أمي ثلاث فئات: عالم ومتعلم والباقي
 هرج » ، وقوله « لا خير فيمن كان من أمي ليس
 بعالم ولا متعلم » ، وقوله « اطلبوا العلم ولو بالصين
 وقوله « لا يزال طالب العلم عالما ، حتى إذا ظن
 أنه علم فقد جهل » ، وقوله « اطلبوا العلم من
 المهد إلى اللحد » :

وكان الخلفاء في العصر الإسلامي الأول ،
 يعدون أنفسهم حماة للعلم ، ويرون أن قصورهم
 يجب أن تكون مراكز تنبع منها الثقافة والعرفان
 ومثابة يلتقي عندها العلماء والادباء . ومنهم من
 خصص في قصره دورا ومساكن ومقاصير ،
 يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب
 من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجري عليهم
 الأرزاق السنوية ، ليقصد كل من اختار علما أو
 صناعة رئيس ما يختاره ، فيأخذ عنه ؛ وقد
 بدأت بقصر معاوية الخليفة الأموي الأول ،
 وازدهرت في عصر عبد الملك بن مروان ، والوليد
 ابن عبد الملك في العصر الأموي

وفي عهد الدولة العباسية ، اتخذت هذه
 الصالونات العلمية أهميتها لتناسب مع أهمية ذلك

ماذا عسى أن يكون حال الإنسان العربي ،
 في القرن الخامس عشر الهجري ، الذي يبدأ
 فجره بعد سنوات معدودات ؛ ولعلنا أن نحدد
 مجال التمكن بحاله ، من الناحية العلمية
 والتكنولوجية .

لقد مضى على هذا الإنسان العربي قرابة
 أربعة عشر قرنا ، منذ نعم بنعمة الإسلام
 الحنيف ، وإن معجزته الكبرى كتاب هو القرآن
 الكريم ، وإن أول آية « اقرأ باسم ربك الذي
 خلق » . وإن كثيرا من آياته الكريمة لتحض
 في دأب على طلب العلم ، والتفكير في ملكوت
 السموات والأرض ، وفي الكون والكائنات
 كقوله تعالى « هل يستوى الذين يعلمون والذين
 لا يعلمون » ، وقوله : « إنما يخشى الله من عباده
 العلماء » ، وقوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم
 والذين أتوا العلم درجات » ، وقوله أفلا
 ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء
 كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى
 الأرض كيف سطحت ، وقوله : « وما أوتيتم
 من العلم إلا قليلا » .

ومن أقوال الرسول (ص) : « لغدوة في
 طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة » . وقوله :

فشكل من أراد أن يكتب علما تقرؤه الناس لجأ إلى اللغة العربية فكتب وألف بها .

وكذلك كانت منازل العلماء ، وقصور الخلفاء والأمراء ، ودور الكتب : بيت الحكمة في بغداد ، ودار الحكمة في القاهرة ، ودار العلم في الموصل ، كما كانت المساجد : المنصور في بغداد والاموي بدمشق ، والأزهر بالقاهرة ، والقيروان في تونس ، والقرويين في المغرب ، وقرطبة في الأندلس ، والكبير في صنعاء ، كل هذه كانت قبل إنشاء المدارس ، تؤدي في العصر العربي الإسلامي ما تؤديه الجامعات ومراكز العلم في العصر الحاضر . وكان تقدير الدولة للعلم والعلماء ، والإنفاق بسخاء على العلم والعلماء ، هما طابع هذا العصر الذهبي الزاهر . وحتى بعد أن انقسم العالم العربي إلى دويلات ، بقي تنافس الحكام والولاة في رعاية العلم والعلماء قائما .

ومن العلماء من كان يتخذ التدريس مهنة ، ومنهم من كان يعمل تطوعا لشقيق الناس وتعليمهم عن طريق حلقات تجميعية أو بتأليف الكتب ونشرها . وكانوا أغلب الأمر موضع تقدير العامة والخاصة وقد نصح أحد الخلفاء برسالة جاء فيها : « واعلم أن مواقع العلماء من تلك مواقع السرج المتألقة ، والمصابيح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهدك تبذل الضياء ، وتجلو بنورها الأشياء » . وقيل لأحد الخلفاء هل بقيت لك بقية لم تلتها ؟ قال : « بقيت واحدة هي أعلى من جميع ما نلتها ، وأظم من كل ما باشرت ، بل لم تقرب منها فضلا عن أن تساويها منحة أو مرتبة ، تلك هي أن أجلس مجالس العلماء ، أملئ وأشرح وأفيد » .

العصر ، وأصبحت الاجتماعات العلمية تعقد في أوقات منتظمة ، وشملت قصور الأمراء والعظماء إلى جانب قصور الخلفاء ، واتخذ لها الأثاث الفاخر والزياش المناسب لرفاهية هذا العصر وتنوعت هذه الصالونات ، فقد كان منها الأدبي ومنها العلمي والفني والموسيقى . وظلت صالونات العلم والأدب - فيما يروى الأغاني - أرفعها قدراً . وفي عهد الرشيد - وكان واسع الثقافة - جمع حوله صفوة من العلماء والأدباء ، وكذلك في عهد المأمون ، بلغت هذه الصالونات وتلك المجالس العلمية الذروة .

يقول « هوجز » ، إن عصر المأمون أزهى عصور النهضة العلمية ؛ في العصر العربي الإسلامي . إذ كان الخليفة نفسه عالما من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفذاذ في الشرق والغرب ، هذا إلى جانب الاساتذة والمشررين والمترجمين والمفكرين ، الذين عيّل بهم بلاطه وزين ملكه . ويقول « سيد أمير علي » : إن بلاط المأمون كان يهوج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعر والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من كل رجا من أرجاء العالم المتسدين ، وشملهم جميعا بعنايته مهما اختلفت مشاربهم وجسدياتهم . وبلغ بيت الحكمة أوجّه في عصر المأمون ، ونقاط المترجمون على بغداد ، ونقلت العلوم المختلفة من اللغات اليونانية القديمة والبطية والهندية والسريانية إلى اللغة العربية التي كانت اللغة العلمية . في العالم الإسلامي ، وامتدت رقعة الإمبراطورية العربية من حدود الصين شرقا إلى حدود فرنسا غربا .

المنح والجوائز ، كل ذلك ليس من مستحدثات العصر الحديث .

وكذلك كان معروفا مانسميه بالبعثات العلمية وذلك منذ الجيل الإسلامي الأول ، حين تفرق علماء الصحابة في الأقطار ، وأقام كل منهم مركزاً علمياً في البلد الذي حل فيه ، حلقة في اليمن ، وثانية في الكوفة ، وثالثة في مصر ، ورابعة في البصرة ، وخامسة في المدينة . . . وهكذا . وأصبح لكل مدرسة طابعها المميز ، فكان الناس يسمعون إلى حلقات هؤلاء الأساتذة لينتفعوا بعلمهم . وفي الجيل التالي كانت العلوم قد تشعبت ، وظهرت نواحي تخصص لم تكن معروفة قبلاً . واشتهر كل أستاذ بتخصص معين يدرسه في حلقة المسجد ، وزادت الحلقات في المسجد الواحد ، وزاد عدد المآجد في المدينة الواحدة ، وغدت القيمة العلمية للطالب ، تتناسب مع عدد الرحلات التي قام بها لطلب العلم ، والشيوخ الذين حضر عليهم . وإذا لاحظنا أن وسائل الانتقال لم تكن ميسرة كما هي الحال الآن ، قدرنا الجهد الذي بذله هؤلاء الرواد في طلب العلم وتدوينه . يقول ينكلسون : كان طلاب العلم يرحلون في حماسة بالغة عبر القارات الثلاث ، ثم يعودون إلى بلادهم كما يعود النحل محملاً بالعسل . ثم يعكفون على التدوين ، فيخرجون كتباً هي بدوائر المعارف أشبه ، وهي المصادر الأولى للعلوم الحديثة ، بكل ماتحملة كلمة العلوم من معنى .

وتروى عن هذه الرحلات قصص ، هي إلى الأساطير أقرب ، فمنهم من عبر القارات وقطع

وكان أبو الأسود الدؤلي يقول : « ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام الناس ، والعلماء حكام الملوك ، وكذلك تهيب إلى المدينة أن يمشى إلى الإمام مالك ليقيم إليه الإمام الشافعي قائلاً : « مشى من جوف مكة إلى جوف المدينة ، حافياً راجلاً ، أهون على من أن أقف بباب مالك » . تلك كانت سمة العلماء في هذه العصور الإسلامية الزاهرة .

يقول ابن جبير : « وتكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد الشرقية كلها . فمن شاء الفلاح من نشأ مغرباً ، فليرحل إلى هذه البلاد فيجد الامور المعينات كثيرة ، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة » .

وكذلك كان الحال في مصر : يقول « لين » : يجتمع في الأزهر الطلاب من البلاد المختلفة من العالم الإسلامي من ساحل الذهب في غرب إفريقيا إلى الملايو في شرق آسيا ، وقد جدد رواق خاص لكل قطر من الأقطار ، ويتلقى دروسهم على شيوخ أجلاء ورعين ، وليس التعليم بالمجان لحسب ، بل إن الطلاب يتلقون جرايات وأطعمة من أوقات تسد حاجتهم ، فالأزهر في رأي لين . مثال نموذجي لمجانبة تلك المجانية الممتوحة لجميع الطلاب على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير أي تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب . وفي العهد الأيوبي كان كل تلميذ بمصر يلحق سكناً بأوى إليه ، ومدرسا يعلّمه ، ومراقباً يقوم بجميع أحواله .

من ذلك نرى أن ما يتبع به العصر الحديث ، من مجانبة التعليم ، وتكافؤ الفرص ، وتقديم

عليه، ورووا عنهم، وحضر واعلمهم، الذين
وتخير ابن عساكر من بين شيوخه وأساتذته
الذين تلقى عنهم العلم، لإحدى وثمانين امرأة .
وكذا المأمون أول من نادى بالألا يكون نشاط بيت
الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء، فبدأ
للعلماء أرواقاً سخية، يتقاضونها في أوقات ثابتة
يفيض ريعها عن التكليف لهذه المؤسسة العظيمة .
كذلك جرى العمل من بعده على أن يكون لكل
معهد أو مدرسة وقف ثابت ينفقها . وكذلك
فعل الحاكم بأمر الله حين أوقف على دار الحكمة
كما أوقف على الأزهر أوقافاً ثابتة، وكان يقول :
أريدها أوقافاً أبدية، لا تزول بزوال الحاكم .
وروى عن بعض الحكام، أنهم كانوا يسمون
الخراج أملاًثاً . ويجعلون الثلث للتعليم .

وكذلك تدبّر كيف سطعت الحضارة العلمية
الإسلامية في هذه العصور الزاهرة، وكيف هيأ
الخلفاء والحكام والأمراء ورجال الدولة،
الأسباب لنشر نور العلم والعرفان في
أرجاء الوطن العربي، مما مكن لامة العرب أن
تستعلى في هذه الأحقاب الموهلة في القدم، وتدل
بعلماء من أمثال ابن الهيثم وابن سيناء والبيروني
والكندي والجاحظ وابن مسكويه والفارابي
وابن النفيس وجابر والرازي وغيرهم من يفتنون
إلى أعظم العلماء في كل عصر وآن . وكذلك
استطاعت الامة العربية أن تكثر الإمبراطورية
الناسعة في أقل من قرن من الزمان، واستعلت
الامة العربية بالإسلام أولاً وبالعلم ثانياً :
الإسلام بقيمه من جد وأمانة وإخلاص ووفاء،
والعلم بما يعطى من قوة دافعة، فالقوة دائماً
في ركاب العلم .

آلاف الأميال على ظهر بعير . ومنهم من لم يكن
ملك سوى قدميه، فساروا جلاً . ويذكر التاريخ رحلة
يحيى بن يحيى الليثي، من قرطبة إلى المدينة ليرى
مالك، ثم إلى مكة ليرى جمع من سفیان بن عيينة،
ثم إلى مصر ليرى جمع من الليث بن سعد، ثم يكر
راجعا إلى الأندلس . ورحلة البخاري في جمع
الأحاديث التي استغرقت ستة عشر عاماً، كذلك
رحلات حنين بن إسحاق، ورحلة البيروني
في الهند التي عاش فيها أربعين عاماً، يطوف
بين أرجائها الشاسعة، يدرس لغاتها وعاداتها
وتاريخها وجغرافيتها ودياناتها . وكذلك يروى
عن « ابن منده » : أنه قام برحلة علمية طويلة،
جلس فيها إلى ألف وسبع مائة شيخ، وجمع جملة
من الكتب كانت عند عودته أربعين حملاً .

وفي القرن الخامس الهجري، كانت
الرحلات إلى المدارس التي ازدهرت في هذا
العهد، حيث يجتمع الطلاب المقام والمأوى
والأستاذة الذين يطلبون لديهم العلم، واشتهرت
رحلات أخرى، قام بها علماء ممتازون، زاروا
مختلف البلاد . وسجلوا ملاحظاتهم ودراساتهم
في كتب الرحلات، التي تعتبر من أغنى المصادر،
مثل ياقوت، وابن جبير، وابن بطوطة
والمقدسي وغيرهم . وكان هؤلاء الرحالة، سواء
من طلاب العلم أو شيوخه، يلقون حيث يحلون
لأكراما وكرما بالعين .

ولم يكن حظ المرأة في هذه العصور بأقل كثيراً
من حظ الرجال، على تفاوت فرص التعليم
بين المرأة والرجل، فقد اشتهر كثيرات من النساء
بالعلوم الدينية ورواية الحديث والأدب والطب،
ومنهن من كن شيخات لبعض الشيوخ، فعملوا

داروين، ومارس علمائنا وأطبائنا التشريح قبل علماء أوروبا بقرون ، وعرفنا الدورة الدموية قبل هارفي ، وتكلمنا في العناصر والذرة وضغط الغازات قبل تورشيل ، وشارل وبوبل وعرفنا البندول قبل جاليليو ، وقلنا بأن الشمس مركز الكون قبل كوبرنيك ؛ إنها حقائق علمية ، ليس إلى نكرانها من سبيل ، سبق بها الإنسان العربي الإنسان الأوروبي . ولكنه الزمن الدوار ، وهي القوة في ركاب العلم دائما ، ولقد كنا أقوياء عندما كنا علماء ، وعندما كانت لدينا حرية رأي على إلى أبعد الحدود ، وعندما كانت الدولة ترعى العلم والعلماء إلى أبعد الحدود ، وتنفق على العلم والعلماء بسخاء متقطع النظر ، وعندما كان الإنسان العربي العالم يستعلي بعليه إلى أبعد الحدود ويسعى إليه حيث كان .

والآن : لن نجد من يمارى بأن الإنسان العربي متخلف ، يحاول جاهدا أن يلحق بالركب في عصر الذرة ، والإلكترون ، والحاسبات الإلكترونية وسفن الفضاء ، وغزو الفضاء ، والوصول إلى القمر ، ومحاولة الوصول إلى الكواكب الأخرى : عصر الحضارة العلمية والتكنولوجيا العلمية ، التي تستغلها الدول المتقدمة في كل مرفق من مرفق الحياة فيها ، في المأكل والمشرب والملبس ، والاتصالات السلكية واللاسلكية ، وتسلمها وجرها ، في مواصلاتها عبر البحار ، وعلى متن الهواء ، بالطائرات الأسرع من الصوت ، والغواصات . عصر الصواريخ عابرة القارات ، وعصر النوادي الذرية الذي يتزايد عدد أعضائه يوما بعد يوم وسنة بعد أخرى . وإذا نظرنا إلى المجتمع العربي في الوطن العربي

تلك كانت حال الأمة العربية في العصر الإسلامي ، وذلك كان حال الإنسان العربي في عصر الحضارة العلمية الإسلامية أعطى ، وكان مسرفا في عطائه ، وأشع على العالم كما تقول المسرة قسيجر يدهونكه : نورا وعلميا ومعرفة . وقدم لأوروبا زاد نهضتها العلمية ، عن طريق الأندلس حيث بقي الإنسان العربي سبعة قرون متصلة ، وعن طريق صقلية حيث حكم زهاء ثلاثة قرون ، وعن طريق الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان ، وعن طريق الإمبراطورية العثمانية حين غزت شرق أوروبا . وظلت كتب العلماء العرب في العصر الإسلامي ، مراجع معتمدة في جامعات أوروبا عدة قرون : وظهر من يقول من المؤرخين المنصفين ، إنه كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيروني وابن سينا وجابر والرازي والصفوي والبتاني ، لكي يتسنى ظهور كيبلر وجاليليو وكوبرنيك . وإنه لولا أعمال العلماء العرب في العصر الإسلامي ، لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون . ويقول آخرون : لولم نصنأ محنة المغول والتتار والترك والاستعمار ، لكانت هذه النهضة التي تفاخر بها أوروبا من نصيب الأمة العربية ، ومن صنع الإنسان العربي . وبتقدم علمها في التاريخ بضعة قرون ، وتكون لغتها هي العربية . ولكنها إرادة الله أن نزرع نحن ليحني غيرنا الثمار . ولعله درس لنا وعبرة وعظة ، أن نهض من هذه الغفوة التي طالت واستطالت بضعة قرون ونحن الألى تكلمنا في الجاذبية قبل نيوتن ، وتحديثنا عن التطور قبل

الفنيين والتقنيين كل حسب استعدادهم وميولهم . وليس من المفيد أن نوجه كل هذه الحشود نحو تعليم جامعي أكاديمي . قد لا يكون متفقاً مع رغباتهم وميولهم ؛ إذ ليس من المعقول أن يكون كل مواطن جامعيًا . نعم ينبغي أن تكثر من المعاهد التكنولوجية المختلفة ، ويجب أن يكون لكل منها طابعه وشخصيته ومجالات تفوقه ولا ينبغي أن يخلج مواطن من الالتئام إليه أو الالتئام له ، مادام إنتاجه مرموقاً ومقدراً ومطلوباً ، ومادام يعمل جاهداً للتفوق في الأداء ؛ إذ أن النهضة تحتاج إلى جهود كل فرد وتفوقه في الأداء أياً كان تخصصه .

وها نحن نخطو إلى عتبات القرن الخامس عشر الهجري ، ولنا هذا التاريخ المشرف الوضاء وها هي الدول العالمة القوية المتقدمة ، تسبقنا بأشواط وأشواط ، يبدو أن ليس من قطعها من سبيل . وها قد أفاد الله على الإنسان العربي بثروة بتولية هائلة ، يتحلب لها ريق الدول القوية ، وها هي ثروات بعض الدول العربية تقدر بأرقام فلكية ، ويبدو أنها لا تكاد تقع تحت حصر ، بل تفوق كل تقدير . وإنا لفرصة سانحة لعل الإنسان العربي أن يهتبلها ، بكل ما استطاع من سرعة ، ومن قوة ، فيلجأ إلى تعليم أبناء الأمة العربية جميعاً فالعلم والتعليم هما أولاً وثانياً ... وعاشراً . والسبيل الوحيد إلى القوة والمجد . وينبغي أن يكون ذلك وفق خطة مدروسة متكاملة ، فتنشأ المدارس في كل قرية بل في كل دسكرة ، وتنشأ المعاهد التكنولوجية في كل مركز ، وتنشأ الجامعات والمعاهد المتخصصة

بعامة نجد أن القاعدة العريضة أمية أو تكاد ، بل إن رصيدها من الأمية يزداد عاماً بعد عام ؛ وذلك لأن الزيادة في السكان لا تقابلها زيادة في عدد المتعلمين ، أو أن الزيادة في عدد المتعلمين لا تناسب مع الزيادة الهائلة في السكان ، وكذلك ارتفعت نسبة الأمية في العشرين سنة الأخيرة من ٥٠٪ إلى أكثر من ٨٠٪ فكيف تفهم هذا ، القاعدة العريضة الأمية - وقد اجتمع عليها الجهل والفقر - مشكلات العصر ؟ وكيف تستجيب لأحداث ؟

إن أهمية التعليم في المجتمعات الحديثة ، ليست بالنسبة للموهوبين نخسب ، ولكن ينبغي أن يكون السكل قادراً على القراءة والكتابة كل ساعة من كل يوم ، حتى يكونوا قادرين على الحكم على الأحداث ، وفهم مجرياتها والتصرف بمقتضاها . إذا لم توجد هذه القاعدة العريضة المتعلمة فلن يرتفع البناء ، وحتى لو ارتفع إلى حين فإنه سينهار وشيكاً ، ثم إن هذه القاعدة العريضة المتعلمة هي وحدها القادرة على تقبل ومساندة هذه القمة من الموهوبين الممتازين ، حتى يكون ثمة توازن في المجتمع العربي بين القاعدة والقمة بشرط أن يكون التعليم وفق احتياجات المجتمع من المتخصصين الدارسين زراعيين ومهندسين وأطباء وصيادلة أو كيميائيين أو باحثين علميين أو جيولوجيين في مختلف فروع المعرفة الأساسية أو التطبيقية ، وأن يكون ذلك وفق تخطيط مدروس ، بحيث لا يكون هناك فاض عاطل ، يكرن عبثاً على المجتمع ومن الخير إنشاء معاهد متخصصة لتخريج

الأثر الواسع العريض ، مألوفاً لاجتذاب نحن
الخبرات الأجنبية ، فستوردها ، لترفع من
إمكاناتنا وتزيد في خبراتنا ، ونتمكن للإنسان
العربي في أرضه أولاً ، وإنه لقادر بعد ذلك أن
يستعمل بقوته وأن يدل بعلمه ، فيأتي إلينا العلماء
من كل حذب وصوب يعاونون في استغلال
ثرواتنا ، المعدنية والزراعية والصناعية والعمراية
والعلمية .

ما أشد حرصي على أن أرى هذا الذي أدعو
إليه واقعاً ، فيتعلم المائة مليون عربي الذين
يقطنون أرض الوطن العربي ، من المحيط إلى
الخليج ويتسلحون بالعلم والخلق والقيم التي دعا
إليه الدين الحنيف ، من صدق وأمانة وجد
وإخلاص وتفان في سبيل الواجب ، وعمل منير
بنا في سبيل رفعة الإنسان العربي وقوته ومنعته
وهو في طريقه إلى مشارف القرن الخامس
عشر الهجري .

والله المستعان ، وهو الموفق ، وعلى الله قصد

السبيل

في كل قطر ، كل بحسب احتياجاته وعدد سكانه ،
وتنشأ مراكز البحث العلمي في كل قطر وفي كل
صقع ، بحسب الاحتياجات الزراعية أو الصناعية
أو المعدنية . وهما هي الرقعة المنزرعة والقابلة
للزراعة في حاجة إلى أموال لاستصلاحها
واستزراعها ، وهما هي الأرض الصحراوية
المنبسطة ، والتي تبلغ مساحتها تسعة أعشار مساحة
الوطن العربي كله ، في حاجة إلى إعذاب المياه
الملحة المحيطة بها في البحار والمحيطات ، وثمة ثروات
وموارد معدنية مخبوءة في باطن الأرض هنا
وهناك ، تحتاج إلى العلم والخبرة لاستخراجها
واستنباطها وهما أبناء الوطن العربي . على أهبة
الاستعداد لخدمة أوطانهم . . ما وجدوا التقدير
والتوقير اللازمين فلا تجذبهم الدول القوية المتقدمة
بما تسبغه عليهم من تقدير ، وما تقدمه عليهم من
أسباب ، وما يجودونه لديها من إمكانيات علمية
ومادية ، ومعملية ، ومكتبية ، وما تهيه لهم من
وسائل البحث العلمي المنظم .

ومالنا وقد أفاء الله علينا من نعمائه هذا

عبد الحليم منتصر
عضو الجميع



من إيجاز الحذف في القرآن الكريم

للككتور أحمد الحوئي

كفروا وكذبوا بآياتنا أوليس ، صحاب النار هم فيها خالدون (٢) .

وقوله سبحانه : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلمهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣) .

وقوله جل وعز : (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤتهم في الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) (٤)

ومثال الجملة الفعلية قوله تعالى : (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس) (٥) .
وقوله سبحانه : (وربك يخلق ما يشاء ويختار) (٦) .

ولأنه ليسترعى الانتباه أن أسلوب القرآن الكريم امتاز فيما امتاز به بحذف خبر المبتدأ في كثير من الآيات .

ولقد اختلف المفسرون في هذا الحذف على التفصيل الذي سأعرضه وأعقب عليه ، متدرجا مع المفسرين تدرجا زمانياً مرتباً على سنوات الوفاة .

(٢) سورة البقرة ٣٩

(٤) سورة النحل ٤١

(٦) سورة القصص ٦٨

يجرى القرآن الكريم على أنواع من الإيجاز، منها إيجاز الحذف بالاستغناء عن كلمة أو جملة أو جمل ، لأن في الكلام المذكور ما يدل على المحذوف لفظاً أو سياقاً ، فلا خفاء في معرفة المحذوف ، ولا إخلال بالفهم ؛ ولهذا اشترطوا أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى (١) .

والغرض من هذا الحذف إثارة انتباه المخاطب وإثارة شوقه إلى إدراك المعنى ، فيعظم في نفسه شأنه حينما يدركه ، كما أنه يشعر بمسرة حينما يستنبط بنفسه ما حذف من الكلام .

هذا إلى ما في الحذف من تحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل ، مع الوفاء بالمعنى وتشويق المخاطبين .

والأصل في خبر المبتدأ ألا يحذف ، لأن المبتدأ والخبر معاً يؤديان المعنى المراد .

فإذا كان الخبر جملة اسمية أو فعلية فلا بد من اشتغالها على رابط يعود إلى المبتدأ أو يصله بالخبر .

مثال الجملة الاسمية قوله تعالى : (والذين

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١١١/٣

(٣) سورة النحل ٢٧٤

(٥) سورة المؤمنون ٧٥

(الآية الأولى)

قال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجوار ذى القربى والجوار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ؛ إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً . الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويسكتون ما آتاهم الله من فضله ، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً)^(١) . فأين خبر (الذين) ؟

ذهب الطبري (٣١٠ هـ) إلى أن الله لا يحب المختال الفخور الذي يبخل ، ويأمر الناس بالبخل . وقال إن (الذين) يحتمل أن يكون في موضع رفع رداً على ما في قوله (فخوراً) من ذم ، ويحتمل أن يكون نصبا على الذمت لمن^(٢) .

وذهب الزمخشري (٥٣٨ هـ) إلى أن (الذين) بدل من قوله (من كان مختالاً فخوراً) أو نصب على الذم ، أو رفع على الذم ، ويجوز أن تكون (الذين) مبتدأ خبره محذوف ، كأنه قيل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أحقاه بكل ملامة^(٣) .

وذهب القرطبي (٦٧١ هـ) إلى أن (الذين)

في موضع نصب على البدل من (من كان مختالاً) ولا يكون صفة ، لأن (من) و (ما) لا يوصفان ولا يوصف بهما ، ويجوز أن يكون في موضع رفع ، فيعطف عليه قوله تعالى : (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس) ويجوز أن يكون ابتداء والخبر محذوف ، أى الذين يبخلون لهم كذا ، أو يكون الخبر (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) ، ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار أعني^(٤) .

أما النيسابوري (٧٢٨ هـ) فلم يذكر شيئاً^(٥) ، وكذلك ابن كثير (٧٧٤ هـ)^(٦) .

تعقيب

١ — يبدو التكلف في إعراب (الذين) نعتاً لمن أو بدلاً من (من) لأن هذا الإعراب قائم على تأويل « من كان مختالاً فخوراً » بالجمع لينسجم التعبير مع (الذين) .

كما يبدو التكلف في إعراب (من) مفعولاً لفعل ذم محذوف ، لأن الآية السابقة تدص على كراهية الله تعالى للمختال الفخور ، وهذه الكراهية أشد من الذم ، فكيف يستحق المختال الفخور كراهية الله له ، ولا يستحق هذه الكراهية البخل بنعم الله الذي يأمر غيره بالبخل بل يستحق الذم لحسب ؟

(١) سورة النساء ٣٦ — ٣٧

(٢) تفسير الطبري ٥/٤٠

(٣) الكشاف ١/٢٦٨

(٤) تفسير القرطبي ١٩٢٥

(٥) النيسابوري . في هامش الطبري ٥/٤٨

(٦) ابن كثير ١/٤٩٦

رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر .
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا» (١)

ذكر الطبري أن (الذين) في موضع جر
عطفا على (الكافرين) في الآية السابقة
«وأعدنا للكافرين عذابا مهينا» (٢)

ولم يتعرض الزمخشري لموقع (الذين) (٣)
وقال القرطبي (٦٧١ هـ) إن (الذين) معطوف
على «الذين يبخلون» ، وقيل هو عطف على
(الكافرين) فيكون في موضع خفض (٤) .

وقال النيسابوري (٧٢٨ هـ) إن (الذين)
معطوف على «الذين يبخلون» (٥)

ولم يتعرض ابن كثير (٧٧٤ هـ) لموقع
(الذين) (٦)

تعقيب

أستبعد إعراب (الذين) في موضع جر
عطفا على (الكافرين) في الآية السابقة ، لأن
الذين ينفقون أموالهم مرأاة للناس ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ألصق بالكفر من الذين
يبخلون بنعم الله ويكتمون خيره وفضله ، فكيف
يوصف هؤلاء البخلاء بالكفر ويتوعدهم الله

هذا إلى أن الذوق لا يستريح إلى هذا التقدير
ولا يستريح إلى إعراب (الذين) مقبولا لفعل
محذوف تقديره أغنى . .

وأما إعراب (الذين) مبتدأ عطف عليه
«والذين ينفقون» ليكون الخبر مؤخرا على هذه
الصورة فإنه إبعاد للخبر عن المبتدأ .

٢ — فما التقدير الذي يستحق الإيثار ؟
لقد ذكر هذا التقدير بعض المفسرين فيما
سبق ، وهو أن (الذين) مبتدأ خبره محذوف .

فإذا أردنا تقديره تقديرا صحيحا كان علينا
أن نتدبر ختام الآية السكرية ، وهو قوله تعالى
«وأعدنا للكافرين عذابا مهينا» ، وتقدير هذا
الخبر يحى على هذه الصورة : الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من
فضله كفاز بنعم الله ، أو مستحقون لعذاب الله ،
وقد أعد الله للكفار عذابا مهينا .

ومن هنا يتبين أن التذييل «وأعدنا
للكافرين عذابا مهينا» دل على خبر المبتدأ ،
وأغنى عنه .

الآية الثانية

قال سبحانه : «والذين ينفقون أموالهم

(١) سورة النساء ٣٨

(٢) تفسير الطبري ٥٦/٥

(٣) الكشاف ١/٣٦٨

(٤) تفسير القرطبي ٥/١٩٣

(٥) تفسير النيسابوري على هامش الطبري ٥/٨١

(٦) تفسير ابن كثير ١/٤٩٦

أين خبر (الذين) ؟

لم يذكر الطبري شيئا (٢) .

ورأى الزمخشري أن « لا تكلف نفسا إلا وسعها » جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتسبه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح (٣) .

ومعنى هذا أن جملة « أولئك أصحاب الجنة » هي الخير .

ورأى القرطبي أن « لا تكلف نفسا إلا وسعها » كلام معترض ، وأن خبر (الذين) هو « أولئك أصحاب الجنة » (٤) .

ورأى النيسابوري هذا الرأي ، وزاد عليه أنه يصح أن تكون جملة « لا تكلف نفسا إلا وسعها » هي الخبر ، والعائد محذوف تقديره « لا تكلف نفسا منهم » (٥) .

ولم يذكر ابن كثير شيئا عن موقع (الذين) (٦)

تعقيب

خير ما قالوه في إعراب الآية الكريمة أن

بعتاب الكفار ، ثم بجيء تابعا لهم ومعطوفا عليهم الذين ينفقون مراماة للناس الجاحدون بوجود الله تعالى المنكرون ليوم القيامة ؟

هذه ملاحظة ، والملاحظة الثانية أن « الذين ينفقون » لو كانت معطوفة على (الكافرين) لكان الأولى أن يكون الأسلوب والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس .

وأما إعراب « الذين ينفقون » معطوفا على « الذين ينجلون » فإنه لم يحقق شيئا لأن الخبر مازال في حاجة إلى تقدير فإ الوجه الصحيح ؟

أرى أن خبر (الذين) محذوف دل عليه قوله تعالى « ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » أي : الذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر عصاة لله ، أو خاضعون للشيطان ، أو مستحقون عذاب الله ، ومن يكن الشيطان قرينا له جره إلى هذا المسير .

(الآية الثامنة)

وقال تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفسا إلا وسعها ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (١)

(١) - سورة الأعراف ٤٢

(٢) تفسير الطبري ١٣٣/٨

(٣) الكشف ٦٢/٢

(٤) تفسير القرطبي ٢٠٧/٧

(٥) على هامش الطبري ٩٥/٨

(٦) ابن كثير ٢١٤/٢

والذين آمنوا ، مبتدأ خبره ، أولئك أصحاب الجنة .

(الآية الخامسة)

وقال سبحانه : (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة ، إنا لا نضيع أجر المصلحين (٣)) .

لم يعرض الطبري لإعراب (الذين (٤)) . وذكر الزمخشري وجهين : أحدهما أن (الذين) مرفوع بالابتداء وخبره (إنا لا نضيع أجر المصلحين) ؛ لأن المحسنين في معنى الذين يمسكون بالكتاب ، كقوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا (٥)) .

والرأى الآخر أن (الذين) مجرور بالعطف على (الذين يتقون) في قوله تعالى : (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) .

ويكون قوله تعالى : (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) اعتراضا (٦) .

لكن هذا القول محتاج إلى تصويب ، لأن الاعتراض هو (أفلا تعقلون) وأما (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) فهو تذييل لا اعتراض .

ولكن هذا لا يمنع من تقدير خبر محذوف مفهوم من قوله تعالى (أولئك أصحاب الجنة) تقديره مثلا : ثوابهم عظيم ، فيكون الأسلوب على هذه الصورة : الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثوابهم عظيم ، لا يكاف الله نفسا من العمل الصالح إلا ما تطيقه ، أولئك أصحاب الجنة .

ومعنى هذا أن نهاية الآية الكريمة أشارت إلى خبر المبتدأ ودلت عليه .

(الآية الرابعة)

وقال سبحانه وتعالى : (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ؛ إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (١) .

لم يذكر الطبري ولا الزمخشري ولا القرطبي ولا النيسابوري ولا ابن كثير شيئا عن موقع (الذين) (٢) .

ويبدو من ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) أن الخبر محذوف تقديره : مغفور لهم ، أو مقبولة ثوابهم أو ناجون من النار .

(١) سورة الأعراف ١٥٣

(٢) الطبري ٤٩/٩ والكشاف ٩٥/٢ والقرطبي ٢٩٢/٧ والنيسابوري ٤٨/٩ وابن كثير ٢٤٨/٢

(٣) سورة الأعراف ١٧٠

(٤) تفسير الطبري ٧٤/٩

(٥) سورة السكف ٣٠

(٦) الكشاف ١٠٢/٢

ولم يتعرض للإعراب القرطبي ولا
النيسابوري ولا ابن كثير (١) .

تعقيب

أستبعد أن يكون (الذين) يسكون
بالكتاب معطوفاً على « الذين يتقون » في الآية
السابقة ، لأن الذين يتقون أعم من الذين يسكون
بالكتاب ، ولأن بين المعطوف والمعطوف عليه
قوله تعالى « أفلا تعقلون » ولأن المعطف كان
يتعين لو جاءت الآية على هذا النسق : وللذين
يسكون بالكتاب .

كذلك أستبعد أن يكون الخبر « إنا
لا نضيع أجر المصلحين » لأنه لا رابط في هذه
الجملة يعود على المبتدأ ، وإعرابها خبراً يقتضي
تقدير رابط هو منهم مثلاً ، ولا داعي
لإعراب قائم على تقدير ما دام التعبير محتملاً
لوجه آخر .

فما هذا الوجه الآخر ؟

أرى أن قوله تعالى : « إنا لا نضيع أجر
المصلحين » تذييل يوحى بالخبر المحذوف ، وأصل
التعبير هو : والذين يسكون بالكتاب ويقومون
الصلاة وإياهم عظيم عند الله ، إن الله لا يضيع
أجر من يحسنون عملاً .

(الآية السادسة)

وقال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ،
إن الله لقسوى عزيز . الذين إن مكناهم في
الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،
وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، والله
عاقبة الأمور » (٢) .

ما موقع (الذين) من الإعراب ؟
رأى الطبري أن (الذين) رد على الذين في
قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ،
قبل هاتين الآيتين » (٣) .

ورأى الزخشري أن (الذين) في محل نصب
بدل من قوله تعالى : « من ينصره » أو في محل
جز تابع للذين في قوله تعالى : « الذين أخرجوا
من ديارهم » (٤) .

ونقل القرطبي عن الزجاج أن (الذين) في
محل نصب على البدل من (من) في قوله تعالى :
« ولينصرن الله من ينصره » وقال غير الزجاج
لأنها في موضع جر على البدل من الذين في قوله
سبحانه : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » (٥) .
وذكر النيسابوري أنها بدل من قوله تعالى :
« الذين أخرجوا » أو بدل من « من ينصره » (٦) .
أما ابن كثير فلم يذكر شيئاً (٧) .

(١) القرطبي ٣١٣/٧ والنيسابوري ٦٩/٩ وابن كثير ٢٦٠/٢

(٢) سورة الحج ٤٠ — ٤١ .

(٣) تفسير الطبري ١٢٦/١٧

(٤) الكشف ٣٥/٣

(٥) تفسير القرطبي ٧٢/١٢

(٦) على هامش الطبري ٩٣/١٧

(٧) تفسير ابن كثير ٢٣٦/٣

تعقيب

استبعد أن تكون كلمة (الذين) معطوفة على الذين في قوله تعالى : «أذن للذين يقاتلون» أو على الذين في قوله سبحانه : «الذين أخرجوا من ديارهم» أو أن تكون بدلا من الذين في هذه الآية الأخيرة ؛ لأن الفصل طويل بين المعطوف والمعطوف عليه ، وبين البديل والمبدل منه .

وخير من هذا أن تكون بدلا من (من) في قوله تعالى : «من ينصره» كما ذكر الزمخشري والقرطبي والنيسابوري .

ولكنني أفضل أن تكون كلمة الذين مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله تعالى : «ولله عاقبة الأمور» فيكون التقدير مثلا : لهم العاقبة ، أو لهم النصر ، أو هم الغالبون .

(الآية السابعة)

وقال سبحانه : «كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» (١) .

فإذا أردنا معرفة موقع الذين يجادلون ، من الإعراب وجدنا عدة آراء :

أما الطبري فإنه ذكر أن الذين في موضع

نصب بدل من «من هو مسرف» (٢) .

وأما الزمخشري فإنه ذهب إلى أن الذين يجادلون ، بدل من «من هو مسرف» فإن قلت : كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد ؟ قلت لأنه لا يريد مسرفا واحدا ، فكأنه قال كل مسرف . فإن قلت : ألا يجوز أن يكون «مسرف» جمعا ، ولهذا أبدلت منه «الذين يجادلون» ؟

قلت : بلى ، هو جمع في المعنى ، وأما اللفظ فموحد يحمل البديل على معناه .

ويجوز رفع «الذين يجادلون» على الابتداء ، ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في (كبر) تقديره جدال الذين يجادلون كبر مفتا .

ويحتمل أن يكون «الذين يجادلون» مبتدأ ، وبغير سلطان أتاهم ، خبرا ، وفاعل (كبر) قوله تعالى (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ، و«يطبع الله» كلام مستأنف .

ومن قال : كبر مقتا عند الله جدالهم ، فقد حذف الفاعل . والفاعل لا يصلح حذفه ، وفي «كبر مقتا» ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد إشكاله من الكبار .

(١) سورة غافر ٣٤ - ٣٥

(٢) تفسير الطبري ٢٤/٢٢

تعقيب

لا أستبعد إعراب (الذين يجادلون) بدلا من (من هو مسرف مرتاب) .
ولكننى أوشر أن يكون «الذين يجادلون» مبتدأ خبره محذوف مفعول من ختام الآية الكريمة ، والتقدير على هذا : الذين يجادلون في آيات الله بغير دلائل مبطلين أو محقوتين أو مطموس على قلوبهم ، بل هذا الجدل الممحوت ، كذلك يطمس الله على قلوب المتكبرين .
وهذا التقدير لا يجوز جئنا إلى تمحل ولا إلى تأويل .

الآية الثامنة

قال تعالى : (والله لا يحب كل مختال فخور .
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) (٥) .

فما إعراب «الذين يبخلون» ؟

قال الطبري : إن أهل العربية اختلفوا ، فقال بعضهم : استغنى بالأخبار التي لأشبابهم ولهم في القرآن الكريم ، كما قال تعالى : (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعنا به الأرض أو كلم به الموتى) (٦) ولم يكن في هذا الموضع خبر ، وقال آخرون من أهل العربية : الخبر قد جاء في الآية التي قبل هذه (٧) .

يريد قوله تعالى : (والله لا يحب كل مختال فخور)

وعلق ابن المنير بأن الأولى أن يجعل الضمير في «كبر» راجعا إلى مصدر الفعل المتقدم وهو تقديرى كبر جدالهم وقتنا ، ويجعل «الذين يجادلون» مبتدأ على تأويل حذف المضاف ، تقديره : جدال الذين يجادلون في آيات الله ، والضمير في «كبر مقتا» عائد إلى الجدل المحذوف ، والحلة مبتدأ وخبر (١) .

وذكر القرطبي أن «الذين» في موضع نصب على البدل من «من هو مسرف مرتاب» ، ونقل عن الزجاج أن الأصل كذلك يضل الله الذين يجادلون في آيات الله ، فالذين في محل نصب ، ثم قال : ويجوز أن تكون الكلمة مرفوعة على معنى هم الذين ، أو على الابتداء والخبر «كبر مقتا» (٢) .

وذكر النسفي (٧٠١ هـ) أن «الذين» بدل من «من هو مسرف» وجاز لإبداله وهو جمع لأن المراد كل مسرف (٣) .

وذكر النيسابوري نقلا عن الزمخشري أن كلمة الذين مبتدأ على تقدير حذف المضاف أى جدال الذين يجادلون كبر ، ثم قال وجوز آخرون أن يكون التقدير : الذين يجادلون كبر جدالهم ، على حذف الفاعل للقريئة (٤) .

(١) الكشف وهاشم ٣٧١/٣

(٢) تفسير الطبري ٣١٣/١٥

(٣) تفسير النسفي ٢٥٠/٢٤

(٤) على هامش الطبري ٤٥/٢٤

(٥) سورة الحديد ٢٤/٢٣

(٦) سورة الرعد ٣١

(٧) تفسير الطبري ١٣٦/٢٧

(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزى المجرمين (٤)) .

لكن خبر إن حذف في بعض الآيات ، لدلالة السياق عليه ، كما حذف خبر المبتدأ .

الآية الأولى

قال سبحانه وتعالى : (إن بالذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . وأولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار (٥)) .

فأين خبر إن الأولى ؟

لقد اختلف المفسرون في هذا على التفصيل الذي سأعرضه متدرجاً معهم تدرجاً زمنياً مرتباً على سنوات الوفاة ثم أعقب عليه ، وأبدى الرأي الذي أراه .

١ - ذكر الطبري (٣١٠ هـ) ثلاثة أوجه :

الأول أن خبر إن الأولى قوله تعالى :

(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) فيكون معنى الكلام إنا لا نضيع أجر من عمل صالحا ، فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثاني بغية التكرير ، كما قال الشاعر :

إن الخليفة إن الله سريره

سريال ملك به ترجى الخواتيم

وقال القرطبي إن «الدين» في موضع خفض لأنها نعت للمختال ، وقيل في موضع رفع لأنها مبتدأ ، أي الذين يبخسون فآله غنى عنهم (١) .

تعقيب

الاستغناء بالأخبار التي لأشباههم لا يمنع من تقدير خبر ، لأن الآية الكريمة «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ، فيها خبر لو محذوف ، لكنّه يقدر بنحو لكان هذا القرآن .

أما القول بأن الخبر جاء في الآية السابقة لهذه الآية فعناه أيضا أن الخبر محذوف ، لكن ماهو ؟

أرى أن الخبر مفهوم من ختام الآية ، وهو قوله تعالى : (ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) . فيكون تقدير الخبر هو : لا يحق يخلهم إلا بهم ، أو لا يضرون الله شيئا يخلهم .

(ثانياً)

حذف خبر إن

الأصل في خبر إن أن يذكر لتتم الجملة ، سواء أكان مفرداً نحو قوله تعالى : (إن ربك حكيم عليم (٢)) . أم جملة اسمية نحو قوله سبحانه : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم (٣)) ، أم جملة فعلية مثل قوله سبحانه :

(١) تفسير القرطبي ٢٥٩/١٧

(٣) سورة الأنعام ٨٣

(٣) سورة لقمان ٨

(٤) سورة الأعراف ٤٠ الجبل : الحبل القلبيظ

(٥) سورة المكف ٣٠ - ٣١

٣ - وذكر القرطبي (٦٧١ هـ) رأيين :
أولهما أن جملة « إنا لا نضيع » خبر إن ،
لأن في الكلام إضماراً ، أى لا نضيع أجر من
أحسن عملاً منهم .

والآخر أن الخبر « أولئك لهم جنات عدن »
وجملة « إنا لا نضيع » معترضة (٤) .

٤ - وذكر النيسابورى (٥٧٢٨ هـ) رأيين
أيضاً ، هما :

الأول أن الخبر جملة « أولئك » لأن جملة
« إنا لا نضيع » معترضة .

والثانى أن جملة « إنا لا نضيع » خبر ،
وجملة « أولئك » خبر آخر ، أو كلام مستأنف
ليبيان الأجر أو لبيان المبهم ، والرابط بين اسم
إن وخبرها « إنا لا نضيع » هو معنى العموم ،
لأن « من أحسن عملاً » يقوم مقام الرابط
المحذوف ، والتقدير من أحسن عملاً (٥) .

٥ - أما ابن كثير (٧٧٤ هـ) فلم يعرض
لهذا الموضوع (٦) .

تعقيب

١ - نستطيع أن تعترض على اختيار جملة
« إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً » خبراً
بأن هذا الاختيار يحتاج إلى تقدير رابط ، سواء
أكان الرابط كلمة منهم أم العموم في « من »

والثانى أن يكون قوله تعالى : (إن الذين
آمنوا) جزء (١) ، فيكون معنى الكلام إن
من عمل صالحاً فإنه لا نضيع أجره ، فتضمير الفاء
في « إنا » .

والثالث أن يكون خبر إن (أولئك لهم
جنات عدن) فيكون معنى الكلام إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم جنات
عدن (٢) .

٢ - وذكر الرخشى (٥٢٨ هـ)
ثلاثة آراء :

الأول أن « أولئك » خبر إن ، و « إنا
لا نضيع » اعتراض .

والثانى أن جملة « إنا لا نضيع » و « أولئك
لهم جنات عدن » خبران معاً .

والثالث أن « أولئك » كلام مستأنف بيان
للأجر المبهم . ثم قال : إن قلت : أين الضمير
الراجع إلى المبتدأ في جملة « إنا لا نضيع » اذا
جعلتها خبراً ؟

قلت : « من أحسن عملاً » و « الذين آمنوا »
وعملوا الصالحات » ينتظمهما معنى واحد ، فقام
« من أحسن عملاً » مقام الضمير ، أو المراد
من أحسن عملاً منهم ، كقولك السمن منوان
بدرهم (٣) .

(١) يقصد بالجزاء الشرط

(٢) تفسير الطبرى ١٥٩/١٥

(٣) الكشاف ٢/٣٨٩

(٤) تفسير القرطبي ١٠/٣٩٦

(٥) على هامش الطبرى ١٥٨/١٥

(٦) تفسير ابن كثير ٣/٢٨

بل انه ضرب من بلاغة الإيجاز المعتمدة على
اللمح وعلى خوى الكلام المذكور .

الآية الثانية

قال تعالى : (إن الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد
بظلم نذقه من عذاب أليم^(١)) .

فأين خبر إن ؟

١ - لم يذكر الطبرى شيئاً^(٢) .

٢ - وقال الزمخشري إن الخبر محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه ، تقديره إن الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام
نذيقهم من عذاب أليم ، وكل من ارتكب ذنباً
فهو كذلك^(٣) .

٣ - وقال القرطبي : الخبر محذوف مقدر
عند قوله تعالى « والباد » تقديره خسروا
أو هلكوا .

وجائز أن يكون - وهو الوجه - الخبر
« نذقه من عذاب أليم » قال أبو جعفر : وهذا
غلط ، ولست أعرف ما الوجه فيه ، لأنه جاء
بخبر إن مجزوماً ، وأيضاً فإنه جواب الشرط ،

أحسن ، والاسمهاد بيت الشعر غير سديد ،
لأن بيت الشعر فيه ضمير ملفوظ يعود
إلى الخليفة .

كذلك نستبعد أن يكون الخبر هو الجملتان
معاً ، جملة « إنا لا نضيع » وجملة « أولئك »
لأن هذا تكلف .

ولا يرتضى أن تكون جملة « إنا لا نضيع »
معتزلة والخبر جملة « أولئك » لأن الفصل بين
اسم إن وخبرها طويل أما تقدير « إن الذين
آمنوا » بمعنى الشرط وجواب الشرط هو « إنا
لا نضيع » على اضممار الفاء فيه ، فإنه تكلف
مركب .

٢ - وأنه لخبر من هذا كله أن تقدر خبر
إن محذوفاً دلت عليه بوضوح جملة « إنا لا نضيع
أجر من أحسن عملاً » وجملة « أولئك لم
جنات عدن » .

فما تقديره ؟

تقديره الذى أسترخ اليه : إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ثوابهم عظيم أو جزاءهم الجنة
أو مقربون إلى الله تعالى .

وليس فى هذا التقدير تكلف ولا تمحل ،

(١) سورة الحج ٢٥

(٢) تفسير الطبرى ١٧/١٠٣

(٣) الكشف ٣/٣٠

(٣) تفسير القرطبي ١٢/٣٢

(١) على هامش الطبرى ١٨/٨٢

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢١٤

الآية الثالثة

قال سبحانه : (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفن يلقى في النار خيرا أم من يأتي آمناً يوم القيامة ؟ اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير .

إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ، وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (٣) .

أين خبر إن في قوله تعالى : « إن الذين كفروا بالذكر » ؟

١ — لم يذكر الطبري شيئا هنا (٤) .

٢ — وقال الزمخشري : جملة « إن الذين كفروا » بدل من جملة « إن الذين يلحدون في آياتنا » لأنهم لكفروهم به طعنوا فيه ، وحرفوا تأويله (٥) .

٣ — وقال القرطبي : الخبر محذوف تقديره هالكون أو معذبون ، وقيل الخبر « أولئك ينادون » وقوله تعالى « ما يقال لك » كلام معترض .

ولو كان خبر إن 'لبقى الشرط بلا جواب ، ولا سيما والفعل الذي في الشرط مستقبل ، فلا بد له من جواب (١) .

٤ — وقال النيسابوري خبر إن محذوف دل عليه جواب الشرط ، كأنه قيل إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله نذيقهم من عذاب أليم ، ومن يرد فيه بإلحاد فو كذلك (٢) .

٥ — ولم يذكر ابن كثير شيئا (٣) :

تعقيب

١ — لا يصح أن تكون جملة « نذقه من عذاب أليم » هي خبر إن ، لأن هذا يفتقر إلى تكلف ياباه الأسلوب الجيد ، فما بالناس بأسلوب القرآن الكريم ؟ وقد سبق فيما ذكره القرطبي ما يغني .

٢ — ومن المصادقات الطيبة أني وجدت ما كنت أوتره وأميل إليه ، إذ جاء في تفسير الزمخشري والقرطبي ما وافقه ، وهو أن الخبر محذوف دلت عليه جملة الشرط ، والتقدير إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام عذابهم شديد .

(١) تفسير القرطبي ١٧/١٠٣

(٢) على هامش الطبري ١٧/٨٢

(٣) سورة فصلت ٤٠ — ٤٣

(٤) تفسير الطبري ٢٤/٧٨

(٥) الكشاف ٣/٣٩٣

تفقيب

والرأى الأول هو المختار عند النحويين جميعا

فما علمت كما قال النحاس (١) .

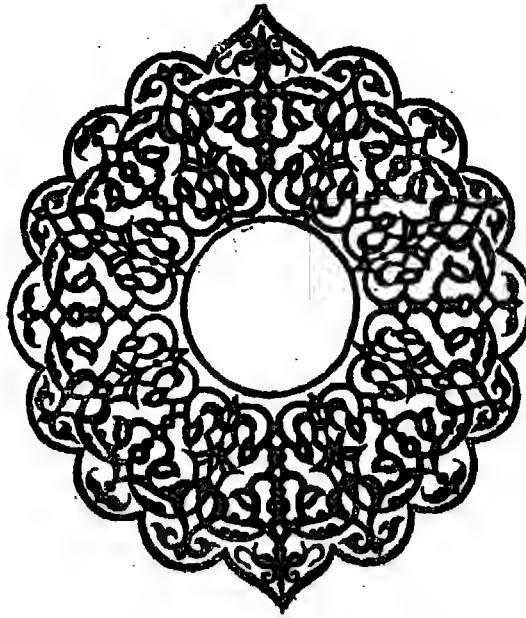
١ - يبدو التكلف في إعراب « إن الذين كفروا » بدلا من « إن الذين يلحدون » وفي جعل « أولئك ينادون من مكان بعيد » خبرا لأن ، وذلك أن بين اسم « إن » وخبرها أربع آيات .

٥ - ولم يذكر النيسابوري شيئا (٢) .

٢ - ويتبين الصواب في تقدير الخبر محذوفا دلت عليه الآيات الثلاث ، أي « إن الذين كفروا بالقرآن وهو حق كله مصيرهم إلى النار » أو عقابهم شديد ، أو عذابهم أليم .

٥ - أما الزركشي (٥٧٩٤) فإنه رأى أن الخبر محذوف ، أي يعذبون ، وقال إنه يجوز أن يكون الخبر « أولئك ينادون من مكان بعيد (٣) » .

احمد الحوفي
عضو المجمع



(١) تفسير القرطبي ٣٦٧/١٢

(٢) على هامش الطبري ١٢/٢٥

(٣) البرهان في علوم القرآن ١٤٠/٣

تحقيق لسان العرب

- ٥ -

لأستاذ عبد السلام هارون

والصواب أن البيت لصخر الغي في ديوان
الهذليين ٧٦:٢ وشرح السكري ٣٠١:١ واللسان
(خلف) وهو من قصيدة أولها :

لشما بعد شتات النوى

وقد كنت أخيلت برقاً وليفا

٨٠٤ - (طرق) ٩٠ س ٧ وبيروت ٢٢٠
والمخطوطة كذلك قول الراجز في صفة لخل
من الإبل :

تقاتل خالاته عمامته آباءه فيها وأمماته

وليس بين خالاته وعمامته ثأر أو قتال ،
ولكن بينهما - علم الله - وفاقا تاما في الكرم
والعتق . والمقابل : الكريم النسب من قبل
الآبوين ، وهنا قابلت الخالات العمات في الكرم
والنجاة . فالصواب « مقابلا » بفتح الباء
الموحدة .

٨٠٥ - (طلق) ١٠١ س ٦ وبيروت ٢٣١
والمخطوطة أيضا قول النابغة :

تناذرها الراقون من سوء سمها

تطلقه طورا وطورا تراجعها

٨٠١ - (شقوق) ٥٣ س ١٩ وبيروت
١٨٦ : « الليث : الشقراق وللشقوقاق لغتان :
طائر يكون في أرض الحرم في منابت النخيل » .
ونحو هذا النص في القاموس ، وصوابه « في
أرض الحرم » كما في المخطوطة والتهذيب . وقال
الزبيدي في تاج العروس معلقا : « هكذا في النسخ
والصواب بأرض الحرم بالجيم كما هو نص الليث »
والجزم : الحر ، نقيض الصرد .

٨٠٢ - (صيق) ٧٦ س ٢٣ وبيروت
٢٠٨ : « أنشد ابن الأعرابي :
لي كل يوم صيغة فوقى تأجل كالظلاله »

وضبطه الصحيح : « كالظلاله » بكسر
الظاء ، كما في التهذيب والقاموس . وفي القاموس :
« وبالكسر : السحابة تراها وحدها وترى ظلها
على الأرض » . ونسب البيت في التاج إلى
أسماء بن خارجة .

٨٠٣ - (طرق) ٩٠ س ٧ وبيروت ٢٢٠
والمخطوطة : قال الأعشى :

فلما جزمته به قربتي

تيممت أطرقة أوخليفاء

والبيت مشهور في شعر النابغة ، والصواب
« تراجع » بدون هاء كما في الديوان ٥١ .
وأول القصيدة :

عفا ذو حسي من فرقتي فالفوارع

لجنا أريك فالتلاع للدوافع

٨٠٦ (طوق) ١٠٢ س ٢١ وبيروت ٢٢٢
والخطوة : « التهذيب : أنشد عمر بن بكر ،
والصواب « عمر بن بكر » بالتصغير ، كما في
التهذيب بنية الوجاهة ٣٦٠ . وقال السيوطي : « عمر
ابن بكر صاحب الحسن بن سهل ، قال ياقوت :
كان نحويا أخباريا راويا ناسبا ، عمل له الفراء
معاني القرآن ، وصنف كتاب الأيام في
الغزوات » .

وفي فهرست ابن النديم ٩٨ : « قال أبو العباس
ثعلب : كان السبب في إملاء كتاب الفراء في
المعاني أن عمر بن بكر كان من أصحابه ، وكان
منقطعاً إلى الحسن بن سهل ، فكسب إلى الفراء :
إن الأمير حسن بن سهل ربما سألني عن الشيء
بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب ،
فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً ، أو تجعل في ذلك
كتاباً أرجع إليه . فقال الفراء لأصحابه : اجتمعوا
حتى أملّ عليكم كتاباً في القرآن . فجعل لهم
يوماً .

٨٠٧ - (عنق) ١٠٩ : ٢٤ والخطوة :
« اعتدق فلان بكرة من إبله » ، إذا أعلم عليها
ليقبضها ، ، والصواب « ليقبضها » كما في التهذيب
واللسان (قبض) وفيه : « اقتبض فلان بكراً ،
إذا ركبته ليذله قبل أن يراض » . وناقصة قبض

وبكر قبض بكراً ، وفيه أيضاً : « وانه
واقبضتها : أخذتها من الإبل قضياً فرمضتها » .

٨٨ - (عنق) ١١٠ : ١١ وبيروت
٢٢٩ . « كذبت عذائته وعذائته » . وفي
المخطوطة . « عذائته » باهمال نقط هذه الباء التي
بعد الألف ، والصواب « عذائته » بالنون ، كما
في التهذيب . في اللسان (عذن) أن العذانة :
الاست ، والعرب تقول : كذبت عذائته . وقد
وجدت معنى هذا التعبير في اللسان (عقق) ،
وفيه : « وكذبت عفاقته ، أي استه ، إذا
حبق » .

٨٠٩ - (عرق) ١١١ : ١٩ وبيروت
٢٤١ والمخطوطة أيضاً . « وهذا مثل قولهم :
حتى يشيب الغراب ويبيض الفأر » بالفاء والهمز
لكن في المخطوطة : « الفار » بدون همز ، وهو
تصحيف عجيب ، والصواب « ويبيض القار » ،
كما في التهذيب ، والحيوان ٥٢٨٠ . ولعل السر
في هذا التصحيف إرادة المصحف أن يجعل
الأمر كله مسرحاً للحيوان ما بين غرابه وفأره .
والقار ، بالقاف هو الزفت أو شيء شبيه به .
وأنشد في اللسان (غرب) لمعاوية النخعي :

فهذا مكان أو أرى القار مغرباً
وحتي أرى صم الجبال تكلم

وقال في تفسيره : « ومعناه أنه وقع في مكان
لا يرضاه ، وليس له منجى إلا أن يصير القار
أبيض وهو شبه الزفت - أو تكلمه الجبال .
وهذا مالا يكون ولا يصح وجوده عادة » .

٨١٠ - (عرق) ١٢١ : ٤ وبيروت ٢٤٩
والخطوطة كذلك قول الشماخ :

ما إن يزال لها شأو يقدمها

مجرى مثل طوط العسرق مجدول

والصواب د محرب ، بالحاء المهملة وكسر
الراء المشددة وكما في التهذيب . والشأو ، غنى به
الزمام ، كما في اللسان (شأى) عند رواية البيت .
وقد شبه الشأو بالطوط ، وهو الحية . والعرقى :
الجلبل . أما المحرب فهو من التحريب ، وهو
التحريش ، وهو هنا الحث على سرعة السير .
كما أن رواية البيت في اللسان (شأى ، طوط) :
د يقومها . وفى (طوط) فقط : د يقومها
مقوم ، . وهذا ما يحمل على الرتبة فى صحة
د يقدمها . والبيت مع هذا لم يرد فى قصيدته
التي على هذا الروى فى ديوانه وإن كان قد ورد
فى حواشى الطبعة الثانية .

٨١١ - (عق) ١٢٥ : ٤ وبيروت ٢٥٣
والخطوطة قول الشاعر :

ولأنك معفاك الزيارة واجتنب

إذا جئت لك كثر الكلام المعيبا

وفى التاج د المعقبا صوابهما د المعيب ،
بالجر ، صفة للكلام كما فى التهذيب . أو د لمعقب ،
بالجر أيضا .

٨١٢ - (عق) ١٢٨ : ٤ والخطوطة :

د وروى شمر أن المعقر بن حباب البارقي . وإنما
هو د المعقر بن حمار ، كما ورد فى طبعة بيروت
ص ٢٥٦ . والخبر فى مجالس ثعلب ٣٤٧ . وهو
المعقر بن أوس بن حمار كما فى الاشتقاق ٢٨١ .

واسم المعقر د سفيان ، كما فى الأغاني ١٠ : ٤٤
— ٤٥ والمزهر ٢ : ٢٧٣ والخزانة ٢ : ٢٩١
ونوادر المخطوطات ٢ : ٢٢٣ . قالوا : سمى
معقرا بقوله :

لهانا هض فى الوكر قد مهدت له

كما مهدت للبعل حسناء حائر

وهو صاحب البيت السائر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

وفى اللسان نفسه (عقر) : د ومعقر : اسم
شاعر ، وهو معقر بن حمار البارقي .

٨١٣ - (عق) ١٢٩ : ١٦ وبيروت ٢٥٧
والخطوطة قول رؤبة :

* طير عنها النسر حولى العقق *

وصوابها : د طير عنها اللس ، كما فى
المقاييس (عقق) . واللس ، من قولهم :
لست الدابة الحشيش تلسه بالسانها لسا :
تناولته وتنتفه بجحفلتها . وأما النسر فهو للطين
الجارج ، يقال نسر البازى اللحم بمنقاره :
تنتفه .

٨١٤ - (عق) ١٣٢ : ١٠ وبيروت ٢٦٠
والخطوطة أيضا : د وقال ابن برى : هو للأشعر
الجعفى ، وإنما هو د الأسعر ، بالسين المهملة كما
فى التهذيب والصحيح . وانظر المؤلف ٤٧
والاشتقاق ٤٠٨ والمزهر ٢ : ٢٤٨ وسمط اللالى
٩٤ ونوادر المخطوطات ٢ : ٢٩٣ واللسان والتاج
(سيعر) . واسمه مرثد بن أبى حمران الجعفى ،
سمى الأسعر لقوله :

والخطوطة كذلك : د والمعشق : مخرج أعناق
الجبال ، صوابه د الجبال ، بالجيم كما في التهذيب .
ومن عجب أن قبله في اللسان نفسه : وعنى الجبل :
ما أشرف منه .

٨١٩ (عنق) ١٤٦ : ١٩ وبيروت ٢٧٤
والخطوطة ، قول أبي ذؤيب :

بأطيب منها إذا ما النجو
م أعنقن مثل هوادى ...

مع نقص آخر البيت . وكتب مصحح
بولاقي : د هكنا هو في الأصل . وهو ناقص
الآخر . وأقول : تمامه كما في اللسان (صدر)
وشرح السكري ١١٧ : د هوادى الصدر . وفي
ديوان الهذليين ١ : ١٤٩ : د مثل توالى البقر ،
وبروى كذلك : د توالى الصدر ، كما شرح
السكري .

٨٢٠ - (عنق) ١٤٧ : ١٨ وبيروت
١٧٤ والخطوطة : د أنشد ابن الأعرابي لقربط
يصف الذئب ، صوابه : د قرط ، وهو الملقب
بذئ الحرق . انظر المؤلف والمختلف ١١٩ ، ١٠٩
والخزانة ١ : ٢٠ . وفي القاموس عند الكلام
على ذئ الحرق : د وقرط ، أو ابن قُسط . أى
ويقال ذو الحرق بن قرط .

٨٢١ - (عنق) ١٥٣ : ٢٢ وبيروت
٢٨٠ والخطوطة أيضاً قول الشاعر :

وعاندت الثريا بعد هدم
معاندة لها العيون جارا
وهو خطأ ، صوابه د جار ، بالرفع كما في

فلا يدعنى قومي لسعد بن مالك
لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

٨١٥ - (عنق) ١٣٨ : ٥ وبيروت ٢٦٦
والخطوطة كذلك : د قال المفضل السكري ،
ولمّا هو د السكري ، بالنون المضمومة ،
نسبة إلى نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس .
وهو المفضل بن معشر بن أسهم بن عدى بن سويد
بن عذرة بن منبه بن نكرة . واسم المفضل
عامر ، كما في كتاب ألقاب الشعراء لابن حبيب
في نوادر الخطوط ٢ : ٣١٦ وشرح
شواهد المغنى للسيوطى ٦٢ . سمي المفضل بقصيدته
المنصفة المروية في الأصمعيات ١٩٩ .

٨١٦ - (عنق) ١٤١ : ٥ وبيروت ٢٦٦
والخطوطة ، قول الشاعر :

وماهى إلا في إزار وعلقة

مغار ابن همام على حى خنما
والشاعر هذا هو حميد بن ثور كما في كتاب
سبويه ١ : ٢٢٤ من تحقيق كاتبه ، وليس في ديوانه
كما في حواشى الكتاب . و د مغار ، بالفتح
لاوجه له ، إذ لا يقال غار على القوم ؛ وإنما
يقال أغار عليهم . وفي الكتاب الكريم :
د فالمغيرات صبحا . فالصواب د مغار ، بضم
الميم مصدر ميمى من أغار .

٨١٧ - (عنق) ١٤٤ : ١٦ وبيروت
٢٧٢ والخطوطة أيضاً : د ذكر السراب وانقياس
الجبال فيه إلى أعاليها ، الصواب د وانقياس
الجبال ، بالجيم لا بالخاء . كما في التهذيب .

٨١٨ (عنق) ١٤٥ : ١٨ وبيروت ٢٧٣

المفضليات ٣٤٠ . والبيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه ٦٦ والمفضليات ، من قصيدة أولها :

ألا بان الخليل ولم يزاروا

وقلبك في الظعائن مستعار

٨٢٢ - (عيق) ١٥٤ : ١٩ وبيروت ٢٨١

قول ساعدة بن جؤية :

ساد تجرم في البضيع ثمانيسا

يلوى بعيقات البحار ويجنب

ووردت « يلوى » في المخطوطة بكسر الواو

فقط ، ووجه ضبطها « يلوى » بضم الياء وكسر

الواو . انظر التصحيح رقم ٢٤٩ .

٨٢٣ - (غرق) ١٦٠ : ١٢ وبيروت

٢٨٦ والمخطوطة أيضاً قول الراجز :

إذ أنت غرناق للشباب ميا

ذودأيتين ينفجان السربال

والصواب « ينفجان » كما في مجالس ثعلب

٦٤٣ . ينفجان ، من النفج بالجمع ، ومعنى ينفجان

يمتلآن ويرفعان . وذلك أن الدأيات أطول

الضلوع كلها وأتمها

٨٢٤ - (فأق) ١٧٠ : ٢٢ وبيروت

٢٩٦ : « ولا كاف مفأق : مفرج ، صوابه

« مفأق » ، كما في المخطوطة والتهذيب .

٨٢٥ - (فتق) ١٧١ : ٢٠ والمخطوطة ،

قول الشاعر :

« كنصل الراعي فتق »

والراعي ، بالراء : جنس من الحمام حسن

الهديل عظيم البدن ، ذكره الجاحظ في مواضع

كثيرة من كتاب الحيوان . فأني يكون للحمام

نصال أو رماح ١٩ والصواب « الراعي » بالزاي

المعجمة ، كما ورد في اللسان (زعب) ، وقد جاء

مصححاً في طبعة بيروت ١٩٧ .

والراعي : الريح الذي إذا هز كان كعوبه

يجرى بعضها في بعض ، للنية .

٨٢٦ - (فرق) ١٧٥ : ٣ وبيروت ٣٠

والمخطوطة : « وهي قوله تعالى : وأوحينا إلى

موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق » .

وصواب التلاوة : « فأوحينا » بالفاء ، وهي الآية

٦٣ من سورة الشعراء . نسأل الله العافية من

تحريف كتابه . انظر لأمثال هذه التحريفات

تحقيق النصوص ٤٨ - ٤٩ من الطبعة الرابعة .

٨٢٧ - (فرق) ١٧٦ : ٢١ وبيروت

٣٠٢ : « إذا لم تكن واصبة متصلة النبات » .

ووردت « واصه » في المخطوطة مهمة النقطة

جميعه ، والصواب « واصية » بالياء المثناة التحتية .

وفي اللسان (وصى) : « وأرض واصية : متصلة

النبات » والوصى كذلك : النبات الملتف .

٨٢٨ - (فرق) ١٧٧ : ١٧ - ١٨

وبيروت ٣٠٢ والمخطوطة أيضاً : « يوم الفرقان ،

وهو يوم بدر ، لأن الله أظهر من نصره ما كان

بين الحق والباطل » . والعبارة منقوصة ، وتامها

كما في التهذيب : « أظهر من نصره ما كان فيه

فرقان بين الحق والباطل » .

٨٢٩ - (فرق) ١٧٩ : ١٤ قول كثير :

وذفرى كسكاهل ذبيخ الخليلف

أصاب فريقة ليل فعائنا

وقد أهمل ضبط فاء « الخليلف » في كل من

بيروت ٣٠٤ والمخطوطة ، وإن كان السكون في

المخطوطة قد وضع فوق ياء الخليف، كما هو المتبع
في كثير من النسخ القديم، يضعون السكون
فوق ياء المسد . والصواب « الخليف »
بكسر الفاء .

والبيت من بحر المتقارب . وللمتقارب
عروضان فقط : الأولى الصحيحة ، والثانية
المجزأة المحذوفة . أما الصحيحة فلا يعترها من
العلل إلا علة الحذف للسبب الخفيف ، وهي
جائزة كما صرح الدمهوري بذلك في حاشيته ٦٦ .
وأما علة القصر وهي حذف ساكن السبب
الخفيف وإسكان متحركه فلا تصح في هذه
العروض ، وهي ما ترتب على نطق « الخليف »
بالإسكان . وأما ما يترتب على ضبط الفاء
بالتحريك فهو زحاف القبض وهو حذف
الخامس الساكن ، وهو جائز وورد في كثير من
أشعار العرب كقول المرقش الأكبر في
المفضليات ٢٥٠ :

دما بدم وتعنى الكريم

ولا ينفع الأولين الممل

وقول عوف بن عطية في المفضليات ٤١٣ .

أحيي الخليل وأعطى الجزيل

حياء وأفعل فيه اليسارا

وقول حاجب بن حبيب فيها ٣٦٩ :

ينجم على الساقى بعد الثمان
جموماً ويبلغ إمكانها

وقول أبي فراس في ديوانه ٢ : ٢٦ :

وأنت الكريم وأنت الحليم

وأنت العطوف وأنت الحذب

وما زلت تسعنى بالجميل

وتزلى بالجناب الخصب

وقد وردت عسلة القصر المشار إليها في

الضرب الثاني من العروض الأولى الصحيحة ،

كما في قول أمية بن أبي عائذ الهذلي فيما مثل به
صاحب متن السكافي :

ويأوى إلى نسوة بائسات

وشعري مراضيع مثل السعال (١)

وعما يجدر التنبيه عليه أن هذا الخطأ قد

تكرر سابقا في مادة (عيث) من اللسان .

فليراجع وليصحح .

٨٣٠ - (فرق) ١٨١ : ١٠ وبيروت ٣٠٦

والمخطوطة ، قول الراجز .

وهي إذا أدركها العيدان

وسطعت بمشرف شبهان

وفي المخطوطة وردت الياء في « العيدان »

مهملة النقط ، كما وردت الشين والياء في « شبهان »

مهملة النقط . أما الكلمة الأولى فضوابها .

(١) نسب البيت في حاشية لدمهوري ٦٦ إلى أبي أمية الهذلي ، والصواب ما أثبت . كما أن الرواية المشهورة

في البيت :

ويأوى إلى نسوة عطل وشعنا مراضيع مثل السعال

وإطلاق الروي بالسكسر هو الأكثر . وقال ما داب الخزائنة ١ : ٤١٨ : « وأنشد هذا البيت العزوين ،

منهم الأخفش بن سميد « مثل السعال » بإسكان اللام . لأنهم جعلوه من المتقارب من الضرب الثاني من العروض »

وذكر البكري في السبط ٦٠ أن قصيدة هذا البيت يجوز فيها التقييد والإطلاق .

«العبدان» مثنى عبد . وصواب الثانية :
«شيخان» بالياء المثناة التحتية لابل بالياء الموحدة.
والشيخان هنا : الطويل ، وهو صفة للعنق
المشرف .

وقد وردت «شيخان» بعد الرجز مصحفة
كذلك . فلتصحح بالياء .

٨٣١ - (فرزدق) ١٨٢ : ١٠ - ١١
وبيروت ٧٠٧ والمخطوطة أيضا : «يقال للمعجين
الذى يقطع ويعمل بالزيت مشق» ، وصوابه
«مشق» ، كما في التهذيب واللسان نفسه مادة
«شق» ، وفيه . : والمشق المعجين الذى يقطع
ويعمل بالزيت . .

٨٣٢ - (فلق) ١٨٦ : ١٠٩٩ وبيروت
٣١١ : «والفلق : المقطرة . وفي الصحاح :
«الفلق : مقطرة السجان» ، والصواب : «المقطرة»
بكسر الميم كما في التهذيب والصحاح والقاموس
«قطر» ، حيث نص صاحب القاموس على كسر
الميم ، وكما تقتضيه أسماء الآلات . وقال في
الصحاح : «وهى خشبة فيها خروق تدخل فيها
أرجل المحبوسين» . وفي القاموس : «خشبة فيها
خروق على قدر سبعة رجل المحبوسين» .

٢٢٨ - «فلق» ١٧٦ : ٩٦ وبيروت ٢١١
والمخطوطة كذلك ، قول الكميت :

في حومة الفيلق الجأواء إذ نزلت

قسراً وهيضلها الخشخاش إذ نزلوا

صوابه «قسراً» بالرفع ، وهى قبيلة من بجيلة
وقد سبق تفصيل القول في هذا التنبيه رقم ٥٦٦ .

٨٣٤ - (فوق) ١٩٥ : ٦ وبيروت ٣١٩
والمخطوطة ، قول الشاعر :

وحُدوس السرى تركت رديئا
بعد جد وجسرة ورشاقه

صوابه «وحُدوس السرى تركت رذيا»
كما في أمالي الزجاجي ٤٩ وهى التى اعتمد عليها
ابن منظور في هذا النص . أما العدوس فهو من
الإبل القوى على سرى الليل ، يقال عدوس
للذكر والأنثى أيضا . وأما الرذى فهو من
الإبل المهزول الهالك الذى لا يستطيع براحا
ولا ينبعث . والأنثى رذية . وقبل البيت :

رب كأس هرقها ابن أوى

حذر الموت لم تكن ممرافقه

٨٣٥ - (فوق) ١٩٦ : ٩ : ويقال ما بـ «بـلـت»
منه بأفوق ناصل ، صوابه : «ما بـلـت» ، كما في
التهذيب واللسان (بلل ٧٠) حيث ذكر هذا
المثل وقال : «وبـلـت به بلا : ظفرت به» .
والأفوق : السهم الذى أنكسر مفرقه والناصل :
الذى سقط نصله . وقد وردت بهذا الضبط الصحيح
في طبعة بيروت ٢٢٠ وجاءت في المخطوطة
بجردة من الضبط .

٨١٦ - (قرق) ١٩٧ : ٢٢ وبيروت
٢٢٢ قول الراجز :

«مصبأ وقربانا متناصى قرقا»

وقد وردت بهذا التحريف أيضا في اللسان
«قرقس» . وفي المخطوطة وردت «قربانا» مهملة
نقط الباء ، والصواب «قربانا» بالياء المثناة
التيهية ، كما في التهذيب وديوان روبة ١١٠ .
والقريان : جمع قرى ، وهو مسيل الماء من
التلاع .

٨٢٧ - (فوق) ٢٠١ : ١ : ٢٠١ وبيروت
٣٢٥ والمخطوطة كذلك قول النابغة :
كان غديرهم بجنوب سكي

نعام قاق في بلد قفار
والنسبة إلى « النابغة » موهمة أنها للنابغة
الذبياني ، وليس كذلك ، بل هو النابغة الجعدي
كما في كتاب سيبويه ١ : ٢١٤ بتحقيق كاتبه
وانظر ملحقات ديوانه ٢٤٢ . ونسبه ابن ربي
إلى شقيق بن جزء بن رباح الباهلي . كما أن
صوابه « كان غديرهم » بالعين المهملة بعدها
ذال معجمة . والعذير : الصورت ، كما في تفسير
سيبويه لليليت ، وكما عند الشنتمري . ولم أجده
سنداً إلا نص الكتاب . وقد وردت الرواية
على الصواب أيضاً في اللسان (سلال) والانصاف
لابن الأنباري ٤٧ .

٨٣٨ - (قيق) ٢٠١ : ١٤ وبيروت ٣٢٥
والمخطوطة : « حجارة غاص بعضها ببعض »
والوجه « غاص بعضها ببعض » كما في التهذيب
أى مستمسك بعضها ببعض .

٨٣٩ - (لبق) ٢٠٢ : ١ وبيروت ٣٢٦
والمخطوطة : « وامرأة لبق » : ظريفة رقيقة ،
ويلقب بها كل ثوب ، والوجه « لبق » كما في
التهذيب ، وكما تقتضيه طبيعة اشتقاق المادة .
ولا تزال هذه الكلمة الفصيحة مستعملة في لغة
أهل الكويت والخليج العربي .

٨٤٠ - (لفق) ٢٠٦ : ٢٥ وبيروت ٣٣١
والمخطوطة ، قول الشاعر :
ويا رب ناعية منهم
تشدد اللفاق عليها إزارا

وهذه هي أيضاً رواية ديوان الأعشى ٣٨ .
وبما يؤيدها أن قبله في القصيدة :
فأقلت قوما وأعمرتهم
وأخربت من أرض قوم ديارا

لكن رواية التهذيب ، وهي مظنة النقل
« فيارب ناعمة منهم » وهذه الرواية وجهها .

٨٤١ - (مرق) ٢١٦ : ٢ وبيروت ٣٤٥
« سمعت بعض العرب يقول : أطمعنا فلان
مرقة مرقين » يريد اللحم إذا طبخ ثم
طبخ لحم آخر بذلك الماء ، وجاءت كلمة
« مرقين » في المخطوطة مهملة الضبط . ووجه
ضبطها « مرقين » بلفظ الجمع لا بلفظ التثنية ،
كما في المقاييس والتهذيب . ويؤيده ما ورد في
اللسان (علا ٢٢٧) من استعمال العرب لهذه
الكلمة بلفظ الجمع وفيها : « وسمعت العرب
تقول : أطمعنا مرقة مرقين ، تربد اللحمان
إذا طبخت بماء واحد . وأنشد :

قد رويت إلا دهيدھينا
قليصات وأبيكرينا

لجمع بالنون لأنه أراد العدد الذي لا يحده
آخره . وكذلك قول الشاعر :

فأصبحت المذاهب قد أذاعت
بها الإعصار بعد الوابلينا

أراد المطر بعد المطر غير محدود . وكذلك
عليون : ارتفاع بعد ارتفاع .

وذكر أن هذه الأسماء تعرب لإعراب جمع
المذكر السالم لأنها على لفظه .

تاج العروس : د (وانتبق الكلام) انتبأ
وانتبطه انتبأ : (استخرجه) ،

٨٤٦ - (نفق) ٩:٢٢٦ وبيروت ٣٥٨
قول الشاعر :

شدا ومرفوعا بمُحَرَّبٍ مثله
للورد لا نَفِيقٌ ولا مستوم

وفي المخطوطة : د مقرب ، باهمال فقط
الحرف الأول ، ومع ندوم ضبط د مثله ،
وجهه : د يقرب مثله ، كما في التهذيب وديوان
لبيد ١٢٩ . والبيت من قصيدة له في الديوان .
والشد : العدو . والمرفوع : أشد من الشد .
أى مثل هذا الشد يقرب الحمار للورد .

٨٤٧ - (نوق) ٢٤٢ : ١٨ وبيروت
٢٦٤ قول الراجز :

مُحَنَّة ساقى بأياذى ناقى
أعجلها الشاوى عن الاحراق

وبعده : د ويروى بين كنى ناقى ، وفي
المخطوطة : د ساقى بأياذى ناقى ، و د كنى
ناقى ، . والصواب في نص الرجز :

* مُحَنَّة ساقى بأياذى ناقى *

وفي التعليق بعده : د بين كنى ناقى ، بغير
همز . والساق معروفة ، وبداخلها المنخ وهو
نقى العظم . والناقى : الذى يستخرج النقى من
العظم ، يقال نقوت العظم ونقيته .

٨٤٨ - (همق) ٢٤٨ : ١٥ قول الراجز :
* لبابة من همق عيشوم *

٨٤٢ - (مرق) ٢١٨ : ١٨ وبيروت
٢٤٢ قول الشاعر :

يا ليتنى لك مئزر متمرَّق
بالزعفران لبسته أياما

وجاء بعده : د متمرَّق : مصبوغ بالعصفر ،
أكن وردت د متمرَّق ، في المخطوطة مضبوطة
بتشديد الراء فقط . والصواب د متمرَّق ، بزنة
اسم الفاعل كما في التهذيب ، وهو ما يقتضيه قول
ابن منظور نفسه : د وتمرَّق الثوب : قبل ذلك .

٨٤٣ - (مشق) ٢٢٠ : ١٨ د إذا
اصطكت أليته حتى تشحجا ، وفي بيروت ٢٣٤
د تشحجتا ، وليس للتشحج سند في اللفظ
ولا في المعنى ، والصواب د تشحجا ، بالسين
المهمل كما في المخطوطة ، أى تشحجا ، بحذف
إحدى التامين . والتشحج : التقشر .

٨٤٤ - (نبق) ٢٢٨ : ٣ - ٤ وبيروت
٣٥١ والمخطوطة : د ابن الأعرابي : أنبق ونبق
ونَبَّق ، كله إذا غرس شراكا واحدا من
الوادي ، . ووضع فى المخطوطة سكون على
ألف الوادى ، . وصواب هذا الودى ، كما فى
التهذيب واللسان (نبق ٣١١ س ١٣) . والودى
على فاعل : فسيل النخل وصغاره ، واحده
ودية .

٨٤٥ - (نبق) ٢٢٨ : ٨ وبيروت ٣٥١
والمخطوطة أيضا : ينتبق للكلام وانتبأ وينتبطه
أى يستخرجه ، صوابه د ينتبق الكلام ،
بالتعدية ، كما فى التهذيب . وفى القاموس مع

ويعار : مواضع في بلاد بني سليم . وأما « تعار »
بالتاء فهو من بلاد قيس .

٨٥٠ - (ودق) ٢٥١ : ٢٣ وبيروت
٢٧٢ والمخطوطة قول الراجز .

* كوم الذرى وادقة سراتها *

والرجز لعمر بن لجأ (١) في الاصحيات ٢٤
والخزاة ٣ : ٧٨ والعينى ٣ : ٥٨٣ .

وقبل الشطر :

* أنعتها إني من نعاتها *

فالصواب « وادقة سراتها » بنصب سرات
بالكسرة ، كما يقتضيه روى الراجز . والكلمة
موضع استئهاد محوى على أن وادقة صفة
مشبهة وفاعلها ضمير مستتر فيها ، وسراتها منصوب
بالكسرة على التشبيه بالمفعول للصفة المشبهة .

عبد السلام محمد هارون

وفي المخطوطة : « لبانة » ، صوابها « لباية »
بالياء المثناة التحتية ، كما في اللسان (لبى) وطبعة
بيروت ٣٦٩ . واللباية : البقية من التبت عامة ،
وقيل البقية من الحمض ، أو هو شجر الأمطى .

٨٤٩ - (وبق) ٢٤٩ : ٢٠ وبيروت
٢٧٠ والمخطوطة قول الشاعر ، وهو خفاف
ابن نديبة السلمي كما في الاصحيات ١٥ :

وخاد شرورى والستار فلم يدع

تعاراً له والوادين بموق

صوابه « وجاد » بالجم ، كما في التهذيب
والاصحيات . جاده : أصابه بالجود ، وهو المطر
الغزير . والذي في التهذيب والاصحيات :
« يعار » بالياء بدل التاء . وشرورى والستار

(للبحث بقية)

(١) عند العيني أن صاحب الراجز « عمر بن لجاء » وضبطه بقوله « باطاء المهلة » وصوابها « لجأ » كما
سبق في التنبيه رقم ٧٣١ .

قول في النحو

للسيد محمد سوقي أمين



اللغة العربية التي احتوتها

كتب النحو ، تنطوي على كثير من الفروع

والتفصيلات والاستثناءات، وذلك طوعا واختلاف
ضور الكلام في التقديم والتأخير والحذف
والإيصال، والإظهار والإخفاء، وما يتخلل أركان
الجل من القيود أو الصلات أو الفضلات. ومن هذه
الصور ما هو قياسي ، وما هو غالب ، وما هو
كثير ، وما هو قليل ، وما هو نادر ، وما هو شاذ.
وإن بسط هذه التفصيلات ، وبيان منزلتها
من القلة والكثرة ، يجعل قواعد العربية واسعة
كل السعة ، ويبلغ بتفصيلاتها وتفرعاتها مبلغا
لا يحصله إلا متفرغ للنحو ، صارف أطول عمره
وأفسح دهره في التعرف والحفظ والمذاكرة.

وقد جرى أهل العربية منذ القدم على أن
هذه هي اللغة ، وأن رجال النحو والتصريف
إنما قعدوا هذه القواعد ، ونسقوا تلك
التفصيلات ، استنباطا من كلام العرب المعتمد به
فيما حصلوه . فهم بما ضبطوا من قواعد ،
وما رتبوا من مسائل ، يصورون أساليب الكلام
الفصيح في جملته وتفصيله .

والنحاة في الغالب يحتاجون إلى قاعدة

ولكل جزئية من جزئيات القواعد بأمثلة من
البيان العربي ، وأكثرها يستشهدون به من الشعر
وحججهم في إثبات الشواهد الشعرية أن النثر غير
متناقل ولا يحصل في الصدور ، إلا أقله . ولكن
الشعر أكثره محفوظ مروي ، وهو بوزنه ضابط
لنطق الكلمة المراد الاحتجاج بها ، مصور
لصيغة الجملة التي هي مناط الاستنباط .

على أننا لو تأملنا مليا لعلم لنا جليا أن
كثيرا مما يسرده النحاة ، ويعمرون به أبواب
القواعد ، من أشد التفصيل والتفريع ، وألوان
الجواز والاستثناء ، وصنوف الضوابط
والشرايط ، لا صورة له في النثر المسأثور عن
العرب .

وعلى الرغم من أن أهل العربية — على
ترادف الاحقاب — قد لقنوا هذه التفصيلات
جميعا ، فإن بيان البلغاء من الكتاب ، تخلو
تعبيراته وجمله من أكثر ما يقتضيه ذلك التفريع
والتنويح في كتب النحاة . فالتراكيب المستعملة
في النثر العربي خلال خمسة عشر قرنا لا تجري
إلا في قليل من تلك الصور التي تشتمل عليها
أبواب النحو والتصريف .

فعلام تدل هذه الظاهرة ؟

نثر القرآن والحديث ليس فيه إلا شيء قليل من تلك التفصيلات التي زخرت بها قواعد النحاة .

ولنجدن الكاتب يبلغ أعلى مراتب التجويد في الكتابة ، ويسمو إلى أرفع طبقات البلاغة في الإنشاء ، على حين أن طرائق تعبيره ، وألوان أساليبه ، لا يعلق بها كثير مما تبارت كتب النحو في تبيينه وتفصيل أحكامه .

فإن نحن رجعنا إلى الشعر ألفيناه يحفل بكل ما أتعب النحاة أنفسهم فيه ، وجهدوا جهدهم لضبطه ، وما ذلك إلا لأن أواملك النحاة حين انبروا لضبط قواعد الكلام ، وتسجيل ظواهر التراكيب والأساليب ، جعلوا نصب أعينهم في معظم أمرهم ما ييسر لهم جمعه من القصائد والمقطعات والابيات ، فكان الشعر مادتهم الغزيرة ومنهلهم المورد ، إليه رجعوا أكثر ما رجعوا ، وعليه عولوا أكثر ما عولوا ، ومنه استخرجوا أوفر ما استخرجوا من القواعد والأحكام .

وجلى أن الوزن والقافية يتحكمان في الشعر العربي كبير تحكم ، وأنهما يربدان الشاعر على أن يميل بأساليب بيانه تقديماً وتأخيراً ، ولما طاروا وإضماراً ، وحدفاً وإيضالاً ، تطويعاً للوزن ، وتأليفاً للقافية . فالشعر مغاير للنثر في الصوغ ، مخالف له في التركيب ، ولا يعزب هذا عن النظرة العابرة في أية قطعة مثورة حين يوزن بها شيء من القول النظم .

أليست تدل على أن العلة في كثرة فروع القواعد ، راجعة إلى طبيعة الشعر العربي في تقيده بالوزن والقافية ، فهو لذلك يقصر الشاعر العربي على أن يتصرف في أنماط الكلام وأساليب التعبير ، ليسلس له عنان الوزن ، ويسلم له سباط القوافي ؟

وإذا كان ذلك التفرع والتفصيل أثراً للشعر العربي وحده ، باعتبار ما فيه من ضرورات مباحة ، ألجأت إليها طبيعة النظم ، فلماذا تبسط هذه الضرورات المباحة في الشعر على أنها من قواعد النحو الشاملة للكلام شعره ونثره ؟

حقاً عنى النحاة بذكر ما خالف القواعد في الشعر ، ونصوا أبياتاً تتجلى فيها ألوان الخلاف ، وعدوا ذلك من الضرورات الشعرية ، حتى لقد أطلقوا عليها اسماً خص بها وعرفت به ، ذلك هو اسم « الضرائر » ، ولكن هذه الضرائر التي عنى النحاة بالنص عليها ، ليست إلا جانباً مما حشدوه من فروع القواعد ، واحتجوا له بالشواهد من الشعر ، وأطلقوا أحكامهم إطلاقاً ، كأنه جزء من القواعد العامة للكلام منشوره ومنظومه ، دون أن ينصوا على أنه ظاهرة من ظواهر الكلام المنظوم خاصة ، وأنه مما لا يجري في منشور الكلام .

كان للعرب مطلق التصرف في أساليبهم كما يريدون ونحن لما قالوا مسجلون ، وبهديهم مقتدون ، وهذا نثرهم الذي أشرعهم في الجاهلية والإسلام وكذلك

الشعرية ، غير مفتقر إليها ولا معول عليها من يتصرف ناثراً في فنون الكلام ؟

ولو تدبرت الأمثلة التي يشهد بها النحاة أو يصوغونها صوغاً لتصوير بعض الفروض التي يدعونها في تفريعات القواعد ومخترعاتها وقيودها ، لاستبان لك أنها لا تسوغ عادة في البيان المرسل ، وأنها ليست من مألوف ما تجرى به عذبات الألسن في القول المنشور .

وإن اليسير من هذه الأمثلة - بما لا تكلف فيه ولا تعقيد - لو استعمله كاتب على جهة التأنق في السبك ، لوضح للقارى أن نثر هذا الكاتب يدخل في باب الشعر ، ولمر بالخطأ أن هذا الكاتب يستعير تلك الأمثلة من محفظه الشعرية ويجريها مجرى التمثيل ، تحلية وزينة ، وذلك لما هو قار في النفوس من أن للنثر أساليب في نسق الجمل والتراكيب غير الأساليب الشعرية المتوارثة .

ربما يقال إن تلك التفاصيل النحوية تفيد في فهم الشعر ومعرفة أساليبه ، وهذا حق لا خلاف عليه . ولكن يجب أن نفرق بين أمهات القواعد التي هي طبيعة اللغة ، وعليها يدور مرسل الكلام ، وبين التفريعات والتشويكات التي أملاها على النحاة ما وجدوه في قصيد الشعراء من تراكيب ألقا إليها وزن الشعر وقافيته ، وأصبحت طابعاً للشعر العربي كله أو جلّه .

ولإذا كان النحاة قد بسطوا قواعد شاملة لم يميزوا فيها بين شعر ونثر ، فذلك لأن الشعر - كما أسلفنا القول - كان معولهم في الاستنباط ،

ولأننا لنلج ذلك في الشعر ، قديمه ومحدثه على السواء ، وأولئك هم الشعراء المعاصرون يجرّون في تركيب الجمل على أنحاء نفقدها في النثر ، وهيات أن يلجأ إليها الكاتب المرسل ، أو يرضى بها أو يجدها موافقة للانساق في الكلام .

ولقد يكون الشاعر كاتباً ، يستوى عنده النثر والنظم إتقاناً وبراعة ، فهو في كليهما مجود متأنق ، ولكنه إذا نظم تنابعت في نظمه أنماط من التعبير متشابكة تقتضي تلك التفاصيل النحوية ، فإذا نثر جرى كلامه في صور سهلة ميسورة من ناحية التركيب النحوي ، مع الجزالة وحسن السبك من ناحية التأليف البلاغي .

وليس الوزن والقافية وحدهما هما اللذان يحدوان الشاعر أن يصطنع تلك الألوان المتباينة من التراكيب ، فربما تيسر الوزن والقافية مع التركيب السهل المألوف ، بيد أن الشعر العربي قد اتخذ له منذ القرون الأولى طابعاً خاصاً يسميه النقاد الأقدمون : « عمود الشعر » ، وأبين خصائص هذا الطابع نسج العبارات وتأليف التراكيب ، ولذلك كله سلطانته على صاغة القريض ، فقد اتصلت تلك التراكيب الشعرية بالأذهان ، وتمكنت في الملسكات ، وهي تعرض للشاعر اعتياداً وانقياداً ، ومتابعة ومحاكاة ، وطلباً لذلك الإيقاع الموسيقي الذي نحسه في شعر القدامى ومن تابعهم على تعاقب العصور .

أليس يخلص لنا من هذا أن قواعد النحو في أغلب تفصيلاتها تسجيل لظواهر التراكيب

المرسل ؟ وقليلة هي أم كثيرة ؟ وعامة هي أم مقصورة على إحدى اللهجات ؟

فإن نحن أخذنا هذا المأخذ في دراسة النحو ، أفردنا أمهات القواعد ورءوس الأحكام من أشتباهت الفروض والصير التي ترد بين القلة والندرة والشذوذ ، واستصفينا نحو النثر من نحو الشعر .

ذلك قول في النحو ، أجملته في هذا الفصل ، وقد اختمرت عندي فكرته منذ عهد ، فرأيت أن أكشف به ، عسى أن يكون مدرجة إلى توجيه النحو العربي وجهة جديدة ، فيها لتعليق تيسير ، وفيها لذلك العلم المسكين مزيد من الدقة وحين التقسيم .

صفحة من نحو الشعر (١)

صور من ضمير الشأن

(١) يكون في الفعل ضمير الشأن ، كما يضار اسم كان في قوله :

إذا مت كان الناس صفتان شامت

وآخر مثن بالذي كنت أصنع

ومن ذلك قول الشاعر :

إذا ما المرء كان أبوه عبس

فحسبك ما تريد إلى الكلام

ومنه قول آخر :

متى ما يفد كسبا يكن كل كسبه

له مطعم من صدر يوم ومأكل

ولأنهم في مطلع وضع العلوم وتعميد الفنون جردوا عنايتهم لتسجيل ظواهر الكلام العربي مرسله وموزونه على وجه عام .

وشأن النحو في هذا الصنيع كشأن « البلاغة » بدأت أول ما بدأت لواضع وملاح في كتب الأدب ، لا تميز فيها ولا تقسيم ، وما زالت تنمو وتتطور حتى انقسمت بيانا ومعاني وبديعا ، ولكن النحو ظل ينمو ويزدهر دون أن ينقسم نحوا للنثر ونحوا للشعر ، ومن حق هذا أن يمتاز عن ذلك ، وأن تكون لكل منهما أحكامه وضوابطه .

لقد أحسن النحاة الأولون صنعا حين حصلوا كل شيء وجدوه ، وأقاموا من قواعده وأحكامه علما واسع الأبواب والفصول ، ضافي الذبول ، إلا أنه بقي على حاله منذ مطلع ، فلم يصب حظه من ذلك التطور الذي أصابه غيره من العلوم ، وما أحقه هو بأن يتطور ، وفقا لما تقتضيه قواعده وأحكامه التي تشمل جنسين متبايزين من الكلام ، هما المنظوم والمثور ، والجمع بينهما في القواعد والأحكام خلط وإيهام .

فعلينا اليوم أن نخرج بالنحو من جموده ، وأن نخطو به خطوة جديدة ، فنستقرى أبوابه بابا بابا ، ونستقرى قواعد الباب قاعدة قاعدة ، مستقصين ما لكل من محترزات وقواعد ، ومن ضوابط وشرائط ، متتخلين ما يساق عليها من أمثلة وشواهد ، ثم ننظر : أترجع هذه الصورة إلى الشعر وحده ، أم تسوغ في نسق الكلام

(١) نماذج توضح فكرة البحث وسنده .

وكأخمار اسم ليس في قول الشاعر :

هي الشفاء لداء لو ظفرت بها

وليس منها شفاء الداء مبدول

(ب) وضمير الشأن منوى في ظن وأخواتها ،
وأن وأخواتها كأخماره في (إخال) في قول
الشاعر :

أرجو وآمل أن تدنو مودتها

وما لإخال لدينا منك تنويل

ويؤولونه كذلك على تقدير لام الابتداء
مضغرة ، كقول الشاعر :

كذلك أدبت حتى صار من خلقي

أنى وجدت ملاك الشيمة الأدب

كتاب سيويه ح ١ - ٢٦ - ٢٩٦

المفصل لابن يعيش ح ٧٧ ، ح ٣ - ١١٦

ابن عقيل - باب ظن وأخواتها

صور من الفصل

١ - بين الناسخ وما دخل عليه

(١) يفصل بين الحرف الناسخ وما دخل
عليه بالجملة ، مثل قوله :

كأنّ وقد أتى حول كميل

أثافها حمامات مشول

(ب) ويفصل بين حرف النفي ومنفيه في
(ما زال) وأشباهها .

كقوله : ولا أراها تزال ظالمة

وقوله : ولا وأنى دهماء زالت عزيزة

ويجوز تقديم الخبر على الفعل وحده ، إذا
كان النفي بما ، نحو :
ما قائما زال زيد .

ولا يتمتع تقديم خبر مادام على دام وحدها ،
فتقول : لا أصبحك ما قائما دام زيد .

المغنى ح ٢ ص ٤٩

الخصائص ح ١ ص ٣٢١

ابن عقيل - باب كان وأخواتها

٢ - بين الجار والمجرور

من مواضع الجملة المعترضة بين شيئين لإفادة
الكلام تقوية وتسديداً أو تحسیناً ، الموضع
الذى تكون فيه الجملة بين الجار والمجرور ،
كقوله : اشتربته بأرى ألف درهم .

المغنى ح ٢ - ٤٩

٣ - بين المتضايين

مسائل الفصل الجائزة في السعة ثلاث :

إحداها أن يكرن المضاف مصدرأ والمضاف
إليه فاعله ، والفاصل مفعوله كقوله : فسقناهم
سوق البغاث الأجادل .

والثانية أن يكون المضاف وصفاً والمضاف
إليه مفعوله الأول والفاصل مفعوله الثاني
كقوله : وسواك مانع فضله المحتاج .

والتالفة أن يكون المضاف لا يشبه الفعل
وأن يكون الفاصل قسما ، كفولهم :

هذا غلام والله زيد .

وغير هذه المسائل يختص بالشعر .

الاشموني - باب الإضافة

الضرائر ١٤٣

صورة من حذف المضاف إليه

يحذف المضاف إليه ، ويبقى المضاف كجاءه
لو كان مضافا ، فيحذف تنوينه مثل قوله :

سقى الأرضين الغيث سهل وحزنها .
فنيطت عزى الآمال بالزروع والضرع

الاشموني - باب الإضافة

صور من إعمال المصدر

(١) يعمل المصدر المحلى عمل الفعل ،
فتكون الألف واللام بمنزلة التنوين ، ومنه قوله :

فإنك والتأبين عروة بعد ما
دعاك وأيدينا إليك شوارع

لكالرجل الحادى وقد تلح الضحا
وطير المناسيا فوقهن أواقع

وقوله :

ضعيف النكابة أعداءه
يخال الفرار يراخى الأجل

وقوله :

لقد علمت أولى المغيرة أننى
كررت فلم أنكل عن الضرب مسمعا

(ب) وإذا أضيف المصدر إلى فاعله ،
ففاعله مجرور لفظا مرفوع محلا ، فيجوز فى تابعه
مراعاة اللفظ فيجر ، ومراعاة المحل فيرفع ،
كقوله :

حتى تهجر فى الرواح وهاجها
طلب المعقب حقه المظلوم

فرفع المظلوم لكونه نعتا للمعقب على المحل .
(ج) وإذا أضيف المصدر إلى المفعول فهو
مجرور لفظا منصوب محلا ، فيجوز فى تابعه
مراعاة اللفظ أو المحل ، ومن مراعاة المحل قوله :

قد كنت داينت بها حسانا
مخافة الإفلاس والليسانا

فالليان معطوف على محل الإفلاس .

كتاب سيبويه - ح ١ ص ٩٩
ابن عقيل - باب أعمال المصدر

المفعول لأجله يصبح الألف واللام
ما صاحب الألف واللام يجر ، ويجوز النصب ،
ومنه قول الشاعر :

لا أقعد الجبن عن الهيجاء
ولو تالت زمر الأعداء

وقول الشاعر :

فليت لى يهم قوما إذا ركبوا
شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

خلاف بين البصريين والكوفيين في تحليل
رفع المضارع بعد « أن » ، فالكوفيون يقولون
لأنها مثل « ما » المصدرية ، والبصريون يقولون
لأنها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن
والحديث ، وقد يرد بعدها صدر الجملة الواقعة
خبراً بدون قد والنفي وما إليه ، كقول الشاعر :

يا صاحبي فدت نفسي نفوسكما
وحينما كتبنا لاقيتما رشدا

أن تحملا حاجة لو خف محملا
وتصنعا نعمة عندى بها وبدا

أن تقرأن على أسماء ويحكما
منى السلام وإلا تشمرا أحدا

وكقول ابن الدميني :

ولى كبد مقروحة من يديعى
بها كبدا ليست بذات قروح
أبى الناس ويح الناس أن يشترونها
ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكقول الآخر :

إبى زعيم يا نويقة
إن سلمت من الرزاح

أن تهبطين بلاد قوم
يرتعون من الطلاح

وكقول الآخر :

إذا كان أمر الناس عند مجوزهم
قلا بد أن يلقون كل يساب

الأشعوني — باب المفعول له

كتاب قواعد اللغة العربية
للمدارس باب المفعول لأجله

انحزام الفعل بالاستفهام

ومما جاء منجزاً بالاستفهام ، قوله :

منى أنام لا يورقنى الكرى
ليلاً ولا أسمع أجراس المطى

كأنه قال إن يكن منى نوم في غير هذه الحال
لا يورقنى الكرى ، كأنه لم يعد نومه في هذه
الحال نوماً .

كتاب سيبويه ح ١ — ٤٥٠

واو دخولها كخروجها

ومن أقسام الواو قسم يكون فيه دخول
الواو كخروجها ، وهى الزائدة ، أثبتت
الكوفيون والآخرش وجماعة ، والزيادة ظاهرة
في قوله :

فأبال من أسعى لأجبر عظمه
حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى

وقوله :

ولقد رمقتك في المجالس كلها
فإذا وأنت تعين من يبغي

المغنى ح ٢ — ٢٢

صدر من عمل « أن » ،

١ — رفع الفعل المضارع بدون فصل

وكقول الآخر :

العمل ولكن لا يكون اسمها إلا ضمير الشأن
محدوفاً ، وخبرها لا يكون إلا جملة ، وقد يبرز
اسمها وهو غير ضمير الشأن كقوله :

فلو أنك في يوم الرخاء سألتني
طلاقك لم أبخل وأنت صديق
وكقوله :

لقد علم الضيف والمملون
إذا اغبر أفق وهبت شمالا

بأنك ريسع وغيث مريع
وأن هناك تكون الثملا

المفصل ح ٧ - ٩ ، ١٥ ، ح ٨ - ١٤٣

ابن عقيل - باب أن وأخواتها

عيون الاخبار - الجزء الثاني ذيل أمالي القالي .

شرح التبريزي للقوائد العشر

شر العربية للثعالبي .

صورة من تنكير ماحقه التعريف

حد الكلام في اسم كان وخبرها إذا جاء
أحدهما نكرة والآخر معرفة أن تكون النكرة
هي الخبر والمعرفة هي الاسم .

ولكن « ابن مالك » يقول في شرح
التسهيل : « يخبر في بابي كان وان بمعرفة عن
نكرة اختياراً .

ويقول « الزمخشري » في المفصل أن ذلك :

علموا أن يؤملون لجادوا
قبل أن يسألوا بأعظم سؤال

٢ - نصبها للفعل المضارع بدون ذكر

ينصب الفعل المضارع بأن مضمرة ، ومنه
قول طرفة :

ألا أيها الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلصي

فأخبر أن أولاً ، ثم أظهرها ثانياً في بيت واحد .
وتقديره : ألا أي هذا الزاجري أن أحضر الوغى .

ومن طريف ما يروى أن « دماذ » كتب
إلى بكر المازني النحوي يقول :

تفكرت في النحو حتى ملكت
وأتعبت نفسي به والبدن

فكنت بظاهره عالماً
وكنت بباطنه ذا فطن

خلا أن باباً عليه العقباء
في النحو ياليتيه لم يكن

إذا قلت : لم قيل لي هكذا
على النصب قيل بأضمار أن

فقد خفت يا بكر من طول ما
أفكر في أمر « أن » أن أجن

٣ - بروز اسمها إن خففت
إذا خففت « أن » بقيت على ما كان لها من

ألا من مبلغ حسان عسى
أسحر كان طبسك أم جنون
وقول الفرزدق :

أسكران كان ابن المراغة إذ هجا
تميما يحوف الشام أم متساكر
وقول خدش بن زهير :

فإنك لا تبالي بمد حيول
أظني كان أمك أم حمار

ابن يعيش - ح ٧ - ٩١
المغني - ح ٢ - القاعدة ١٠
الضرائر - ص ٢٣٥

محمد شوقي أمين
عضو الجمع

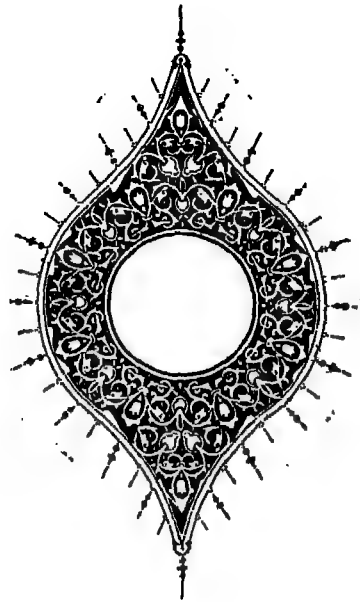
من القلب الذي يشجع عليه أمن الإلباس .
ومن النحاة من يذهب إلى أن كل ذلك
يحوز ، ولا يعد من الضرورات .

وهن شواهد وأمثله قول القطامي :
قفي قبل التفرق يا ضياعا
ولا يك موقف منك الوداعا

وقول حسان :

كان سيئة من بيت رأس
يكون مزاجها غسل وماء

وقول أبي قيس الأنصاري :



مفهوم الجمال في اللغة العربية

للدكتور عثمان أمين

تكملة

اللغة العربية تنفرد عن
اللغات الحية الأخرى

بخصيصة جديرة بالتنويه ، وإن تسكن قد خفيت
زماناً على الكثيرين : تلك هي وفرة الألفاظ الدالة
على الشيء منظوراً إليه في مختلف درجاته وأحواله
ومتفاوت صورته وألوانه . وهذه الميزة العربية ،
ميزة التلوين الداخلي الذي كأنما يرسم للماهية
الواحدة ، بالأطراف والظلال ، صوراً متعددة ،
تغنيها باللفظ الواحد عن العبارة المطولة لتحدد بها
المعنى المقصود .

واللغة العربية ، كما قال « ابن جني » ، من
أكثر لغات الأرض دلالة معنوية ، بل إن الكثير
من ألفاظ العربية قد فقد على مر الزمان دلالاته
الحسية . وإن ما يجعل اللغة العربية أكثر مرونة
من غيرها من اللغات الحية المعروفة هو أنها أكثر
اللغات قبولاً للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع
تستطيع به اللغة أن تؤدي معاني الحضارة على
اختلافها ، وهو يقوم بدور لا يستهان به في تنوع
المعنى الأصلي وتلويحه ، إذ يكسبه خواص مختلفة
بين طبع وتطبع ، ومبالغة وتعدي ، ومطاوعة
ومشاركة ومبادلة ، مما لا يتيسر التعبير عنه في
اللغات الآرية مثلاً إلا بألفاظ خاصة ذات معان
مستقلة . وصيغ الألفاظ العربية تفرق تفرقة

واضحة بين « الجرائ » ، و « البراني » ، بين ما هو
حركة في النفس وما هو حركة في الجوارح (١) .
« وعلم البديع ، في اللغة العربية - كما عرفوه -
هو « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد
رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ورعاية
وضوح الدلالة ، أي الخلو من التعقيد المعنوي » ،
وهذا التعريف نفسه يدل على أن هذه اللغة تجعل
استقامة المعنى ووضوح الدلالة مقياساً لفن البلاغة
وشرطاً لجمال العبارة .

وهذه الخصائص تصدق في اللسان العربي على
لفظ « الحسن » ومفهومه الأصلي واشتقاقاته كما
تصدق على غيره من ألفاظ ومفاهيم .

المفهوم الرئيسي : « الحسن » بمعنى « الجمال »
المفاهيم المشتقة منه : الحسن - الإحسان -
الاستحسان - الحسنة - التحسين

والمفاهيم المشتقة من الجمال : التجميل -
الإجمال - الجمالة .

فيقال حسن أي جميل ، فهو حسن وهي حسناء ،
أي جميلة وجميلة ، . والحسن والجميل هو ما يرتاح
له الحس والعقل والخلق والذوق ، ويكون الحسن
والجمال في الصورة والهيئة ، والقول ، والفعل .

(١) عثمان أمين : « فلسفة اللغة العربية » (القاهرة ١٩٦٥)

يشبع الألحان، ويملا الأنفاس، ويعدل الأوزان
ويفنم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقوم
الأعراب، ويستوفى النغم الطوال، ويحسن
مقاطع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع،
ويختلس مواضع النبرات، ويستوفى ما يشاكلها
من النقرات (٥) .

وواضح أن لفظ الحسن أو الجمال لم يقف
عند حد الدلالة على الحسن الظاهر أو الجمال
المحسوس، بل جاوزه إلى الدلالة على الحسن
والجمال في المعاني والنيات والمواقف والتصرفات
وهذا الانتقال يتفق تمام الاتفاق مع منطق اللغة
العربية في تدرجها من الظاهر إلى الباطن ومن
المحسوس إلى المعقول .

ومادة « الحسن » في اللغة العربية — بما لها
من اشتقاقات — مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأخلاق
فألفاظ : الاحسان ، والمحاسنة ، والحسنى ،
والتحسين والاستحسان ، والحسنة تعبر كلها في
اللغة العربية عن دلالات جمالية أخلاقية .

فيقال : الاحسان فعل ما هو حسن : « إن
أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » (قرآن كريم) .

وفى هذا المعنى روى صاحب العقد الفريد
عن أرسطو أنه كتب إلى الاسكندر : « أملك
الرعية بالاحسان إليها ، تظفر بالحببة منها :

ويعطينا « الثعالبي » أمثلة لغوية تدل على
تقسيم الحسن ودرجاته الحسية : « الصباحة »
تكون في الوجه ، و « الرضاعة » في البشرة ،
و « الحلاوة » في العينين ؛ و « الملاحه » في الفم ؛
و « الرشاقة » في القصد ، و « الظرف » في
اللسان (٢) وعن محاسن خلقة المرأة يقول
« الثعالبي » : « إذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة
فهي « بضه » ؛ وإذا كانت لطيفة الخصر فهي
« هيفاء » ؛ وإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد
القامة فهي « مشوقة » ؛ وإذا كانت متثنية من
اللين والنعمة فهي « غادة » و « غيداء » (٣) .

وعن « محاسن الصوت والسماع » يقول
السراج الطوسي : « روى في الحديث عن النبي
« صلعم » أنه قال : ما بعث الله نبياً إلا حسن
الصوت ... وروى عنه قوله : زينوا القرآن
بأصواتكم ... وقد ذم الله تعالى الأصوات
المنكرة بقوله عز وجل : « إن أنكر الأصوات
لصوت الخير » ، وفي إزم الأصوات المنكرة
« حمدة » الأصوات الطيبة ... وعن يحيى بن معاذ
الرازي أنه قال : « الصوت الحسن روحه من
الله تعالى لقلب فيه حب الله تعالى » (٤) .

وكان العرب يرون للغناء شرائط من الحسن
إذا توفرت للمغنى كان « محسناً » . قال مالك
بن أبي السمع : سألت ابن أبي إسرائيل عن
الحسن المصيب من المغنين ، فقال : « هو الذي

(٢) الثعالبي : « فقه اللغة » ص ٦٧ (القاهرة ١٩٣٨) .

(٣) المصدر السابق : ص ١٦٢ .

(٤) أبو نصر السراج الطوسي : « اللامع » القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .

(٥) النويري : « نهاية الأرب » ج ٥ ص ١٢٢ .

فإن طلبك ذلك بإحسانك أدوم بقائه منه
باعتسافك ، (٦) .

وأحسن الشيء : أجاد صنعه أى أتقنه ، قال
تعالى : « خلقكم فأحسن صوركم » وقال الامام
على : كفى بالعلم شرفاً أنه يدعيه من لا يحسنه ،
ويفرح به إذا نسب إليه . وقال : قيمة المرء
ما يحسنه ، (٧) .

وحسن الشيء أى جعله حسناً وزينه .
وحسنه بمعنى رقاؤه وأحسن حاله . و « الحسنى »
هى العاقبة الحسنة ؛ وفى القرآن : « فله جزاء
الحسنى » و « المحسنة » هى ما يحسن ، فيقال :
هذا الطعام محسنة للجسم . و « الاحسن » هو
الافضل ؛ قال تعالى : (الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه) ، وجمعها أحاسن .
وفى الحديث : « إن أقربكم منى مجالسى يوم
القيامة أحاسنكم أخلاقاً » . وقال الإمام على :
« جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك ،
وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك » .
والحسن بمعنى الجمال فى الأفعال والتصرفات .
ومثاله قول الإمام على : « حسن التدبير مع
الكفاف أكره لك من الكثير مع الإسراف » .
وقوله : « حسن اليأس خير من الطلب من الناس
والحسن يضاف إلى النية وإلى الصنعة وفى ذلك

يقول الإمام على : « من لم يحمد صاحبه على
حسن النية لم يشكره على جميل العطية » . ويقول
كذلك : « أحسن العفو ، فإن العفو مع العدل
أشد من الضرب لمن كان له عقل » . ويقول :
« وأحسنوا صحبة النعم ، فإنها تزول وتشهد على
على صاحبها بما عمل فيها (٨) » ، وأحسن بمعنى
كل كقولہ صلى الله عليه وسلم : « أدبى ربى
فأحسن تأدبى » .

ومادة « الجمال » مرتبطة كذلك بالأخلاق
ارتباطاً وثيقاً . فكلما أن « جمال » تؤدى
معنى أنه حسن خلقه . ويقال : أجل فى الطلب ،
أى اتشد واعتدل . وفى الحديث : « أجملوا
فى طلب الرزق ، فإن كلا ميسر لما خلق له » .
ويقال : أجمل الصنعة أى حسنها وكثرها .
ويقول الشاعر العربى :

ولما لنى زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس لإحسان وإجمال

والجميل بمعنى الخير والمعروف . فيقال : أسدى
إليه جميلاً ، أى معروفًا وإحساناً . والمجاملة هى
التلطف فى المعاملة ؛ فيقال : فلان جامل فلاناً ،
أى عامل بالجميل وأحسن عشرته . والتجمل
بمعنى تكلف الجمال والظهور بما يجمل ويليق ،

(٦) ابن عبد ربه : « العقد الفريد » ١٣٢١ م ، ج ١ ط ٨ .

(٧) على ابن أبى طالب : شعره وحكمه . تصنيف أحمد تيجور باشا (القاهرة ١٩٥٨) ص ٧٣ .

(٨) (سجع الحمام فى حكم الإمام - القاهرة ١٩٦٧) .

المحيرات لسكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام
إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة
القلب» (١٠).

وفي هذا المعنى نفسه يقول الإمام على
ابن أبي طالب: «جمال المرء وقارة»، و«جمال
المرء في الحلم»، و«جميل المقصود يدل على طهارة
المولد» (١١).

ويرى أغلب الباحثين من الأخلاقيين أن
الجمال مركوز في نفس الإنسان. وفي ذلك يقول
مسكويه: «إن كل من له غريزة من العقل
ونصيب من الإنسانية ففيه حركة إلى الفضائل
وشوق إلى المحاسن، لاشيء آخر أكثر من
الفضائل والمحاسن التي يقتضيها العقل وتوجبها
الإنسانية، وإن اقترن بذلك في بعض الأوقات
محبة الشكر وطلب السمعة والتباس أمور آخر.
ولو أن محبة الشكر وما يتبعه أيضا جميل وفضيلة
لما رغب فيه» (١٢).

ومفهوم الحسن والجمال في لغة القرآن —
مفهوم ذو وشائج أخلاقية روحية قوية،
والصفات الجهرية للجمال في تعاليم القرآن هي
الانسجام والاعتدال والنظام والكمال والنبل
والطهر والرفعة والتقوى، وجميعها قد تجاوزت

فيقال: «تجمل فلان بالصبر». ويقول «المتني»:

خامليك أنت لا من قلت تحلى
وإن كثر التجميل والكلام

والجميل يقال على الصفات الحسنة. وفي هذا
المعنى يقول على بن أبي طالب: «من مدحك
بما ليس فيه من الجميل وهو راض عنك، دممك
بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك». ويرى
الفارابي أن للقدس صحة ومرضاً. فصحتها
في أن تكون هيئاتها وهيئات أجزائها هيئات
تفعل بها أبدا الخيرات والحسنات والأفعال
الجميلة، ومرضها أن تكون هيئاتها وهيئات
أجزائها هيئات تفعل بها أبدا الشرور والسيئات
والأفعال القبيحة» (٩).

ولفظ الجمال، كما يقول الغزالي، قد يستعار
فيقال إن فلانا جميل، ولا يقصد به الصورة إنما
يقصد به «أنه جميل الأخلاق»، محمود الصفات،
حسين السيرة، حتى يحب الرجل بهذه الصفات
الباطنة إستحسانا لها كما يحب الصورة الظاهرة».

ويرى الغزالي أن الجمال ظاهر وباطن. فهو
«إن كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك
بحاسة البصر، وإن الجمال بالجلال والعظمة وعلو
الرقبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة

(٩) الفارابي: فصول المدينى. نشر دةلوب-٢٩٦١. من ١٠٣.

(١٠) الغزالي — إحياء علوم الدين: ج ٢، ص ٢٦٧.

(١١) على ابن أبي طالب. تصنيف أحمد تيمور باشا من ٣٨، من ٦٤.

(١٢) أبو حيان التوحيدى ومسكويه: المرامل والشوامل. (القاهرة ١٩٥١ ص ١٩٢).

نطاق المحسوسات إلى نطاق المعقولات والتصرفات والأفعال .

وللقرآن عناية بالقيم الجمالية في كل ما يعرض له من مجالات : وفيه دعوة إلى توخى الجمال في جميع جوانب الحياة الإنسانية :

فالأوصاف التي يوصف بها الله في القرآن أوصاف أخلاقية على الأصالة : « له الأسماء الحسنى » : والله هو الرحمن الرحيم ، الغفور الودود ، السميع ، البصير ، العليم الحكيم ... والله هو مالك الجمال المطلق ، وهو مفيض الجمال على الكائنات : « الله نور السماوات والأرض » (القرآن : ٢٤ : ٣٥) (١٣) . وهذه الآية من أعظم الآيات وأبعدها دلالة : فالنور جمال ، كما أن الظلمة قبح ، كما في الآية : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ، وترهقهم ذلة . ما لهم من الله من عاصم . كما غشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلاً » (١٠ : ٢٧) .

أما بالنسبة إلى الـكون فإن الله لما كان هو مالك الجمال المطلق فقد خلق كل شيء في العالم في صورة الجمال : « الذي أحسن كل شيء خلقه » (٢٢ : ٧) . والخلق يشمل جميع الأشياء في السماوات والأرض ، والأجرام السماوية التي تحيط بالأرض يقول القرآن فيها : « ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزينة أها للنظرين » (١٥ : ١٦) .

ويقول : « إننا زيننا السماء الدنيا بزيئة (٢٧ : ٦) . ويؤكد القرآن وجود الجمال على الأرض متمثلاً في الحيوان والنبات إذ يقول : « والأنعام خلقها لكم ، فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » (١٦ : ٥ ، ٦) . ويقول : « والحلحيل والبغال والخيبر لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون » (١٦ : ٨) . وفي جمال النبات يقول : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » (١٠ : ٢٤) . ويرى القرآن أن الحجارة عبارة عن الاتزان والانسجام ، فيقول : « وأنبأنا فيها من كل شيء موزون » (١٥ : ١٩) .

أما الجنة والحياة الأخرى فيصفها القرآن بالحسن ، إذ يقول : « خالدين فيها ، حسنت مستقراً ومقاماً » (٢٥ : ٧٦) . يقول : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » (٢٢ : ١٧) . وواضح أن التعبير « بكرة الأعين » كناية عن المتعة الجمالية . ويقول القرآن أيضاً « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » (٧٥ : ٢٢) والنضرة في الآيتين معناها الجمال والإشراق .

ويرى القرآن أن للسكانات البشرية جمالا ظاهراً وباطناً ، فهو يقول : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » (٩٥ : ٤) . « و في أحسن تقويم » أي في أجمل صورة وبنية . ويقول : « وصوركم فأحسن صوركم » (٤٠ : ٦٤) ؛

(١٣) انظر : محمد الحقي ، « تحديد بناء الفكر الديني في الاسلام » (بالانجليزية) لندن ١٩٣٤ م ص ٦٠

بوالديه حسناً ، (٢٩ : ٨) . وإلى مراعاته في الدعوة إلى الدين : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » ، (١٦ : ١٢٥) .

أما الحياة الدنيوية فقد دعا القرآن إلى تجميلها فقال : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، (٧ : ٣٢) . وأشار القرآن إلى العناية باللباس ، باعتبار أن من وظائفه تجميل الشخصية الإنسانية ، فقال : « يا بني آدم ، قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ، ذلك خير » ، (٧ : ٣٦) وقوله « يوارى سوءاتكم » ، يشير إلى استتار القرآن أساليب العري التي شاعت في بعض المجتمعات البدائية والمعاصرة ، وكانت الأخيرة منها حصيلة للانحرافات السيكلوجية والبدنية . وقد روى الترمذي أن النبي كان يقول كلما ارتدى لباساً جديداً : « الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل به في حياتي » (١٥) وأصل اللباس في رأي « وسترمارك » هو رغبة الرجال والنساء في اكتساب الجاذبية المتممة لسمات الجمال . وكان القرآن يؤكد عصر القداسة في التجمل باللباس ، فتقول : « يا بني آدم : خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكُلوا واشربوا ، لا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين » (٧ : ٣١) .

وخلاصة القول في نظرة القرآن إلى الجمال

ويقول : « ونفس وما سواها » (٩١ : ٧) . و « سواها » : أي وهما التناسب والنظام . ولما عرفنا أن التناسب والاتساق صفتان جوهريتان للجمال ، فهذه الآية تشير إلى الجمال والباطن ، جمال الشخصية الإنسانية (١٤) .

وفي الآيات القرآنية التي أوردناها دلالة على أن بيان القرآن يشيد بالقيمة الجمالية ، في كل مجال ، ويؤكد صفة الجمال في الله وفي الكون وفي الإنسان

وإذا كان الأمر كذلك فهل فرض القرآن واجبات تتعلق بالجانب الجمالي من الحياة الإنسانية؟ والجواب على هذا السؤال صريح ، وهو أن القرآن يريد متبعية أن يتجملوا ليؤمنهم بأعمالهم وأن يجاهدوا أنفسهم لنيل الجزاء الحسن من الله؛ فهو يقول : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » (٤ : ١٢٥) ، ويقول : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (١٠ : ٢٦) . و « الحسنى » كما رأينا ، هي العاقبة الحسنة ؛ أي الجنة ، أما « الزيادة » فقد قيل في تفسيرها إنها النظر إلى وجهه الله الكريم .

وفيما يتصل بالجمال في السلوك نرى آيات القرآن داعية إلى توخي الجمال في مخاطبة الناس : « وقولوا للناس حسناً » (٢ : ٨٣) وإلى مراعاة الجمال في معاملة الوالدین : « ووصينا الإنسان

(١٤) انظر : محمد فضل الرحمن الأنصاري : « القانون الأخلاقي الاسلام وخليفته الميثاقينيقية » ، (رسالة دكتوراة بالانجليزية بجامعة لادور ، لم يطبع بعد) .
(١٥) الترمذي : « الناج الجامع للاصول » ، كتاب اللباس .

كان يستعمله فيها المتكلمون المتقدمون (١٨) .
ولكنه يضيف إليها تحليلات سيكولوجية أدق
وأحدث :

(١) المعنى الأول للحسن هو الجمال ،
والقبح هو النقص ، سواء في الأمور الأخلاقية
أو في الأمور العقلية : « فالحسن في المعقولات
كالوجود الواجب والأرواح اللطيفة وصفات
النفوس البشرية له جمال تشعر به أنفس عارفة
وتنهر به بصائر لاهظة » ، ومن جهة أخرى هل
في الناس من ينكر القبح في نقص العقل وسقوط
الهمة وضعف العزيمة « ويكفي أن أرباب هذه
التفاصيل المعنوية يجاهدون في إخفائها ، ويفخرون
أحياناً بأنهم متصفون بأضدادها » .

(ب) والمعنى الثاني للحسن هو علاقة الملاممة
إما لطبيعتنا وإما للأغراض التي يستهدفها العقل .
أما الملاممة لطبيعتنا فهي ما يلد لنا ، والتمييز بين
الحسن والقبح بهذا المعنى قلما يختلف عن التمييز
عند الحيوانات الراقية في سلسلة الوجود ، « اللهم
إلا في قوة الوجدان وتحديد مرتبة الجمال والقبح » .
وأما الملاممة للأغراض التي يستهدفها للعقل فهي
النافع بمعناه الواسع . وحكم القيمة الذي يصدره
الشخص تبعاً للنفعة هو عمل عقلي . وبقدر
ما يرتقي الإنسان في سلم الموجودات يكون
إثارته لما يقع على ما يلد ، ويختص الإنسان
بالتمييز بين الحسن والقبح بهذا المعنى إذا أخذ

أنه يدعو دوماً إلى تجميل الحياة الإنسانية في
جوانبها الحسية والعقلية والأخلاقية . ويروي
عن النبي أنه قال : « إن الله كتب الإحسان على
كل شيء » (١٦) وقال : « إن الله جميل يحب
الجمال » (١٧) . ونلاحظ هنا ما ذكرنا من قبل :
وهو أن الإحسان ، بمعنى الإتيان ، صفة من
صفات الجمال ، في نظر الرسول .

* * *

ويبدو أن هذا التناظر الذي رأيناه في القرآن
بين وجهتي النظر الأخلاقية والجمالية تناظر
تستلزمه طبيعة اللغة العربية : فلفظ « الحسن » في
العربية يعني في وقت واحد « الجمال » و « الخير »
و « الذوق » ، كما أن لفظ « القبح » يعني الدمامة
والشر والسماجة . واستعمالات العربية نفسها
تدل على هذا التناسب بين هذه المجالات الثلاثة :
الحسن والخلق واللباقة . فاللغة الجارية تستعمل
لفظ « الحسن » وصفاً للجميل والصائب والصالح
فتقول : منظر حسن ، ورأى حسن ، وعمل
حسن .

والإمام محمد عبده يعالج هذا المفهوم للحسن
معالجة عصرية ، فيقرر أولاد أننا نجد في أنفسنا
بالضرورة تمييزاً بين الجميل من الأشياء والقبيح
منها ، ويبدو أن الفيلسوف المصري يستعمل
لفظ « الحسن » في المعاني الثلاثة الرئيسية التي

(١٦) « مشكاة المصابيح » ، كتاب الصيد ، الفصل الأول ، ص ٣٥٧

(١٧) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب السكر

(١٨) الإيجي : « المواقف » ، استانبول ١٢٨٦ هـ - ص ٥٢٩ - ٥٣٥

الوجوب إلى الحرمة . وخالفهم المعتزلة في هذا
ذاهبين إلى أن معيار الحسن والقبح هو العقل ،
أو هو النور الفطري في الإنسان .

فلا عجب أن نرى الإمام محمد عبده يؤثر
عن قصد وعن بينة أن ينضوي تحت لواء المعتزلة
وغيرهم من ساورهم القلق على الحرية الإنسانية
ذاهبين إلى أن التمييز بين الجمال والقبح أمر طبيعي
يدركه الناس جميعا من غير حاجة إلى شرع أو
عرف . ويضيف محمد عبده أن الإنسان يجد هذا
التمييز في نفس وجدانه ، فإنه بما فطر عليه من
حسن وعقل قادر على التمييز بين الحسن والقبح
في جميع معانيهما ، دون انتظار لما يقضى به
العرف أو يأمر به الشرع . وتعقل ذلك ميسور ،
والشاهد عليه ما نراه في بعض أصناف الحيوان ،
وما نشهده في أفاعيل غرار الصياني قبل تعقل
معنى الشر ، وكذلك ما وصل إلينا من تاريخ
الإنسان وما عرف عنه في جاهليته (٢٠) .

ونستطيع بهذا الصدد أن نلاحظ أن المناقشات
التي أثارها المتكلمون المسلمون حول هذه
المسألة لا تخلو من أن تكون قريبة من التمييز
الذي أدخله « السفسطائيون » اليونان بين العدل
العرفي والعدل الطبيعي ، وهو التمييز الذي
اصطنعه بعد ذلك الرواقيون حين أكدوا أن
العدل « فطري » وليس « عرفيا » .

* * *

من أكمل وجهاته ، . وإذا فتحنا نصف بالحسن
والجمال الأفعال التي يكون فيها منفعة للفرد أو
للجماعة ، حتى ولو كانت هذه الأفعال تثير النفور
أو الألم وقت حصولها ، وفي جميع الحالات تجعل
للشابة وبذل الجهود قيمة أعلى من إثارة العافية
والراحة وقلة المبالاة .

ومن هنا نصف بالجمال الضال من أجل
الوطن ، والتضحية في سبيل العلم ، والدفاع عن
قضية نبيلة ، على الرغم من التضحيات أو الآلام
التي تتطلبها معاناة مثل هذه الأعمال في أغلب
الاحيان (١٩) .

(ح) والمعنى الثالث للجميل والقبح هو
ما ينطبق على الممدوح والمذموم .

لقفا ذهب الاشاعرة والمعتزلة إلى أن العقل
يدرك الحسن بالمعنيين الاولين .

ولكن هذا المعنى الثالث موضع خلاف ظل
قائما بين المتكلمين : فالاشاعرة يرون أنه ليس
الحسن حسنا ولا القبح قبيحا من ذاتهما ولا بصفاء
ملازمة الاشياء تجعلها تبدو خيرا أو شرا ، جميلة
أو قبيحة ، بل إن الحسن ما حسنه الشرع ،
والقبح ما قبحه : فالشرع يضيف على الأفعال
ما نضيفه من صفى الحسن والقبح . وبناء على
هذا يمكن أن نتصور انقلابا في قيم الأشياء إذا
حلا للشارع أن يقلب أوضاع الأمور ومعايير
الأحكام بحيث يصير الحسن قبيحا والقبح حسنا ،
كما في النسخ من الحرمة إلى الوجوب ، ومن

(١٩) محمد عبده : « رسالة التوحيد » . الطبعة الخامسة . ص ٧٨

(٢٠) عثمان أمين : « رائد الفكر المصري » ط ٢ القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٣٣ - ١٣٨

وكان لذلك أثره في نظرة الفيلسوف المسلم إلى الجمال . كان يرى أن الجلال يفوق الجمال ، بما يتجلى فيه من قوة ، وما يبعث في النفوس من رهبة . لذلك كان يرى في الشجاعة التي تتجلى في ركوب الأخطار جلالة ، ويرى في سجد الأفلak للقوة روعة وبهاء . بل ذهب الشاعر إلى أنه هو لا يجب أن يعذب إلا بنار قوية تلهب التهاباً فقال :

وأرى جمالا في بهاء أن ترى
في سجدة للقوة الأفلak
ولنعمة من دون نار نفخة
ما الحسن إلا بالجلال يحاك
لا أرقتى نار الجزاء ولم تكن
وهاجته ولهيها دراك

ومن أجل ذلك نراه لا يعجب بالنهر يسائر الأرض ، بل يعجب بنافورة قوية تقذف الماء عاليا في الهواء .

وخلاصة مذهب إقبال في الفن الجميل أنه ينبغي أن يصور ذات الفنان : فالذات العاشقة ، المتحررة ، المقدرة نفسها ، تتطابق من قيود هذا العالم المتغير وتندرج في سلك الخلود ، وتفلت من سلطان الجبر ، فيكون فيها حراً مثلها .

ويرى إقبال أن الفن الذي يعبر عن قوة الذات وحرقة الحياة ومعانيها ، الفن الذي يفتح النفس والقلب ، ويرى من الخوف والنعم ، ويرفع روح الإنسان ومعنوياته ، هو فن

وآراء محمد إقبال في الجمال مرتبطة ، وأوثق ارتباطاً بفلسفته العامة ، وعلى الخصوص بذلك الجزء من فلسفته الذي يطلق عليه اسم « نظرية الذات » .

وقد كان لنظرية الذات هذه أثرها العميق في تصور الفيلسوف الجمال : فقد رأى أن ذاتنا معيار القيم الإنسانية بوجه عام ، ومعيار الحسن والقبح بوجه خاص . فالجميل عنده هو ما تدركه الذات في سموها واعتلائها ، والقبيح هو ما تدركه في هبوطها وانحطاطها :

عالم الذات به علو وسفل
واعتراك القبح فيه والجمال
في اعتلاء الذات ما يبدو جميلا
وقبيح ما بدا في الاستفال

ويرى محمد إقبال أن الفن ينبغي أن يصور لهيب الحياة الأبدى الذي لا ينقطع : فلا قيمة للفن الذي يخرج شراراً واهناً لا يلبث أن يضمحل . وحياة الأمم تدوم بدوام إبداعها وإعجازها . فالفن الذي لا إبداع فيه ولا إعجاز عارية لا تدوم : إن كان نسيم الصباح المتمثل في الشعر ، واللحن المنبعث من الموسيقى يذبل أزهار الرياض ، ولا ينضرها فأى نسيم هو ؟ فإن لم تنفذ نظرات الفنان إلى سر الكون وحقائق الأشياء ، فما هي بمبدية ولا قيمة لها .

وقد كان إقبال من المعجبين بالقوة ، لا إعجاب نبیثة بها ، بل استجابة لدعوة الإسلام الذي يرى : أن « المؤمن القوی خیر من المؤمن الضعیف » .

ألفاظ العربية من الحس الظاهر إلى المعنى الباطن ، ومن الصورة البرانية إلى الدلالة الجوانية . وخير ما نختتم به حديثنا عن الحسن والجمال ما يروى عن الإمام أبي حنيفة - رضى الله عنه - من أنه كان يوماً في حلقة الدرس بين تلاميذه وكان من عاداته أن يجلس بينهم جلسة « مريحة » باسماً رجليه ، لأنه لم يكن يستطيع أن يثنيها من مرض أو من إعياء . فدخل عليه في درسه ذات يوم رجل مهيب الطامة ، أبيض اللحية ، كبير العمامة ، فضم أبو حنيفة رجليه حين وقع بصره عليه ، وواصل درسه لتلاميذه - وكان الدرس في موعد صلاة الصبح . فما كان من الشيخ الوقور إلا أن قاطع أبا حنيفة سائلاً : « ولكن ما العمل إذا طلعت الشمس قبل الفجر ؟ » فكان جواب أبي حنيفة جواباً جوانياً حاسماً ، إذ قال : « العمل أن أبا حنيفة يدهط رجليه ويحمد الله » !

وحق لأبي حنيفة أن يحمد الله وقد وفق إلى أن التقدير الأخلاقى هو الأساس الصحيح للحكم الجالى .

عثمان أمين
عضو المجمع

« جلال » . أما الفن الذى يضعف الذات ويميت القلب ، ولا يقبس من نار الحياة ، فهو فن « حرام » . وهذا يصدق على الشعر والموسيقى والغناء وسائر الفنون .

من أجل هذا كان إقبال ينفر من فنون الرخاوة والمذلة ، ويرى أن الشعر وكل فن أصيل ينبغى أن يكون في حدة السيف ، ملائماً لمعركة الحياة ، مهما تكن صورته : تلك هي النظرة الجوانية إلى الفن عند إقبال ، ولذلك أخذ الشاعر الفيلسوف يحذر المسلمين من الفنون « البرانية » المستعارة ، تلك التي تدعو إلى التطرية والاسترخاء ، والتي توقظ الجسم وتنمى الروح .

والفنان عند إقبال يسعى دائماً ، مسوقاً بما في نفسه من شوق إلى الكمال وعشق للجمال ، إلى أن يخلق - في ذاته وفي العالم من حوله - مثلاً أعلى خالداً (٢١) .

وهكذا يتبين لنا من النظر في مفهوم الحسن والجمال - في الفكر الإسلامى - تدرج

العقاقير عند العرب

للكـتـور عبد المـظـيم هـفـنى صابر

« مواد تستعمل لعلاج الإنسان والحيوان من الأمراض أو لتخفيف آلامها، أو الوقاية منها أو أنها تستعمل في الأغراض الصيدلانية ومستحضراتها » :
والادوية إما مفردة وإما مركبة .

والادوية المفردة هي العقاقير وقد سماها كذلك ابن سينا وغيره بسائط (مفردها بسيط)
أى الادوية البسيطة وسماها الاوربيون :
Simple drugs أو Simple ترجمة للعربية .

ولما كان العرب في أول الأمر لا يعرفون من الطب إلا الطب التجريبي ، وهو ما كان باستعمال العقاقير في معالجة الأمراض والجراح ؛ ومن هنا كان اهتمامهم بالعقاقير ودراستها ، وازداد ذلك وتوسع بتقدمهم في العلم والمعرفة واتصالهم بالإنساطرة والفرس والمسيحيين والهنود ، وما ترجموه من كتبهم وعرفوه عنهم ومن كتب اليونان . فأنكبوا على دراسة الادوية مفردة كانت أو مركبة ، وتعرفوا قواها ، ووضعوا مواصفاتها وتحققوا منها وازدادوا معرفة منافعها وفوائدها ، وأدخلوا في مادتهم الطبية الكثير مما استحدثت معرفته وما لم يكن معروفا لدى القدماء اليونانيين ، بل كان اهتمامهم بها لا يساويه ولا يعادله ما كان لأى من فروع الطب الأخرى . فقد

ومفردها عقار -
وهي كما وردت في معاجم

العقاقير

اللغة ، ما يتداوى به من النبات والشجر ، وفي الصحاح « العقاقير هي أصول الادوية » . وقال ابن الهيثم : « العقار كل نبت ينبت بما فيه شفاء » .

ويقول البيروني في كتابه « الصيدنة » :
« ومفردات الادوية تسمى عقاقير جمع عقار وخاصة إذا كان نباتاً ، وأصله من السريانية ، ثم سوّى فيه في الكتب ، أصل النبات وفرعه وأدخل فيه أيضاً ما ليس بنبات » .

ولذا ففهوم العقاقير عند علماء العرب كما تدل عليها كتبهم تشمل الادوية المفردة الخام نباتية أو حيوانية أو معدنية . أما الكيمياويات الدوائية النقية فيخطيء من يطلق عليها عقاقير .

أما عن الادوية ، فيقول البيروني : « جميع ما يتناول بقصد أو بجهل فنقسم في أول الأمر إلى أطعمة وسموم تتوسطها الادوية » ، ثم قال : « إن الادوية واقعة في البين لأنها بالإضافة إلى الاغذية مفسدة وإلى السموم مصلحة » . وأورد ابن الرين الطبرى عن جالينوس : « إن كل شيء يترى به فهو غذاء وكل ما غدى به فهو سملو وكل شيء يغير الطبيعة فهو دواء » . أما المتعارف عليه الآن في مدلول الادوية ، أنها :

النبات يكون العقار أفيد وأقوم وأفضل ، وكذلك مواعيد جمعها من النبات ، وجنيها أو قطفها منه ، وطرق تجفيفها ، وكيفية ادخارها (تخزينها) محتفظة بفوائدها وقوتها في أثناء تخزينها دون أن يتطرق إليها الفساد ، ومعرفة علامات فسادها ، وكذلك انتقاء أجودها ، وفي أي الموطن توجد ، ولقد أظن في هذا المجال الكثيرون ، مثل ابن سينا ، (القانون) ؛ وابن ربن الطبري (فردوس الحكمة) والمجوسى (الملكى) والبيرونى (الصيدنة) وابن البيطار (الجامع لفردات الأدوية والأغذية) وداود الانطاكى (تذكرة أولى الألباب) وكوهين العطار (منهاج الدكان ودستور الاعيان ، وغيرهم كثيرون . فإن سينا مثلاً يذكر أن العقاقير النباتية منها أوراق ومنها زهر ومنها ثمار ومنها بزر ومنها أصول وقضبان ، ومنها صمغ ، ومنها جملة النبات (أى ما يعرف الآن بالعشب) ؛ وأن الأوراق يجب أن تجنى وتجفف بعد أخذها من الحجم الذى لها وبقيائها على هيئتها قبل أن يتغير لونها وتسكس قوتها فضلاً عن أن تسقط وتنثر . والزهر يجب أن يجنى بعد التفتح التام وقبل التذبل والسقوط ؛ والثمار يجب أن تجنى بعد تمام إدراكها ، وقبل استمداها للسقوط ؛ والبزور يجب أن تلتقط بعد أن يستحكم جرمها وتنفض عنها الفجاجة المائية ؛ والقضبان (أى السيقان والأغصان) يجب أن تجنى وقد أدركت ولم تأخذ في الذبول والتشنج (أى التقبض) . أما المأخوذ بجملته (أى العشب) فيجب أن يؤخذ على غضاضته عند إدراك بزره . أما الصمغ (وية صدها) جميع ما ينتجه النبات أو يسيل منه ، كالصمغ

كانت دراسة الأدوية وبخاصة العقاقير هي حجر الأساس لدى كل مهتم بالطب والعلاج والمداواة . فلا نجد مؤلفاً من المؤلفات الطبية العربية إلا وأفردها فيه للأدوية قسم خاص تذكر فيه محلاة بأوصافها وفوائدها وقواها . فقد خصص مثلاً ابن سينا في قانونه الذى يشتمل على خمسة كتب اثنا عشر منها الكتاب الثانى والخامس ، للعقاقير والأدوية ؛ وإن الرازى خصص لها الجزء العشرين من كتاب « الحاوى » كما نجد أجزاء خاصة كذلك في كتاب « فردوس الحكمة » لابن ربن الطبري . وفي كتاب « التيسير في التدبير والمداواة » لابن زهر ، الذى أورد كذلك في نهايته وصايا وإرشادات في تركيب الأدوية المركبة واستعمالاتها ووصفات من الأدوية المركبة التى أثبتتها ، وكذلك بياناً بتحضير الأشربة والمراهم والمغاجين . كما يمكن ذكر كتاب « الأقرباذين الكبير » لابن التليذ وكتاب « كامل الصناعة الطبية أو الملكى » للمجوسى ، وكتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » للزهراوى ، الذى يشتمل على ٣٠ مقالة منها ٢٧ مقالة عن الأدوية . هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من المؤلفات خصصت جميعها للعقاقير والنباتات الطبية فقط ، مثل « الجامع لصفات أشبت النباتات » للإدريسى و « الجامع لفردات الأدوية والأغذية » لابن البيطار ، وكتاب « شرح أسماء العقاقير » لابن الميمون وكتاب « الأدوية المفردة » للغافقى وكتاب « الصيدنة » للبيرونى ، وكتاب « منهاج الدكان ودستور الاعيان » لكوهين العطار ، وغيرها وغيرها كثير وكثير .

العقاقير وانتقاؤها ومواصفاتها

كان العرب يتحققون من أي الأجزاء من

أصاب جنأه (أى الذى جمع فى الزمن المناسب) أقوى من الذى أخطأ زمانه ؛ وما يلتقط فى الصيف كان أقوى بما يلتقط فى الشتاء . كما ذكر مثلاً أن الصبر السقطرى أى الذى من سقطرى أجود من العربى والحضرى ، والراوند الصينى أجود من التركى ، وهكذا . ويقول ابن رين فى كتابه « فردوس الحكمة » : « رأينا دواء واحداً قد نفع قوماً وأضر آخرين ، والعلة فى ذلك اختلاف مزاج العلل أو عفونة (عتق) الدواء وفساده أو لأنه من البلد الذى لا يوجد فيه مثل الهلياج الذى لا يوجد إلا ما كان من كابل ، والكهون من كرمان ، والصبر من سقطرى ، والصعتر من فارس ، والأفاويه من الهند وماشابه ذلك . » ويقول داود الأنطاكي فى كتابه « تذكرة أولى الالباب » وكذلك ابن سينا : « إن نبات اللبخ يقتل (أى أنه سام) فى فارس (أى الذى ينبت فى فارس) ويؤكل (أى عديم السمية) فى مصر (أى الذى ينمو فى مصر) . »

كل هذه الإرشادات والملاحظات جديرة فعلاً بالتنويه عنها إذ مازلنا إلى الآن نأخذ بها كما أثبتت الأبحاث الحديثة صحتها ودقتها ووجاهتها فى الحكم على درجة جودة العقار وقيمتها العلاجية وفعاليتها .

ولما كانت النباتات الطبية هى مصدر العقاقير النباتية التى هى المحور الأساسى عند العرب فى دراسة الطب ، ومزاولة المهن الطبية ، وعلاج الأمراض ، فإنهم كانوا يولونها عناية خاصة بالدراسة والاهتمام ، لتعرفها ومعرفتها أو صافها

والرائينج واليتوع والبلاسم إلخ) فيجب أن تجنى بعد الانعقاد قبل الجفاف المعد للانفراك .

ولقد عظم كوهين العطار كل ذلك فى كتابه « منهاج الدكان ودستور الاعيان » فقال :

« لا تجنى العقاقير إلا بعد استحكام نضجها وإكمال إدراكها ، فإن السكامة الإدراك فى مكانها مفيدة ، والفجة قليلة الفائدة . » كما ذكر أنه يجب تنظيف العقاقير بعد جنيها من طينها ثم تجفيفها أولاً فى الشمس ، ولا يتم تجفيفها إلا فى الظل وبهذا تأمن من فسادها ، ولا تضعها قريباً من الشمس فيفسدها حر الهواء ، ولا فى أماكن رطبة أو قريبة من الماء فإنه يندبها ويفسدها بالتعفن . كما أنه قد خصص الباب الرابع والعشرين من الكتاب نفسه « فى كيفية اتخاذ الأدوية المفردة ، وفى أى زمان تجنى ، ومن أى مكان تجلب ، وكيف تخزن ، وأى الأوعية فيها تخزن ، وما يفسدها فيتقى ، وما يصلحها فيعتمد عليه ، وكيفية استدراك ما بدا فيه الفساد ، وما يعمل مع بعض الأدوية ليمتنع فسادها . »

وكان العرب يدركون إدراكاً تاماً بما للبيئة التى ينمو فيها النبات ، والتربة التى ينبت عليها من أثرين على القيمة العلاجية للعقار الذى ينتج منه ، ودرجة جودته وفعاليتها ، فيقول ابن سينا مثلاً : « وإن المحتنى من أجزاء النبات فى صفاء الهواء أفضل من المحتنى فى حالة رطوبة الهواء وقرب العهد بالمطر ، والبرية كلها أقوى من البستانية (أى المنزرعة) وأصغر حجماً ؛ والجبلىة أقوى من البرية ؛ والتى يجانبها المروج ومشرقات الشمس أقوى من غيرها ؛ والذى

الزهر اوى فقد خصص بابا في كتابه ، التصريف لمن عجز عن التأليف ، لتحضير العقاقير من النباتات والعناية بالاحتفاظ بالأجزاء المجففة ، كما ناقش استخلاص العصائر مثل الصبر وكذلك تحضير وتصفية الصمغ واللبن من نباتات معينة . كما نص فيه عن موطن النباتات حيث تنمو أو تستورد منها ، ووصف هذه النباتات وكيفية الحصول منها على الجزء أو الأجزاء التي تستعمل في الطب وكذلك موعدها جمعها وفصوله .

كما أن الشريف الإدريسي (١١٠٠ - ١١٦٦ م) قد طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية والاندلس وفرنسا وغيرها ووصف نباتات كل قطر (عن كتاب الأعلام لعباس بن ابراهيم) وكتابه الجامع لصفات أشجار النباتات ، له أهمية خاصة . كما أن عبد اللطيف البغدادي قد امتاز في وصف أعشاب مصر .

أما رشيد الدين المنصوري بن السورى (١١٧٧ - ١٢٤٣ م) فكان يصطحب معه في رحلاته مصورا ومعه الأصباغ ويريه النبات في موطنه - بعد التحقق منه - ويطلب إليه أن يرسمه بأجزائه في جميع أطوار نموه بألوانه الطبيعية التي يظهر بها في هذه الأطوار (عن ابن أبي أصيبعة) ، ولذلك كان مؤلفه « الأدوية المفردة » مزيينا برسومات للنباتات بألوانها الطبيعية ، والذي وصف فيه حوالي ٤٦٦ نباتا منها كثير لم يكن معروفا قبله . كما أن كتاب « الأعشاب » لأحمد الغافقي فيه حوالي ٣٨٠ رسما بالألوان لبعض النباتات والحيوان .

ولقد خصص ابن فضل الله العمري الجزء

والتأكد من حصولهم على العقار من مصدره الاصيل ، فلم يكتفوا بما كتبه عنها من سبقهم ، ولم يرتضوا بما سمعوه من الرواة ، بل كان الكثير من علماءهم يجوبون البلاد ويرتحلون إلى مناطق نموها ، فطافوا بجميع بلاد العرب من المحيط إلى الخليج بل إلى الهند والصين وإندونيسيا وأفريقيا وآسيا الصغرى وغيرها ، بحثا عن النباتات الطبية ومعرفة مواطنها الأصلية وأسمائها وليتعرفوها على طبيعتها في مناطق نموها الأصلية ، وكذلك ليتعرفوا ما يستعمله منها أهالي هذه المناطق ، فيحققوا ما كان معروفا لديهم وليضعوا الأوصاف والطباع للجديد منها الذي لم يسبق معرفته .

ولشدة عنايتهم بهذه الدراسات كانوا يسجلون لهذه النباتات من الأشكال والألوان وغير ذلك من الأوصاف والتحليلات التي يشاهدونها ما يحدد نوعها أو جنسها ، بل كثيرا ما كانوا يضعون لها الرسومات وأحيانا يخلونها بألوانها الطبيعية . فوجد مثلا أن الغافقي قد ساج كثيرا في إسبانيا وشمال أفريقيا وراء هذه الغاية ، فذكر في كتابه « الأدوية المفردة » كل نبات وعقار بأسمائه العربية والبربرية واللاتينية مع أوصافه . كما أن ابن البيطار الذي ألف كتابين في هذا المجال أهمهما كتاب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » ذكر فيه المعلومات اليونانية والعربية في علم النبات والأقرباذين ، ولا سيما المعلومات التي اكتسبها بخبرته ومن أبحاثه وتجاربه الشخصية ورحلاته في إسبانيا والمغرب وشمال إفريقيا ومصر وسوريا وآسيا الصغرى كما استشهد في كتابه هذا بما ذكره أكثر من ١٥٠ مؤلفا وعالما غيره . أما أبو القاسم

كان مغشوشاً، كما كانوا يحلونه بالماء ثم يصفونه
فإن بقي فيه ثقل كان مغشوشاً وإلا فهو خالص،
ورائحة الخالص منه قوية جداً وفي طعمه مرارة،
فإن كانت رائحته ضعيفة وهو خشن كان
مغشوشاً بعصارة الخس، والذي هو مر صاف
في اللون ضعيف القوة كان مغشوشاً بالصمغ وهكذا .
وكانت السنامكي تغش أحياناً بالعشيق الذي
هو أقل منها مفعولاً وكان يجلب من صعيد مصر
فكانوا يميزون الأول بأن ورقته ملساء
الطرفين ذات خضرة بها صفرة ، أما الثاني
فطرف ورقته مدور ولونها شديد الخضرة .

تصنيف العقاقير

أورد العرب في كتبهم عدداً كبيراً من
العقاقير يبلغ في كتاب «الجامع لمفردات الأدوية
والأغذية» لابن البيطار مثلاً ما ينوف على
١٥٠٠ عقار، منها ما كان منقولاً عن اليونان،
ومنها ما أدخله العرب جديداً على مادتهم الطبية؛
وكانت هذه العقاقير تذكر في المؤلفات العربية،
إما مرتبة بأسمائها بحسب الحروف الأبجدية كما في
الكتاب الثاني من قانون ابن سينا وكتاب
«الجامع لصفات أشات النباتات» للإدريسي،
وإما مرتبة بأسمائها بحسب حروف الهجاء أي
حروف المعاجم كما في كتاب «الصيدين»
للبيروني، وكتاب «الجامع لمفردات الأدوية
والأغذية» لابن البيطار، وكتاب «الحاوي»
للرازي، وكتاب «النبات» للدينوري، وكتاب
«تذكرة أولى الألباب» لداود الأنطاكي .
كما كانت للعقاقير تصنيف في بعض الأحيان إلى
مجموعات بحسب مفعولها وفوائدها، فهذه أدوية
مسهلة، وهذه مقهية، وتلك مسكنة، وهذه

الثاني عشر من كتابه «مسالك الأبصار» الموجود
في مكتبة البلدية بالإسكندرية - للنباتات وفيه
صور ملونة لأنواع مختلفة منها . ومن مشاهير
العرب الذين اهتموا بالنباتات ولهم فيها مؤلفات
تعتبر إلى الآن من المراجع القيمة جداً والمهمة
لعلمائنا بالبحث والدراسة : أبو حنيفة الدينوري
الذي ألف كتاب «النبات»، وأبو العباس أحمد
ابن الرومية (١١٧٠ - ١٢٠٩ م) الملقب بالنباتي
وكتابه «الرحلة» وصف فيها نباتات كثيرة
وذكر أنواعها وضروبها وكان قد قام برحلة
طويلة في شمال إفريقيا وبلاد العرب وسوريا
وما بين النهرين . وكذلك ابن العوام الذي ألف
كتاب «الفلاحة» .

امتحان العقاقير وفحصها :

كان الصيادلة عند العرب يرصون على جودة
العقاقير ونقاوتها من الغش والتدليس، ويفحصون
ما يجلب لهم منها للتعرف عليها وكشف غشها كما
تعلموه وتلقوه لينجوا من العقاب فقد كانت هناك
رقابة مشددة عليهم من الحكومة يقوم بها المحتسب،
يمثله في كل مدينة كبيرة موظف (مفتش) يعتبر
كبيراً للصيادلة فيها أو عميداً لهم يشرف على
تففيذ القوانين ومراقبة تحضير الأدوية ونقاوة
العقاقير في الصيدليات ويتأكد من سلامتها من
الغش والفساد .

ومن الأمثلة الكثيرة الواردة وبخاصة في
«الحسبة عند الصيادلة» : الأفيون ، وقد كان
يغش بالماميثا وعصارة الخس البري والشحم والصمغ
لخ، وكانوا يكشفون عن ذلك بإذابة الأفيون
في الماء فإن ظهرت رائحة كرائحة الزعفران

مُدرة للبول إلخ، كما في كتاب «فردوس الحكمة» لابن ربن، وكتاب «الأدوية المفردة» لابن الصلت. أما المجوسى فقد نحا نحواً آخر، فقسم المفردات إلى مجموعات بحسب طبيعتها، ورتبها في كل مجموعة بأسمائها مع نبذة مختصرة عن أحوالها ومنافعها معنونة كما يأتي:

مجموعات المفردات النباتية: وتشمل مجموعات الحشائش وذكر منها (٨٩): البزور والحبوب (٩٠)، الأوراق (٣٨)، والأنوار (٣٤)، ثمر الشجر (٢٧)، الأصول (وأضاف لها القشور) (٤٠)، الأدمان (٢٩)، الصمغ (٢٤)، الطابع والعصارات (٢٣).

مجموعات المفردات الحيوانية: تشمل مجموعات الأدماء (مفرداً دم)، الألبان، الزبد، الإفثحات، البيض، الإفرازات، المراتات، الزبل إلخ.

مجموعات المفردات المعدنية: وتشمل: مجموعات الأطين (مفرداً طين)، الحجارة، الملح، الأجساد.

التداوى بالعقاقير

لقد كان المأثور عند نظامى العرب أنهم لا يرون التداوى بالأدوية ما أمكن بالأغذية أو ما يقرب منها، وإذا اضطر إلى الأدوية فلا يرون التداوى بالمركبة ما وجد سبيل إلى المفردة وإذا اضطر إلى المركب لم يكتروا التركيب بل يقتصرون على أقل ما يمكن.

فقد ذكر المجوسى في كتابه «كامل الصناعة الطبية أو الملوكى»: «إن أمكن أن تعالج العليل

بالغذاء فلا تعطه شيئاً من الدواء، وإن أمكنك أن تعالج بدواء خفيف مفرد فلا تعالج بدواء قوى ولا دواء مركب، ولا تستعمل الأدوية الغربية المجهولة». كما ذكر الرازى في كتابه «الحاوى»: «إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة»، وقال: «العمر قصير عن الوقوف على فعل كل نبات الأرض فملكك بالأشهر ما أجمع عليه»، ودع الشاذ واقتصر على ما جرب.

وهذه نظريات عادلة ومبادئ علمية سليمة يأخذ بها الأطباء في عهدنا الحديث، ويناديون بها وبخاصة كبار العلماء منهم.

ولقد نوّه المجوسى وابن سينا وغيرهما بأن قوى الأدوية وتأثيرها تتوقف على طبائع الأبدان واختلاف حالاتها في الصحة والمرض، وطبائع الأمراض واختلافها من شدة وضعف، وما يتبعها من أعراض، وأسنان الأبدان (عمرها) وأمزجتها، وأوقات السنة، وحالة الجو، والبلد الذى يسكنه المريض، وعاداته، ومهنته.

هذا ما قاله العرب القدامى وما كانوا يتبعونه في علاج المرضى وهو أصدق وأعمق ما يكون وما زلنا نعمل به ونسير بهديه.

موارد العقاقير عند العرب

كانت العقاقير في أيام العرب تبنى إما من النباتات البرية أى التى تنمو على سيقانها دون أية رعاية خاصة، وهى ما يسمونه في مصر بالنباتات الشيطانية أو البرية، وإما من النباتات

ترجروا أو نقلوا عنهم . وفي كثير من الأحيان كان العقار يعرف بأسماء عديدة . فقد كان كثير من المؤلفين العرب يذكر العقار بأسمائه المعروفة بالعربية واليونانية واللاتينية والبربرية والاندلسية والقوطية والفارسية والسريانية كلما أمكن ذلك ، فذكر الشريف الإدريسي مثلاً أن الدارصيني سماه ديوسقوريدس « قيام من » ويسمى بالفارسية « دارجيني » وبالسريانية « مولون » ، وبالبربرية « أسطاخس » .

ما أدخله العرب من العقاقير في المادة الطبية :

لقد أدخل العرب كثيراً جداً من الأدوية المفردة في مادتهم الطبية ولم ينقلوها عن أخذوا عنهم من اليونانيين والنساطرة . وأوردوا هذه المفردات في كتبهم بحالة بأوصافها وقوة مفعولها ومنافعها وفوائدها في العلاج .

ولكن كان ذلك إما لاتصالهم بالهند وبلاد الشرق الأقصى ، وإما بتجوالهم في البلاد عامة وبخاصة ما كانت لهم بها علاقات وتقصيمهم في أثناء تجوالهم عما كان يستعمله أهالي هذه البلاد من عقاقير كان يجعلها أهل العلم في ذلك الزمان ، وإما لاكتشافهم الجديد من العقاقير .

وقد أورد الإدريسي في كتابه : « الجامع لصفات أشات النبت » كثيراً من العقاقير وذكر أن ديوسقوريدس « لم يذكرها » (في كتبه) أو أغفلها ، إما لأنه لم يبلغه عليها ولا سمع عنها أو كان ذلك ضناً منه أو تعمداً ، وإما لأن أكثر هذه الأدوية ليست من شيء من بلاده .

التي تزرع لهذه الغاية وهي ما كانوا يسمونها بالنباتات البستانية . كما أنهم كانوا يجلبون العقاقير من مواطنها الأصلية أي حيث تنمو نباتاتها وذلك بطريق البر عبر آسيا وأفريقيا أو بطريق البحر ، إذ كانت لها تجارة واسعة عندهم . فهذه العقاقير من إسبانيا ، وهذه من شمال أفريقيا أو شرقها وتلك من بلاد فارس أو من الهند أو من الصين أو من بلاد شرق آسيا وبخاصة جزر الهند الشرقية .

تسمية العقاقير

كان العرب يسمون العقاقير بالأسماء الوطنية التي يطلقها عليها أهل بلادها مثل الراوند وهو اسمه في الهند ؛ ولما يعربون تلك الأسماء بحيث تنفق في نطقها والذوق العربي ، فلفظة كافور مثلاً أصله كابور بالهندية ؛ وقنيل أصلها كامبيل في الهند ، والافستين هو من أبسنت اليونانية ؛ ودارصيني من الفارسية دارشين ؛ وخيار شبر من الفارسية خيار جنبر ؛ وجزر فارسيته كزر ؛ وتنبول هندية ؛ وبنفسج من الفارسية بنفسه .

ولما بترجمة الأسماء الأجنبية إلى العربية مثل : جار النهر ترجمة فوطاموغيطن اليونانية (نهر - جار) كرفس جبلي ترجمة أوراسالينون اليونانية (أورا = جبل ، ساليون = كرفس) بلوط الملك من الفارسية شاه بلوط ، ولما يضعون لها أسماء عربية خاصة كالتمر هندي (أي الثمر الوارد من الهند) وجوزة الطيب (أي الجوز الذي يتطيب به) والجاوي (أي الوارد من جاوة) وهكذا .

هذا بالإضافة إلى الأسماء التي استعملوها عن

كما أن ابن البيطار قد أورد في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» حوالي ٣٠٠ مفرد لم يذكرها ديوسقوريدس ولا المؤلفون قبله ، ومن هذه يمكن ذكر ما يأتي مع الاسماء العلمية للنباتات ، حسب تحقيقها الآن :

(انظر القائمة المرفقة)

ولقد كان العرب أول من حشّر حمض الكبريتيك ، وحض النيتريك ، والماء الملكي والقلويات (إيدروكسين الصوديوم وغيره) والساماني (كلوريد الزئبق) ويوديد الزئبق ، والانتيمون ، والنشادر ، ونترات الفضة ، والراسب الأحمر ، والبورق ، وحمض الطرطير ، والكحول واستعملوها في صناعاتهم وعلاجاتهم . ويلاحظ أن كثير من هذه الاسماء مازالت مستعملة باللغات الأوروبية بشكل يدل على أصلها العربي .

تحية العقاقير: وقبل أن أنهى كلمتي أرجو أن تذكر النقاط التي كانوا يرونها أساسية في مقالاتهم عن العقاقير . لو استعرضنا مؤلفات العرب وبخاصة ما كان منها مخصصاً للأدوية ، نجد أنهم حددوا عدة نقاط لاستيفاء كل ما يتعلق بالعقار من ذكر أو وصف ، ونعوته وقوته وفوائده ، بل إن داود الانطاكي ذكر أن كل مفرد يحتاج للنقاط الآتية :

(١) ذكر أسمائه بالالسن المختلفة

(٢) ذكر ماهيته من لون ورائحة وطعم وتلج وخشونة وملاس وطول وقصر (٣) ذكر جوده وردينه ليؤخذ أو يترك (٤) ذكر درجته في الكيفيات الأربع (حار - بارد - رطب - يابس) ليتبين الدخول به في التراكييب . (٥) ذكر منافعه في سائر أعضاء البدن (٦)

كيفية التصرف به (٧) ذكر منضاره (٨) ذكر ما يصلحه (٩) ذكر المقدار المأخوذ منه مفرداً أو مركباً مطبوخاً أو منشفاً بجرمه (١٠) ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد (١١) الزمان الذي يقطع فيه الدواء ويدخر (١٢) من أين يجلب الدواء إذ يترتب على ذلك فوائد مهمة في العلاج ، فقد قال أبقراط : « عاجلاً كل مريض بعقائير أرضه فإنه أجلب لصحته »

وهذا أتم وأوفى ما يحل به العقار إذ ليس هناك ما يزداد على هذه النقاط حتى في عصرنا الحاضر ، اللهم إلا التعمق في كل منها بحسب وسائل تقدمنا في العلوم وفي طرق البحث واستعمال الميكروسكوب بأنواعه المختلفة والمتقدمة وكذلك الأجهزة العلمية الحديثة ، وذكر المحتويات الفعالة والتشخيصية للعقار .

• • •

| | |
|-----------------------------------|-------------------|
| Melia azadirachta | أزاديرخت |
| Phyllanthus (Mirobolan) emblica | الأمليج |
| Berberis sp | أمير باريس |
| Aegles marmelos | بل = قماء هندي |
| Terminalia bellerica | بليلج |
| Salsola rosmarinifolia | بهرائج = بلخينة |
| Aconitum napellus or A. ferox | بنش |
| Iiper betel | تانبول = تامول |
| Tamarindus indica | تمر هندي |
| Ipomoeia turpethum | نريد |
| Amcimum zedcaria | جدوار |
| Lathyrus sativa | جلبان |
| Alvaxistica fragrans | جوز طيب - جوز بوا |

| | | | |
|---|------------------------|---|-------------------------|
| <i>Datura metel</i> | جوز مائل | <i>Anamirta paniculata</i> | ما هي زهرة (سم السمك) |
| <i>Cyperus aesculentus</i> | حب الزلم . . حب الخزين | <i>Prunus mahleb</i> | محلب |
| <i>Ipomoea hederacea</i> | حب النيل - قرطم هندي | <i>Salvadora persica</i> | مسواك (أراك) |
| <i>Alpinia galanga</i> | خلنجان | <i>Glossostemon burghieri</i> | مغات |
| <i>Cassia fi-tula</i> | شعير شنبير | <i>Corchorus olitorius</i> | ملتحية |
| <i>Croton tiglium</i> | خروع صيفي - دند | <i>Manna</i> | من |
| <i>Ca'amus draco</i> | دم الاخيرين | <i>Cocos nucifera</i> | نارجيل |
| <i>Jatropha curcas</i> | دند بري | <i>Citrus aurantium var amara</i> | نارنج |
| <i>Zingiber zerubath</i> | زرنباد | <i>Melilotus officinalis or Medicago ciliaris</i> | نفل |
| <i>Cassia acutifolia</i> | سنا (مكي) | <i>Flemingia congesta</i> | ورس |
| <i>Santalum album</i> | صندل | <i>Jasminum sp.</i> | ياسمين |
| <i>Li er nigrum</i> | فلفل أسود | <i>Civet</i> | زباد |
| <i>Areca catechu (nut)</i> | فوفل | <i>Amlergris</i> | عنبر |
| <i>Cakile maritima</i> | قاتلي | <i>Muskus</i> | مسك |
| <i>Eugenia caryophyllata</i> | قرنفل | <i>Sugar</i> | سكر |
| <i>Melilotus philippinensis (Kamal)</i> | قنبيل | <i>Cha'k</i> | طباشير |
| <i>Piper cubela</i> | كبابية | <i>Cinnabar</i> | زئبقفسر |
| <i>Cinnamomum camphora (Camphor)</i> | كافور | <i>Bezar stone</i> | باد زهر - با زهر |
| <i>Curcuma domestica</i> | كركم | <i>Ruby</i> | ياقوت |
| <i>Pandanus odoratissimus</i> | كاذي | <i>Anathyst</i> | زمرد |
| <i>Citrus medica</i> | ليمون | <i>Peridot = Chrysolite</i> | زبرجد |
| | | <i>Coral</i> | بسند - مرجان |
| | | <i>Limestone</i> | خيز النار - حجر المنورة |

التأريخ للعربية

أهميته ودراسته ومناهجه

الدكتور محمد سالم الجريح

١ - نظرة تمهيدية :

إن أى مقارنة مهما كانت عابرة أو سريعة، يجرىها دارس يدرك قدراً كافياً من طبيعة اللغات، وظروف تطورها، بين لغتنا العربية المجيدة ، وأى لغة إنسانية أخرى، قديمة أو حديثة، راقية، — كما يقولون — أو بدائية ، داخل الأسرة السامية التى تنتمى إليها لغتنا العربية أو خارجها — تنتهى دائماً إلى اقتناع هذا الدارس الذى يقوم بتلك المقارنة بأن اللغة العربية من صفات التميز ، وأوضاع التفرد ، ما يكاد يجعلها وحدها نوعاً قائماً بذاته بين اللغات ، يختلف عنها جميعاً فى العديد من النواحي ، والكثير من الأحوال .

فلغتنا العربية المجيدة تتفق مع اللغات الكلاسيكية القديمة كال يونانية واللاتينية ، بل والسكسكريتية ، فى العراقة والقدم ، وقد أثبت ذلك ، بمنطقه المفهم ، النابغة الراحل المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه ، « الثقافة العربية أسبق من الثقافتين اليونانية والعبرية » الذى استفتح به السلسلة الشهيرة للمكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة المصرية . ونحن هنا

نزيد ما قاله الأستاذ العقاد إيضاحاً ، فنقرر أن وضع اللغة العربية كلغة مركزية داخل الأسرة السامية ، أقرب فى شئون تصریفها ، ونهج اشتقاقها إلى اللغة السامية الاثنية يؤكدها قدمها على اللغات الأكادية والبابلية والآشورية التى جاءت منها نصوص أدبية ، وكتب تشريع ، وملاحم وأشعار وتراجم دينية، ترجع إلى ما قبل الألف الثالثة السابقة على ميلاد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام . ومعنى ذلك أن لغتنا العربية المجيدة كانت تستعمل على الصورة التى تعتبر لغة الشعر الجاهلى ، ولغة القرآن الكريم ، امتداداً لها ، وتطوراً عنها ، قبل الألف الرابعة السابقة على الميلاد — حين انسلخت اللغات الأكادية والبابلية والآشورية عنها — وبدأت تخضع لدوافع تطورية عنيفة فى بيئتها الجديدة فى العراق القديم، بل إننا بهذا الاعتبار نستطيع أن نقول إن اللغات الأكادية والبابلية والآشورية ليست إلا لهجات عربية قديمة نزحت من وطنها الاصلى القديم فى الجزيرة العربية إلى بيئات جديدة فى أرض الرافدين ، وتعرضت لألوان من الصراع اللغوى

العربية المجيدة، بأنها قديمة حديثة، أو كلاسيكية ومعاصرة، في نفس الوقت والآن.

وليس من هذا الجانب وحده تتفرد اللغة العربية بين اللغات حتى لتكاد توصف بالشئ وضده، والنعت ونقيضه. فإنها - حتى في داخل الأسرة السامية ذاتها - كثيرا ما يصدر عليها من الأوصاف والنعوت ما يبدو متضاربا متناقضا. فمن المؤلف أن تستمع إلى علماء المقارنات السامية وهم يقررون، أن اللغة العربية هي أم اللغات السامية جميعا، أو أقرب هذه اللغات إلى الأم المفردة، وأنها بهذه المكانة أكثر اللغات السامية حرصا على القديم، ومحافظة على الملامح اللغوية الأولية. - ومثل هذا الكلام يؤكد الطبيعة المحافظة أو البدائية للغة العربية. ولكن علماء

المقارنات السامية أنفسهم كثيرا ما يرددون أن « اللغة العربية هي أوسع اللغات السامية على الإطلاق في ثروتها من الألفاظ والمفردات، كما أنها أقدرها على التعبير المجرد، وأصلها للأديب والشاعر، وأكثرها تطورا في فنون الأدب، وبراعة في الأساليب » - ومثل هذا يؤكد تطور اللغة العربية وارتقاءها وازدهارها بين أخواتها - أو بناتها - من سائر اللغات السامية الأخرى. فهل اللغة العربية بدائية محافظة على القديم، أو هي متطورة قطعت من مراحل النضج والارتقاء، والتطور والازدهار، ما لم تبلغه واحدة من اللغات السامية الأخرى؟ إن مثل هذا التعارض في وصف العربية، وما يبدو من أنه تناقض فيما يقال عن أحوالها، قد حير

مع لغة كالسومرية لا تنتمي إلى الأسرة العربية أو السامية، وآل بها هذا الصراع - مع عوامل التطور الأخرى - إلى أن تختلف تلك اللغات عن الوضع الذي كانت عليه في الوطن الأصلي الأول. ومعنى ذلك أن تاريخ اللغة العربية يرجع إلى الوراء ألوفا من السنين قبل أن تكتب بها قصائد الشعر الجاهلي القديم، ويوحى بها القرآن الكريم، وتحجز بها ذخائر الأدب والمعرفة الإنسانية على مختلف فروعها وأشكالها، وترجم إليها كنوز اللغات الأخرى على تنوع فنونها وألوانها. وهكذا كله يؤكد شبه اللغة العربية المجيدة للغات الكلاسيكية المعروفة في العراقة والقدم، وفي سعة التراث الأدبي المتوارث وثرائه، بل إن العربية لتفوق اللغات الكلاسيكية الأخرى في هذا المجال.

وبينما تتشابه اللغة العربية مع اللغات الكلاسيكية القديمة كالإيونانية واللاتينية فإنها في ذات الوقت تتشابه مع اللغات المعاصرة الحديثة كاللغة الإنجليزية، أو الفرنسية، أو الألمانية، أو الروسية. فاللغة العربية كهؤلاء جميعا، لغة حضارة حية معاصرة، وأدب نشيط متجدد، فهي ما تزال مستعملة مثلما تستعمل هذه اللغات جميعا، في التأليف الأدبي، والبحث العلمي، والجهود الإعلامية، والبيانات السياسية والنشرات العسكرية، والحوار القضائي. - إلخ. جوانب استعمال اللغات الأدبية المعاصرة، مشافة أو كتابة، ارتجالا أو تأليفا، في الجوانب التطبيقية العملية للحياة، أو النواحي الفلسفية النظرية منها. وهكذا نستطيع أن نصف لغتنا

عن هذا الوضع أو ذلك من أوضاع اللغة في مراحلها. القدوة الأقرب إلى الفصحى ، فإننا لانستطيع بالتالى أن ننكر أن الصيغ الصرفية في اللغات السامية الأخرى كالعبرية أو الآرامية ، التي تتشابه مع نظائرها في عاميات اللغة العربية ، أو تتجاوزها في سلم التطور والتغير ، يتختم أن تكون أبعد من صيغ العربية الفصحى عن الوضع اللغوى الأول أو الأصيل . فتمط صر في مثل تفعل (*tafaʿala*) حين تجده في الفصحى على هذا الوضع دون تغيير كما في في تكسر (*takassara*) تم تجده في عامية كالمصرية مثلاً متغيراً عن ذلك كما في قولنا : انكسّر (*ʔikassar*) أو حتى - اكسّر (*ʔikassar*) نجزم أن وضعه في الفصحى هو الأصل أو هو الأقرب إلى الأصل من وضعه في العامية المصرية ، وإذا تشابه الوضع في لغة سامية كالعبرية أو الآرامية مع الوضع في العامية ، أو جاوزه في التغير ، ونواحى الاختلاف ، استطعنا أن نجزم كذلك بأن هذا اللفظ في العربية الفصحى وهو تفعل أكثر محافظة على الأصل من نظيره العبرى : (*hittpaʿel*) ونظيره الآرامى : (*ʔippaʿal*) مثلاً وهكذا نقبل - دون تردد - ما يقال من أن لغتنا العربية المجيدة هي أكثر اللغات السامية محافظة على الأوضاع اللغوية الأصلية ولكن النظرة السريعة إلى محيط الثروة اللفظية ، وإلى الأنماط الأدبية التي تحوزها اللغة العربية ، تؤكد طبيعة الارتقاء التطورى ، والازدهار الأدبى لهذه اللغة المجيدة عن سائر أخواتها الساميات . وهكذا يصدق أيضاً الشق الثانى من وصف اللغة العربية بالازدهار والارتقاء

الكثيرين ، حتى العلماء المتخصصين إلى حد أننا نجد عالمة متخصصة لامعة كالذكورة عائشة عبد الرحمن تنعنى على علماء الساميات (ومن بينهم إسرائيل ولفنسون) محاولاتهم ربط العربية باللغات السامية ، على نحو قد يوحى بجمود العربية أو بدايتها بين هذه اللغات ، مع أن العربية مشهيرة لها بالازدهار الأدبى بين هذه اللغات نفسها . ولذلك تدعو الذكورة عائشة عبد الرحمن في كتابها الذى ظهر مؤخراً بعنوان « لغتنا والحياة » إلى الإعراض عن كل ما يقوله علماء الساميات من ربط بين اللغة العربية وبين هذه المجموعة من اللغات .

ولكن الأمر أهون من أن تضيق به الذكورة عائشة عبد الرحمن أو تنفر منه ، فالتناقض فيما يصدر عن علماء اللغات السامية خاصاً باللغة العربية شكلى أكثر منه حقيقياً ، ومظهرى أكثر منه جوهرى . ويمكن حل هذا التناقض المظهرى *apparent paradox* فى أن وصف اللغة العربية بالمحافظة والحرص على الأوضاع الأولية الأصلية يصدق عليها فى اعتبار ، بينما يصدق عليها الوصف بالتقدم والازدهار والتطور والارتقاء فى اعتبار آخر . فالذى يدرس الأنماط الصرفية مثلاً للغة العربية واللغات السامية ، يخرج باقتناع شديد ، وإيمان أكيد بأن اللغة العربية قد حافظت فى الأغلب على الأوضاع الأصلية للظواهر اللغوية على هلمبا المستوى ، بينما سبقات اللغات السامية الأخرى عاميات اللغة العربية فى تطوير هذه الأنماط وتغييرها ، وإذا كنا لا نستطيع إنكار تطور العاميات المعاصرة للغة العربية

لتاريخ هذه اللغة المجيدة الطويل، وصراعا العتيد مع الأيام والسنين ، ومع العديد من الاجناس واللغات ، وفي الكثير من الاوطان، والمختلف من الحضارات .

فن الواجب على من يعنى بدراسة العربية دراسة تتصف بأى قدر من العمق أن يتسلح بوعى مستوعب لتأريخها الطويل . وقد ظل «التأريخ» للعربية بجالا قليل الإغراء للباحثين والدارسين . حتى انعدم فيه الإنتاج أو قل . وقد آن الأوان لتستدرك هذا الجانب الهام . ونستكمل هذا النقص الواضح . ونقوم بالتأريخ للغتنا العربية المجيدة .

٢ — مجال التأريخ للعربية ومجالات أخرى للتأريخ الادبى والمفوى :

وحين نقول إننا ينبغي أن نتدارس تاريخ لغتنا العربية المجيدة ، أو نقوم من جديد بالتأريخ المنهجى الشامل لها ، فإننا لا نقصد بذلك إلى التأريخ للأدب العربى ، فقد كان ذلك ولا يزال موضع عناية فائقة ، واهتمام شديد ؛ تتدارسه كل المعاهد والجامعات ، وتؤلف فيه الكتب بال عشرات بل بالمئات داخل العالم العربى وخارجه . فضلا عن أن تأريخ اللغة العربية يسبق المرحلة التى حفظ لنا التأريخ نماذج من إنتاجها الادبى بقرون طوال . ومعنى هذا أن التأريخ للأدب العربى لا يمكن أن يغنى عن التأريخ للغة العربية .

ويصبح حل هذا التناقض المظهرى في وصف اللغة العربية منحصرأ (فى رأينا) فى إضافة يسيرة، لكنها جوهرية على كل من شقى الوصف، بحيث نقول : إن اللغة العربية هى — لغزياً — أكثر اللغات السامية محافظة على الأوضاع الأولى ، وإن كانت — أدبياً — أكثرها تقدماً وارتقاء .

ونستطيع أن نصيف الكثير من هذه الاوصاف المزدوجة — التى قد تبدو متناقضة — على اللغة العربية : فهى لغة كلاسيكية كاللاتينية، وهى فى الوقت نفسه لغة معاصرة كالإنجليزية أو الفرنسية ، وهى اللغة الأكثر محافظة بين اللغات السامية ، وهى فى الوقت نفسه الأكثر ازدهاراً وارتقاءً بينها جميعاً . وهى لغة قرآن ربانى منزل ودين سماوى موحى، وهى فى الوقت نفسه لغة حياة دنيوية عملية حافلة. بل إن هناك من يقول بأنها — فى صورتها الفصحى — لغة ميتة أو كالميتة لا يتم التمكن منها إلا بالتعلم والممارسة لسنوات عديدة، بينما نجدها — فى لهجاتها المعاصرة — لغة فطرية طبيعية، يتلقاها الطفل تلقائياً عن أمه وأبيه ، وأهله وسائر أفراد مجتمعه ، وينمو ليستعملها بالسليقة أو الفطرة كما كان يستعمل العربى الأول صورة أخرى منها بالسليقة والفطرة أيضاً .

ولإدراك هذه الجوانب العديدة فى طبيعة اللغة العربية ، وفهم ما قد يبدو فيها من تضارب أو تناقض ، وتفسير أسباب تميز اللغة العربية على سائر اللغات الأخرى قديماً أو حديثاً ، سامياً أو آتياً، يستلزم دراسة متعمقة وإعـ

نشأتها الأولى فيحاول التعرف على ظروف نموها وارتقاها ، وتشيرها وتطورها ، خلال ماضيها الطويل ، بمنعطياته العديدة ، وسجلها المتناهي الممتد ، وتحدياته الكثيرة المتلاحقة ، حتى يبلغ معها المسكنة التي استأهلت لإعداد الدراسات النحوية لها ، وكتابة البحوث اللغوية عنها .

ولكننا - خلافا لما تفعل الدراسات اللغوية والنحوية بصفة عامة - لانقف في تأريخنا للعربية عند بلوغها هذا « الوضع » الذي استأهل تركيز الدراسات النحوية عليه ، وبلوغها تلك المسكنة التي استحققت تكرير البحوث اللغوية لها ، والآليف المعجمية عنها ، وإنما نمضي معها بعد ذلك ، متتبعين خطاها الواثقة عبر القرون ، وثباتها العنيد أمام عوامل الدهر وتحديات الزمان حتى نبلغ معها إلى عصرنا الحاضر ، ونرى كيف صارت من أجل بقائها وازدهارها خلال ذلك الماضي الطويل من قبل ، وكيف لا يزال هذا الصراع متصلا ومستمرا إلى الآن ، وإلى ما بعد الآن . وكيف أن هذا الصراع في الماضي والحاضر يكون هينا لينا حيننا ، ومريرا عنيدا حيننا آخر ... ١

وهكذا فإننا في عنايتنا بالتأريخ للعربية ، وتبع خطاها الثابتة عبر القرون ، لانقف عند تصوير الوضع الحاضر ومشاكله ، أو الموقف المعاصر وتحدياته . وإنما ننتقل إلى ما هو أبعد من ذلك فذستعين بما نكون قد عرفناه عن ماضي العربية الطويل ، وما نكون قد أدركناه عن حاضرها المضطرب لنستشرف آفاق مستقبلها

وعلى الرغم من الأهمية الشديدة للتأريخ للآدب العربي ، فليس هو ما يعنى به المتخصصون اللغويون في المقام الأول ؛ لأن مثل هؤلاء المتخصصين اللغويين يحاولون فهم طبيعة لغتهم الفهم الحق ، وتحليل ظواهرها على مختلف المستويات التحليل الصحيح . وهذا وذاك بما لا يغنى فيه كثيرا ما قد كتب في الماضي أو عساه يكتب في المستقبل عن تاريخ الآدب العربي . وهكذا يتضح لنا حتى بالنظرة السريعة ، واللمحة العاجلة ، أن تاريخ الآدب العربي قد يمثل سلاحا إضافيا لدارسى اللغة العربية ، يستعمل جنباً إلى جنب مع سلاح « التأريخ للعربية » ، ولكنه لا يمكن أن يحل محله ، ولا يجوز أن يغنى عنه .

وكذلك فإننا حين نقول « تأريخ العربية » - لا نقصد التأريخ لما كتب عن العربية من دراسات نحوية ، أو ألف حولها من بحوث لغوية ، أو عن تطور جمع مادتها في المباحث والقواميس . لأن ذلك على الرغم مما قد يمتد من أضواء على طبيعة اللغة ، ويحققه من عرض المناهج التي اتبعت لفهم ظواهرها ، وتحليل أبنيتها وتراكيبها ، وشرح ألقاظها ومفرداتها ، وهو ما لا يفعل التأريخ للآدب العربي منه شيئا - لا يزال قاصرا عن الذي نريده وندعو إليه من وجوب للتأريخ اللغة العربية ذاتها ، تأريخا يتبعها منذ مراحل نشأتها في البداية البعيدة الموهلة في القدم (التي يرتد من أجل استقصائها إلى الوراء حتى أبعد ما تمسكتنا الظروف من الرجوع إلى الوراء) ثم يواصل السير معها بعد مراحل

زبدته ، ونحاول التخطيط له الآن ، لا ينبغي أن ينحصر في التأريخ للأدب العربي (بالمعنى الواسع أو الضيق لكلمة الأدب) ، ولا ينبغي أن ينحصر في التأريخ لنحو اللغة العربية أو للبحث للغيرى فيها . وتاريخ العربية لا ينحصر في تاريخ مفرداتها أو المعجم التاريخي لمثلها . وتاريخ العربية ليس هو تاريخ لهجاتها وبيان الطرائق المختلفة للاستعمال اللغوى في هذه اللهجات . وتاريخ العربية ليس تاريخ أهلها والذين نطقوها أو كتبوا بها أو ترجموا منها أو إياها . وتاريخ العربية ليس هو تاريخ المستوى الحضارى لشعوبها أو الحصيلة الفكرية لأبنائها . وتاريخ العربية لا ينبغي أن ينحصر في تاريخ النصوص المقدسة - من قرآن كريم وحديث نبوى شريف - التى أوحيت بها ، وتركت على الإنسانىة خالد آثارها . وتاريخ العربية لا يعنى التبع التاريخي لبعض ظواهر هذه اللغة أو أنماط الاستعمال فيها الخسب .

إن تاريخ العربية الذى نرجو له أن يكتب قد يلتقى فى جانب أو آخر مع بعض ذلك أو كله ، ولا بد أنه سيستعين فى هذا المنحى أو ذاك من مذاهبه بكل ذلك أو جله . ولكن التأريخ للعربية سيكون فى النهاية شيئاً مختلفاً عن أى واحد من ذلك ، ومختلفاً عن كل ذلك . فكل هذه المجالات لا تمثل سوى دراسات جزئية متعددة ينبغي أن يستعين التأريخ للعربية بها جميعاً ، ويفيد منها جميعاً لكي يأتى كاملاً شاملاً ، متصل العربى متتابع الحلقات .

* * *

القريب أو البعيد ، ونتوقع ما عساها تقابله فى هذا المستقبل من أمجاد وانتصارات ، أو تحاجه من عواصف وأعاصير - توقعاً يكون محسوباً مدروساً ، مبنيّاً على مقارنة النظائر الماضية من ناحية ، واستنطاق الشواهد القائمة والمؤشرات الماثلة من الناحية الأخرى . بحيث لا تندفع فى التفلؤل بالنسبة لمستقبل العربية ، فنغفل الحيطه والتخطيط لانطلاقها ، أو نفرق فى التناؤم فنترى فى أحضان الاستسلام والسلبية ، وترك لغتنا المجيدة - كما فعلنا مراراً من قبل - تمضى حين تمضى لا بجهدنا ، ولكن على الرغم منا ، وتواجه تحدياتها لا بتوجيهنا ولكن فى غفلة منها .

فإذا كان التأريخ للعربية - كما بينا - يعتنى بماضيها كله بحيث يحاول رد بداياتها الأولى إلى أبعد ما يمكن تتبع هذه البدايات ، ثم يمضى معها بعد ذلك فى جميع أطوار نشأتها ونموها إلى أن يبلغ بها الحاضر المعقد المتشابك فيجتهد فى تحليله بأعمق ما يتأتى التحليل ، ثم يتجه بعد ذلك - بالحساب المتزن والإدراك الواعى - إلى استشراف آفاق مستقبلها ، لكي يخطط لدعم ما يتوقع فى هذا المستقبل من إنجازات ، ويتحوط لمقاومة ما يخشى فيه من سلبيات - نقول : إذا كان التأريخ للعربية هو ذلك كله ، فإنه يكون بلا شك أمراً مختلفاً أشد الاختلاف عن التأريخ لنحو اللغة العربية ، أو للبحث اللغوى والنشاط المعجمى فيها .

إن التأريخ للعربية على النحو المنهجى الذى

٣ - بين التاريخ للعربية والتاريخ للمبحث اللغوي فيها

وفي جهدنا هذا الذي نحاول فيه إبراز أهمية التاريخ للغة العربية ذاتها ، ونحدد مناهجه ، ونميز بينه وبين مجالات التاريخ اللغوي أو الأدبي الأخرى ، فإنه يهمننا هنا بصفة خاصة أن نميز تميزاً واضحاً بين هذا الجهد المنهجي الهادف في التاريخ للعربية من ناحية ، وبين محاولات التاريخ للنحو العربي ، والبحث اللغوي في العربية من الناحية الأخرى . ويرجع هذا الحرص الشديد من جانبنا على التمييز الواضح بين هذين المجالين إلى عدد من الاعتبارات المنهجية التي نعرض أهمها فيما يلي :

أولاً : ان الخلط قد تم في الماضي بين « اللغة » من ناحية و « النحو » من الناحية الأخرى ، بصورة أدت إلى الكثير من المفاهيم الخاطئة ، والتصورات الواهمة بحيث صار الكثيرون مناصبون أن أى دعوة إلى تيسير النحو تعنى بالضرورة الدعوة إلى تخيير اللغة ، أو أن أى محاولة لإعادة تفسير أى ظاهرة نحوية في اللغة ، إنما هى ثورة على اللغة نفسها . وأمثلة هذا الخلط في حياتنا اللغوية كثيرة ، أوضح من أن تحتاج إلى إفاضة أو بيان . ولعل من أهم أسباب هذا الخلط في لغتنا أننا نسمح بإطلاق كلمة « اللغة » مع إرادة « علم اللغة » أو « علوم اللغة » — على حذف المضاف والاكتفاء بالمضاف إليه — وهكذا أصبح الناس يقولون « اللغة » ويقصدون بذلك — حيناً — وسيلتنا في التعبير عن الأفكار والانفعالات ، أو ما نطقه أو نكتبه في شئون حياتنا ،

أو لحظات إلهامنا ، من وجوه التخاطب ، أو فنون الأدب . ثم يقصدون بذلك نفسه - حيناً آخر - « نحو اللغة » أو « علم اللغة » أو « معجم اللغة » . وقد أدى هذا الاشتراك اللغوي بين المدلولين إلى الخلط المعنوي والذهني بينهما . وحسبنا هنا أن نشير إلى أن من أبرز مظاهر الخلط انتقال عدوى الحب والتقدير والغيرة من « اللغة » إلى « نحو اللغة » . حتى إن أستاذاً في جامعاتنا حين يحاول أن يذبه طلابه إلى أن النحو العربي أغفل كذا ، أو أهمل النظر في كذا ، يواجه بالطلاب ثائرين محتجين ، موضحين أن ذلك ما كان يمكن أن يفوت عبقرية اللغة العربية ، ولكن لعل كذا أو كذا — هو السبب في إهمال اللغة المظهرى لهذه الظاهرة . ويفوت هؤلاء أنه شتان بين من ينقد النحو العربي ، ومن ينقد اللغة العربية . وأن الفرق هائل بين قولنا مثلاً : « لقد أغفل نحاة العربية دراسة ظاهرة النبر » وبين قولنا : « إن اللغة العربية — لغة امرئ القيس ، والتابعة ، ولغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولغة طوائف العرب في كل زمان ومكان — تخلو من النبر » .

ولا يتوقف الخلط بين « اللغة » و « النحو » عند الطلاب والدارسين ، بل يمتد ليشمل الكثيرين من العلماء والمتخصصين في القديم والحديث . فقد ادعى ابن فارس مثلاً أن علم النحو في اللغة العربية قديم كقدمها ، ومنزل كمنزليها . ولم يشأ متخصص معاصر كالدكتور أحمد مختار عمر أن يرفض ذلك رفضاً صريحاً

من كتب طبقات النحاة والغويين . فضلا عما ورد من التأريخ للنحو ، وأعلام رجاله ، وأشهر كتبه في الموسوعات ودوائر المعارف . وقد انتقلت هذه العناية بالتأريخ للنحو من القديم إلى الحديث فأصبحنا نرى تاريخ النحو ، أو تاريخ البحث اللغوي ، أو تاريخ المدارس النحوية . منها مقرر يدرس للطلاب في كثير من الجامعات والمعاهد ، كما أنجز في هذا المجال العديد من البحوث والرسائل الدرجات العلمية العليا ، وأصدرت المطابع فيه العشرات من الكتب والمؤلفات .

أما التأريخ للغة العربية على النحو الذي تتصوره وتخطط له فلم يحظ (على ما نعرف) باهتمام يذكر في القديم . وحين بدأت همم العلماء تتجه إليه في الحديث بادرهم وهم في التصور ، أو خطأ في المنهج ، أو عاجلهم الخلط بين اللغة والنحو ، فلم يقدموا في تأريخ اللغة العربية ما يروى ظمأ أو يشقى غليلا ، ونحن نعرض هنا لأربع دراسات معاصرة في تأريخ العربية لرى كيف بعدت عن الهدف المقصود .

الدراسة الأولى : أخرجها الألب أنستاس ماري الكرملي بعنوان « نشوء اللغة ونموها واكتناها » المطبعة المصرية بالقاهرة ١٩٣٨ - وقد يحسب من يطل على العنوان أن الكتاب هو غاية المريد في التأريخ للعربية في جميع مراحل حياتها ، تأريخها منهجيا . ولكننا لا نلبث حين نتصفح الكتاب أن ندرك بعده عن المطلوب تماما . ولنقرأ بعض ما كتبه المؤلف في تصدير

— وهو ما ينبغي — فقال في كتابه « البحث اللغوي عند العرب » (ص ٦٤) : « وفي رأينا أن النحو العربي قد نشأ فنا قبل أن يكون علما ، أي أن هذه الطرق الخاصة بالأداء في اللغة العربية قد التزمت باضطراد في تراكيبها ، وأساليبها ، ومرنت عليها ألسنة العرب ، وتمكنت من طابعهم ، قبل أن توضع لها القواعد النحوية » . ونحن نرى في مقال الدكتور مختار من التكلف والافتعال ما لا داعي له أبدا . فنألق اللغة الطبيعية — اللغة الأولى التي يولد الطفل بين أهلها ، ويتلقاها عن أمه مع ارتضاع لبنها ، والنمو على رعايتها وحنانها — يستعملها استعمالا فطريا أو سليا ، دون حاجة إلى معرفة أي نحو — كفن أو كعلم — بينما يبدأ الجهد النحوي — حين يبدأ على الإطلاق — عند ما يتم تحليل هذا النطق الفطري ، واستنباط القواعد التي يخضع لها .

ولأن الخلط بين « اللغة » و « النحو » كثيرا ما وقع في القديم والحديث . إلى حد أن عالما بارزا كان فارس — وهو من هو — قد أراق إليه فائنا نخشى أشد الخشية أن يتم خلط آخر بين « تأريخ اللغة » و « تأريخ النحو » ، ولذلك فائنا نحرص أشد الحرص على التمييز الواضح بين المجالين .

ثانياً : إن عناية الباحثين والدارسين والمؤلفين قد اتجهت اتجاها واضحا منذ القديم إلى التأريخ للنحو والدراسات اللغوية ، وتمثل ذلك في التراث الهائل الذي تحويه مكتبتنا الآن

كاتبه لتعلم أنه يمضى في واد ، وما يريد المؤرخ
للغربية يقع في واد آخر مختلف عنه كل الاختلاف .
يقول المؤلف :

هذا بحث لغوي . جريت فيه على الأسلوب
الحديث ، تمحيصا للحقيقة ، ودفاعا عن اللغة
المضربة ، وإيضاحا لما فيها من دقائق الأوضاع
وخفايا الأسرار ، وغرامض الحروف
وخمائنصها ، وبدائع الصيغ وأوزانها وما فيها
من مختلفات لغى القبائل متوقعا به البلوغ إلى
الحق ، غير مبتغ أجرا ولا شكورا ، إنما كل
أمنيتى خدمة العربية وحمل أبنائها على السير في
هذا المنهج . . . وهكذا لا يثل الكتاب تأريخا
منهجيا للغة العربية ، وإن من بعض جوانب
التطور اللغوي فيها كتكوين الجذور اللغوية
وكيف بدأت ثنائية ثم ثلثت ، ثم ربعت ،
أو خمست . . . والمقابلة بين الالفاظ العربية
ونظائرها في الأسرة السامية أو الهندو - أوروبية
ولا يمس المؤلف ما يمكن أن يسمى تأريخا
للغربية إلا في صفحة ١٠٦ من كتابه حين
يتحدث فجأة عن بلوغ العربية عمر الكهولة -
والغريب أنه يعنى به اكتمال قواها الداخلية
والخارجية - وكأنما يرادف بين الاكتمال
والاكتمال - فيقول : . . . فقد مرت مئات
من السنين ، وبلغ المتكلمون كل غاية ومدى ،
حتى لم يبق لهم إلا أمر واحد ، هو الاحتفاظ
بما وقع في أيديهم ، وألا يساء التصرف فيه .

الدراسة الثانية : أخرجها فضيلة الأستاذ
الأبهر المحرم الشيخ محمد الخضر حسين شيخ
الجامع الأزهر . وعضو مجع القاهرة ودمشق ،
في كتاب اسمه « دراسات في العربية وتاريخها »
طبعة ثانية ، مكتبة دار الفتح بدمشق ١٩٦٠ -
ويضم دراسة مستقلة أسماها المؤلف « في حياة
اللغة العربية » . والمطلع على العنوان العام لهذا
الكتاب ، وعلى عنوان هذه الدراسة المستقلة قد
يأمل أن يجد فيها تأريخا منهجيا للغة العربية ،
ولكنه يرتد حين يقرأ صفحات الكتاب -
على ثراء ما فيها - بقدر كبير من الشعور بالخيبة
لعدم عبوره على ضالته المنشودة وهى التأريخ
للغربية . إن أبحاث الكتاب تنحصر في : القياس
في اللغة - حياة اللغة - الاستشهاد بالحديث
التضمنين - تيسير وضع المصطلحات الطبية
وتوحيدها - حول تبسيط قواعد النحو والصرف
والرد عليها - الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على
السماع ، وهى فصول قد يتصل بعضها بتاريخ
العربية ، ولكنها لا يمكن أن تعتبر دراسة
موضوعية منهجية لهذا المجال الهام من دراسة
اللغة العربية .

أما الدراسة المستقلة وهى « حياة اللغة
العربية » التى تبدأ وحدها بدسلة ومقدمة يقول
يقول فيها المؤلف : « فالغرض إنما هو البحث

ويمضى المؤلف فى بيان ما اكتمل للغربية
عند ذلك من أوزان ، وما ظهر فيها من إبداع
برزت به اللغات الأخرى حتى من بنات أمها

فما طرأ عليها من التغيير بالتجديد أو الدور... مع قيام الأحوال التي دعت إلى دور القديم وتولد الجديد — وإنما يتناول البحث في تاريخ اللغة أيضا :

١ — النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الأحوال قبل زمن التاريخ، كتكون الأفعال والأسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك .

٢ — النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالأمم الأخرى، واكتسابها من لغاتهم ألفاظاً وتعبيرات جديدة، كما يقتبس أهلها من عادات تلك الأمم، وأخلاقهم وآدابهم، وما يرافق ذلك من تنوع معاني الألفاظ بتنوع الأحوال، مع حدوث صيغ جديدة، وألفاظ جديدة .

٣ — النظر في تاريخ ما حوته اللغة من المعارف والعلوم والآداب .

وجميل من جرجى زيدان أن يعترف — بعد بيان هذه الجوانب الأساسية التي ينبغي أن يغطيها أى تاريخ شامل للغة العربية — بأنه ليس في وسعه في ذلك الكتاب أن يدرس تاريخ العربية على هذا النحو من الاتساع والشمول . ولذلك فإنه سيقصر على تاريخ العربية في الدور الثاني من هذه الأدوار الثلاثة ، وهو الذي يعنى بالتأريخ لألفاظ العربية وتراكيبها بعد تكونها وبالفعل جاء هذا الكتاب لجرجى زيدان ، محاولة للتأريخ للألفاظ العربية في مختلف العصور ،

عن حال اللغة في حد نفسها ، من جهة أطوارها ومحكم وضعها ، واتساع نطاقها ، وارتقائها مع المدنية — فإنك لا تكاد تقع في صفحاتها العديدة على ما يمكن أن تعتبره تاريخاً للعربية إلا على سطور محدودة : تقع في ص ١٢٠ حينما يقرر المؤلف في تاريخه للغة من عهد سام بن نوح إلى عصر عكاظ والناطقة الذبياني فيها لا يبلغ سطور صفحة واحدة . ثم في ص ١٥٥ حين يوضح المؤلف وجوه ارتقاء اللغة مع المدنية ، وتجاوبها مع التطورات الحضارية ، بومائل محددة كافتراض الألفاظ وتعريب المصطلحات ونحو ذلك .

وفينا عدا ذلك فإن كتاب أستاذنا الجليل الشيخ الخضر لا يقدم علاجاً منهجياً للتأريخ للمربية ، ولا مادة كافية يستطيع أن يستعين بها من يهدف إلى القيام بمثل هذا العلاج .

الدراسة الثالثة : أخرجها المؤلف الجواد المرحوم جرجى زيدان بعنوان « اللغة كائن حي » الذي أصدرته دار الهلال بتقديم طويل للمرحوم الدكتور مراد كامل ، والواضح لمن يفحص هذه الدراسة — التي يتضح من عنوانها أنها تأريخ لنشأة اللغة ونموها وارتقائها ، كما يؤرخ للكانن الحى — أن تصور مؤلفاتها للتأريخ للغة ، أوسع مما شملته مادة هذه الدراسة .

فالتأريخ للغة في نظر المرحوم جرجى زيدان — كما يقرر في مقدمته لهذا الكتاب — لا تقتصر على تناول النظر في ألفاظ اللغة وتراكيبها بعد تمام تكوينها ، بحيث يبحث

أبتداء من العصر الجاهلي ، وبيان ما اقترضته العربية من غيرها من اللغات ، سواء من داخل الأسرة السامية أو خارجها ، وهكذا فإننا لا نستطيع اعتبار هذه الدراسة لجرجى زيدان تأريخاً للغة العربية ، بقدر ما هي محاولة لتتبع ظاهرة التعريب في مختلف العصور . وحتى في هذا المجال الضيق فإننا نأخذ على هذه الدراسة أمرين :

الاول : عدم إيضاح الوسيلة العلمية المقنعة في التمييز بين ما يكون مشتركاً من الالفاظ بين اللغة العربية وأخواتها السامية منذ الاصل والبداءة من ناحية ، وما تكون العربية قد اقترضته أو عربته من هذه اللغات من الناحية الاخرى . فجرد التقارب اللفظي والمعنوي لا يكفي دليلاً على الاقتراض .

الثاني : عدم إيضاح الوسيلة التاريخية المقنعة التي مكنت المؤلف من تحديد عصر دخول هذا اللفظ أو ذاك إلى العربية من لغة أخرى . فكيف استطاع المؤلف مثلاً أن يحدد أن لفظاً بالذات قد عرب منذ الجاهلية ، أو في عصر لاحق من العصور الإسلامية حتى العصر الحديث ؟

أبتداء من العصر الجاهلي ، وبيان ما اقترضته العربية من غيرها من اللغات ، سواء من داخل الأسرة السامية أو خارجها ، وهكذا فإننا لا نستطيع اعتبار هذه الدراسة لجرجى زيدان تأريخاً للغة العربية ، بقدر ما هي محاولة لتتبع ظاهرة التعريب في مختلف العصور . وحتى في هذا المجال الضيق فإننا نأخذ على هذه الدراسة أمرين :

الاول : عدم إيضاح الوسيلة العلمية المقنعة في التمييز بين ما يكون مشتركاً من الالفاظ بين اللغة العربية وأخواتها السامية منذ الاصل والبداءة من ناحية ، وما تكون العربية قد اقترضته أو عربته من هذه اللغات من الناحية الاخرى . فجرد التقارب اللفظي والمعنوي لا يكفي دليلاً على الاقتراض .

الثاني : عدم إيضاح الوسيلة التاريخية المقنعة التي مكنت المؤلف من تحديد عصر دخول هذا اللفظ أو ذاك إلى العربية من لغة أخرى . فكيف استطاع المؤلف مثلاً أن يحدد أن لفظاً بالذات قد عرب منذ الجاهلية ، أو في عصر لاحق من العصور الإسلامية حتى العصر الحديث ؟

والكنا مع ذلك نرى هذه الدراسة للرحم جرجى زيدان . فمن محاولة جادة لتغطية جانب محدد من التأريخ للعربية ، هو التأريخ لمفرداتها ، والمؤلف بسعة أفقه يعرف أن مجال التأريخ للعربية أوسع من هذا المجال . بل إنه ليبدولنا أن تصورات المؤلف لمجال تأريخ العربية أوسع من تصور الدكتور مراد كامل الذي قدم الكتاب ، والذي ركز على الحاجة إلى المعجم التأريخي للغة ، حتى لسكانه حسب

الدراسة الرابعة . أصدرها الدكتور محمود حجازي في الكتاب رقم ١٩٧ من سلسلة المكتبة الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة المصرية بعنوان « اللغة العربية عبر القرون » ، — يناير ١٩٦٨ — وقد يخال من يهتم بدراسة تأريخ اللغة العربية حين يطالع عنوان هذا الكتاب أنه قد وقع على طلبته من العرض المنهجي التأريخي لاطوار العربية منذ مهدها الاول إلى عصورها الأدبية المشرقة ، ثم إلى حاضرها المسكين ، بل ومستقبلها الزاهر (إن شاء الله) . ولكن مرة أخرى يحس المعنى بالدراسة المنهجية لتأريخ العربية

أن يبذل جهداً أكبر في الالتزام بالمنهجية ،
والنتائج المنطقي ، والربط بين النتائج ومقدماتها .
وليس العكس .

وعلى الرغم من بعد هذا الكتيب القيم عن
تحقيق ما نبتغيه من تقديم دراسة منهجية منسقة ،
مشملة الحلقات لتاريخ اللغة العربية فإنه يأتي
أقرب النماذج التي عرضناها إلى تحقيق ما نريد ،
وإن كان لا ينهض لسداد الحاجة القائمة .

ولعلنا بعد هذا الغرض الهادي لتلك
الدراسات الحديثة في مجال التاريخ العربية تلبس
صدق ما قررناه من أن مجال التاريخ للغة العربية
على خلاف مجال التاريخ للنحو العربي ، قد أهمل
إهمالاً يكاد يكون تاماً في القديم ، كما اضطربت
الدراسات المحدودة التي اتجهت إليه في الحديث ،
فقصرت عن بلوغ الغاية وتحقيق المراد .

ثالثاً : إن مجال التاريخ للغة يختلف اختلافاً
كبيراً عن مجال التاريخ لنحوها أو للبحث اللغوي
فيها ، فمجال التاريخ للغة أوسع زماناً ومكاناً ،
وأكثر بالبشر احتشاداً من مجال التاريخ لنحوها
بكثير .

أما في مجال الزمان فحسبنا أن ندرك أن
التاريخ يحاول أن يرجع إلى الوراء حتى يصل إلى
أقدم ناطق يمكن الرجوع إليه يكون قد استعمل
هذه اللغة في صورتها الحالية أو في أي صورة
يمكن أن تكون الصورة الحالية تطورا عنها .
وامتدادا لها . بينما لا يرجع تاريخ البحث اللغوي

بشيء من خيبة الأمل حين ينتهي من مطالعة
صفحات هذا الكتيب . ولا بد أن نشي على
صراحة المؤلف وصدقه حين يقول في مقدمته :
« هذه محاولة متواضعة لرسم القسيمات البارزة
في تاريخ اللغة العربية في رحلتها الحافلة عبر القرون .
وهذه الصفحات عرض موجز لهذا الموضوع
الزاخر بالصعاب المنهجية والقضايا العلمية . وفيها
ثغرات وجوانب قصور تعكس قلة الأبحاث
الجزئية في الموضوعات قيد البحث . ولكنني
أمل أن يجد القارئ الكريم فيها ما ينشده
من الفكرة الشاملة ، والعرض العلمي المبسط » .

والحق أن القارئ المنصف ، المعنى بتاريخ
العربية قد يجد في الفصول العشرة التي يضمها
هذا الكتيب حلقات من تاريخ العربية منشورة
نثراً غير متصل أو مترابط . إن الكتاب لا يقدم
عرضاً منهجياً متصلاً لتاريخ العربية حدثت فيه
بعض الثغرات ، وإنما هو حلقات منفصلة قد
تضيق إلى حد ما من الاتساع الخفيف للثغرات
القائمة في تاريخ العربية ، ولكن تبقى تلك الثغرات
واسعة زهية بين كل حلقة وأخرى . هذا فضلاً
عن أن الكتاب لم يبدأ بمقدمة توضح خطته ،
ولم ينته بخاتمة تلخص نتائجه ، ولم يعط أي قوائم
بمصادر يكون المؤلف قد استعان بها . ليستطيع
الدارسون من بعده استشارتها . وهذه كلها
نواحي قصور لا يبررها صدور الكتاب
في سلسلة للثقافة الشعبية ، لأن المفروض أن
المنهجية في العرض تجعل المتابعة والفهم أكثر
يسراً وأقل عناء . فكلما قلت خبرة القارئ
وضاقت حدود معرفته وجب على المؤلف

قوية التماثل بالعربية التي عرفناها في عصورها التاريخية المتأخرة . بل يكفي أن يكون بينهما من الشبه والتماثل ما يتيح للدارس والباحث أن يتلمس خطوط التطور بين المرحلتين السابقة واللاحقة ، ووجوه العلاقات بين الوضعين الأقدم والأحدث . وإذا ما قبلنا حقيقة أن التأريخ للعربية يبدأ — أو ينبغي أن يبدأ — من تلك البداية السحيقة ، وأدركنا أن التأريخ للبحث اللغوي عند العرب لا يستطيع أن يبدأ إلا من العصر اللاحق لظهور الإسلام عندما دعت الظروف التاريخية المعروفة إلى ظهور رجال يهتمون بدراسة اللغة العربية والتعميد لها ، كعلي بن أبي طالب (رضى الله عنه) وأبو الأسود الدؤلي — على احتمال — أو كالحليل وسيبويه ومعاصريهم وتلاميذهم من الباحثين والدارسين بقدر كبير من اليقين — فإننا نستطيع أن ندرك الفرق الشاسع في المجال الزمني بين التأريخ للغة من ناحية ، والتأريخ لنحوها والبحث اللغوي فيها من الناحية الأخرى .

والفرق في مجال المكان بين التأريخ للغة والتأريخ لنحوها لا يقل ضخامة أو اتساعاً عن الفرق في مجال الزمان . فالمؤرخ للغة لا بد أن يمتحن معها ويتبع خطاها إلى أي مكان تكون قد بلغت ، وأي رقعة حدث أن وصلت ، واستعملت فيها . فالمؤرخ المنهجى للغة لا يتنعم بالسعي وراءها في العواصم السياسية أو الثقافية ، أو في مراكز التدريس والبحث ، أو في مقار

إلا إلى أقدم ، ونحوي ، أو «باحث لغوي» يكون قد جعل هذه اللغة مادة لدراسته وتحليله ، فحاول أن يصف عناصرها ، ويحلل تركيبها ، ويجمع مادتها ، ويستقرئها ويستنبط قواعدها التي تخضع لها . والفرق الزمني بين أقدم ناطق باللغة ، وأول باحث لغوي لها ، قد يكون مئات أو ألوفاً من السنين . فتحن نعلم — أو ينبغي أن نعلم — أن اللغة قد تهمضي عليها مراحل طويلة من الزمان ، وتجتاز العديد المتتابع من القرون ، يستعملها أهلها دون أن يفكر أحد في تحليلها أو التعميد لها . بل إن هناك في العالم في وقتنا الحاضر المئات من اللغات التي يستعملها أصحابها منذ كان آبائهم وأجدادهم وجود على هذه الأرض وقد يرتد ذلك إلى عصور ضاربة في أغوار ما قبل التاريخ . ولم تقم حتى الآن لهذه اللغات دراسة لغوية ، ولم يوضع لها بعد أي نحو . واهل مثل ذلك الوانغ أن يوضح الفرق في المجال الزمني بين «التأريخ للغة» من ناحية ، و«التأريخ لنحوها» من الناحية الأخرى .

إن تأريخها للغة العربية يجب أن يبدأ من حيث نستطيع أن نضع يدينا على أول مجموعة بشرية تكون قد أقامت في جزيرة العرب ، ونطقت بلغة عربية ، حتى ولو لم تكن هذه الجماعة قد عرفت بعد باسم العرب ، وحتى ولو لم تكن اللغة التي كانوا ينطقونها قد أطلق عليها حينذاك اسم «العربية» . ولا يتحتم أن تكون اللغة التي نطق بها أولئك القوم شديدة الشبه ، أو

الجزء المادى والأدبى لجهوده إلى هجرة وطنه الأول ، وترك مسقط رأسه الأصيل ، والاستقرار في حاضرة العلم والمدارس ومركز الإشعاع والثقيف . ونظرة سريعة إلى واحد من أحدث كتب التاريخ للنحو العربى ككتاب الدكتور شوقي ضيف عن « المدارس النحوية » (دار المعارف بمصر ١٩٧٢) تؤكد صدق ما نقول . فهذا الكتاب الضافى يؤرخ للمدارس النحوية في المراكز التالية : البصرة - الكوفة - بغداد - الأندلس (وبخاصة في قرطبة) - مصر (وبخاصة في القاهرة) . وهكذا فإن المجال المنكفى للمؤرخ للنحو العربى قد لا يتجاوز عدداً محدوداً من الحواضر ، بينما يتحتم على مؤرخ اللغة أن يتبعها في كل بقعة استعملت فيها مهما كانت منعزلة أو موحشة ، وفي كل رقعة وصلت إليها مهما كانت بعيدة أو نائية .

يبقى علينا أن نسجل الفرق الشاسع في العنصر البشرى الذى يتحتم على كل من مؤرخ اللغة ومؤرخ النحو ملاحظة نشاطه . وتسجيل إنتاجه . فالتأريخ للغة يعنى بنشاط كل ناطق طبيعى لها منذ كانت ، إلى الآن ، سواء تمثل هذا النشاط في حوار منطوق ، أو أثر مكتوب . إن على مؤرخ اللغة بدسطة أن يحاول التعرف على كيفية جريان اللغة على لسان كل ناطق طبيعى بها أو قلها ، مهما كانت حرفته ، ودرجة ثقافته . وببسته وعصره ، وعمره الزمنى ، ومتواءم العقل والاجتماعى ، ودينه ولونه . فشكل واحد من ملايين الملايين الذين استعملوا اللغة على أنها

الحكم والسلطان ، أو فى دواوين الإدارة ، أو أسواق التجارة ، أو أما كن التجمع الزراعى أو الصناعى ، فى هذا أو ذاك ، لأن المؤرخ للغة يعلم أن كل ناطق فطرى باللغة حجة فيها ، وأن عليه أن يقتفى آثار الناطقين بها جميعاً حيث يوجدون ، وأينما يذهبون ، حتى فى القيا فى والمصحراء والنجوم والكفور ، والقمرى والداكر ، بل وفى البر والبحر ، وفى القارة والجزيرة . بحيث لا يهمل مكاناً استعملت فيه اللغة دون أن يغفل رقعة دارت فيها دون أن يأخذها فى الاعتبار .

أما المؤرخ للبحث اللغوى فيجب نشاطه اللغوى على مراكز التجمع الثقافى والإشعاع الفكرى ، والمؤسسات التربوية . فهو يتجاهل الملايين من الناطقين باللغة فى الألوف من البقاع والأماكن التى لم يظهر فيها عالم نحوى ، أو يبرز بين جنباتها باحث لغوى ، ليقصر نفسه على الآحاد من العلماء والباحثين الذين عنوا بمدرسة نحو اللغة ، أو قاموا بالبحث اللغوى فيها . وهؤلاء عادة يستقرون فى العواصم الثقافية ، ويتركزون فى المؤسسات التربوية والتعليمية . ولذلك لا نعجب إذا وجدنا المؤرخين للنحو العربى يتبعون أنشطة البحث اللغوى فى مراكز معدودة ، وعواصم محدودة . طالما أن الذى يحدث هو أن العالم اللغوى (مهما انتمى فى الأصل إلى قرية نائية أو بادية صحيقة) تحمله الرغبة فى نشر علمه ، ولقاء العدد الأكبر من تلاميذه ، وتحقيق ذاته ، وفى الحصول على

مردده إلى تفكيره بالعربية ، وقدرأ آخر إلى العادات النطقية للعربية التي ترسخت عنده وتمكنت منه . ودراسة هذه الانحرافات دراسة علمية تقود إلى إدراك أدق النواحي للخلاف بين اللغتين ، مما يعتبر جزءاً من تاريخهما معاً .

وهكذا يتسع ميدان العنصر البشري أمام المؤرخ للغة اتساعاً شديداً بحيث لا يستطيع المؤرخ أن يكتفى بمراقبة استعمال أبناء اللغة الطبيعيين لها ؛ بل تشمل ملاحظاته استعمال أبنائها الطبيعيين لها أيضاً ، كما تشمل استعمال أبنائها الطبيعيين لغيرها من اللغات .

فإذا نحن قارنا هذا بنشاط العنصر البشري الذي تلزم ملاحظته في مجال التأريخ للغة ضمن العدد إلى كسور ، وتضامات النسبة إلى جزء من الآلاف أو من الملايين . فالعنصر البشري في مجال مؤرخ البحث اللغوي مقصور على العلماء والباحثين الذين عنوا بدراسة اللانة ، والتعقيد لها ، حتى ولو لم يجيدوا نطقها ، أو يكونوا من أبنائها . ومثل هؤلاء في تاريخ البحث اللغوي لاى لغة قد يتجاوزن العشرات أو المئات ، أو يلبغون الآلاف ، ولكن من المستبعد جداً أن يعدوا بالملايين أو البلايين التي يمكن أن يلبغها العنصر البشري الناطق باللغة ، والذي يتتم أن يؤخذ في الاعتبار عند التأريخ للغة على مر العصور .

كانت هذه هي الأسباب الثلاثة الرئيسية التي تدعونا إلى التمييز الواضح بين مجال التأريخ للغة

لغتهم الأم جدير - إذا ما توصلنا إلى كيفية استعماله للغة - أن يأخذ حظه من اهتمام من يؤرخ لتلك اللغة . إذ أن طريقة استعمال كل واحد من هؤلاء الملايين أو البلايين هي التي تحدد السمات العامة للغة التي وُرخ لها ، والتي تميزها عن غيرها ؛ كما أنها هي تميز بين المختلف من لهجاتها ، وتبرز الصفات التي تحدد خطوط تطورها ، والأسباب التي تؤدي إلى تفاوت أنماطها ومستوياتها الأدبية .

بل إن المؤرخ للغة لا يكتفى بالاهتمام بالنشاط اللغوي المنطوق أو المكتوب لأبناء اللغة الطبيعيين ، فكثيراً ما يتجاوز اهتمامه ذلك إلى ملاحظة كيفية استعمال اللغة على لسان غير أبنائها من يتلقونها بالتعلم ، ويستعملونها كلغة ثانية أو ثالثة . وذلك لأن مثل هؤلاء قد يتركبون آثارهم الباقية على اللغة مما لا يستطيع أن يتجاهله من وُرخ لأحوال اللغة في عصورها المختلفة ، ومرآحها المتتابة .

وأبعد من هذا ، فإن على المؤرخ أن يلاحظ استعمال أبنائها لغيرها من اللغات ، فالكثير من خصائصها قد يتكشف في تلك الحالات بصورة أجلى ، ويبرز على نسق أوضح ، وذلك عند مقارنة العسر أو اليسر الذي يلقاه أبناء اللغة التي وُرخ لها عند استعمال لغة أخرى سواها ، أو محاولة لى لسانهم بنظام لغوي مخالف لها . فالواحد ما عندما يستعمل في التفكير أدواته اللغوية الطبيعية كاللغة العربية ، ثم يحاول التعبير بلغة مكتسبة كاللغة الإنجليزية ، فإن قدرأ من الانحرافات في استعماله للغة الإنجليزية يكون

الوقت ، تهبوا لنزول الوحي بها ، وصوغ القرآن الكريم في كلماتها وأسايلها .

ثم لما صارت هذه اللغة التي اصطفيتها العناية الإلهية لينزل بها القرآن لغة الشعب العربي ، وبدأت تتعرض بعد الإسلام لما تتعرض له سائر اللغات البشرية من التغير والتطور ، وبدأ الإحساس بالخوف أن يبعد بها ذلك التطور عن الوضع الذي كانت عليه حينما أوحى بها القرآن الكريم - رفض عشاق العربية ومحبوها ، وعلماؤها ودارسوها الاعتراف بأى من هذا التحريف أو التعديل ، أو قبول شيء من ذلك التغير أو التبديل . وإنما أصرروا على تصعيد اللغة العربية المجيدة على الوضع الذي نزل القرآن الكريم بها عليه ، والحال التي أهدتها السماء للعرب فيها . وما دامت العربية التي تحظى بالإجلال من الناس والاحترام هي تلك التي منحها الله للعرب قبيل الإسلام بما لا يزيد كثيرا عن قرن من الزمان ، والتي لم يمكن صونها على حالها بعد ظهور الإسلام بما لا يزيد كثيرا عن قرن من الزمان - فإنها لا تحتاج أى تاريخ يغطى حياتها ، ويتتبع أطوارها في مثل هذا المدى القصير ، الذي لا يمكن أن يتسع لوقوع تطورات هائلة ، أو حدوث تغير كبير .

السبب الثاني : هو أن اتجاه الدراسات الأولى لأمة كان تعليميا في معظم الأحوال . والفائدة التعليمية أو التطبيقية التي ترتب من التاريخ للغة تبدو ضئيلة أو منعدمة ؛ إذ أن معرفة تاريخ اللغة لا يمكن أن يقرم للناس بها اساءة ،

من ناحية ، وبحال التاريخ للبحث اللغوي فيها من الناحية الأخرى .

٤ - لماذا نحتاج الى التاريخ للعربية ؟

لعله من الحق علينا أن نقسام عن الدوافع إلى التاريخ للعربية ، ولعل من أقوى مبررات توجيه مثل هذا التساؤل ما يبدو من أن علماء العربية الأقدمين لم يوجوه . أما لماذا لم يوجوه علماءنا الأقدمون مثل هذا التساؤل ولم يفكروا - كما نفعل نحن الآن - في وجوب تسجيل تاريخ العربية ، فإننا نرى لذلك أسبابا ثلاثة رئيسية :

السبب الأول : هو الربط بين اللغة العربية المجيدة والقرآن الكريم ، ثم التكريم والتقدس اللذان نالتهما العربية من جراء هذا الربط . وكما تعمق الاعتقاد بأن القرآن الكريم هو كلام الله ، اشتد الإيمان بأن لغته (وهي اللغة العربية) إنما هي لغة السماء ، اختص الله بها العرب ، ومنحها لهم ، وميزهم بها عن سائر شعوب الأرض . في جميع حقب التاريخ .

وما دامت العربية هي لغة القرآن ، ولغة السماء ، فكيف يتم التاريخ لها أو تتبع أطوارها ، أو بيان انشقاقها عن غيرها من أخواتها في الأسرة السامية ، أو اكتشاف التطور الطبيعي في ظواهرها ، والنمو التدريجي في مادتها ومفرداتها ؟ لقد أدى ارتباط اللغة العربية المجيدة بالقرآن الكريم إلى تصور أن اللغة العربية خلقت منذ البداية كاملة ، ثم منحها الله للعرب على هذا الوضع من الكمال قبيل الإسلام بفترة وجيزة من

فتصبح لغات ، ثم تتعرض هذه اللغات مرة أخرى للتفتت إلى لهجات ... وهكذا دواليك - أمر آخر لا نعتقد أن علماءنا الأقدمين قد أدركوه أو استوعبوه . وبالإضافة إلى هذا وذلك فإن مشاكل الصراع اللغوي بين العديد من اللغات ، وآثاره من الأطراف المشتركة فيه سواء خرجت منه ظافرة منصوره أو مهالكة مقهورة تمثل أمراً ثالثاً نظن أن الأقدمين لم يتصوروا أبعاده أو يقدرُوا آماده .

وكل هذه الأمور ونحوها هي التي يستفز حسن إدراكها مهمة المؤرخ للغة ويجذب انتباهه وبدون الوعي الكامل لمثل هذه الموضوعات والمسائل لا يمكن أن يكتب للغة تاريخ موضوعي منهجي مقنع .

* * *

كانت هذه في نظرنا هي الأسباب الثلاثة الرئيسية ، التي صرفت المتقدمين من علماء العربية والمتأخرين منهم عن التأريخ للعربية ، حتى مشارف نهضة الثقافة المعاصرة ، وينبغي أن يؤدي زوال تلك الأسباب إلى إزالة العقبات التي عوققت ظهور التأريخ المنهجي للغة العربية حتى الآن . وليس هناك من شك في زوال الأسباب الثلاثة السابقة الذكر من آفاقنا الثقافية - هذه الأيام

فبالنسبة للسبب الأول : فإننا على الرغم من إيماننا بالعنصر الإلهي في القرآن الكريم ، تؤكد الطبيعة البشرية في اللغة العربية . إن اللغة

أو ليسر عليه حين استعمالها بياناً . وهذا على خلاف دراسة نحو اللغة أو صرفها ، أو بلاغتها أو عروضها ، أو معجمها أو أدبها . ولقد يقال إن التأريخ لنحو اللغة حظي بالعناية والاهتمام منذ القديم على الرغم من ضآلة الغاية التعليمية فيه ولكننا نقول في الرد على ذلك بأن النحو وجد أولاً ليقم اللسان ، وليسر التمكن من اللغة ، فلما تراكت مادته ، وتكاثر علماءؤه ، وتعددت كتبه وجدت الأجيال اللاحقة من ذلك تراثاً ضخماً تحوطه هالة كبيرة من التقدير والإجلال . فاتخذت من ذلك التراث مادة لكتابة تاريخ النحو وطبقات النحاة . أما التأريخ للغة نفسها فقد انصرف عنه الأولون ؛ لأن اللغة لم يكن لها في نظرهم بعد أي تاريخ ؛ ولأن تسجيل أي تاريخ لها ما كان يمكن أن يؤدي إلى غاية عملية أو تحقق فائدة تعليمية . ثم انصرف عنه المتأخرون حتى عصرنا الحاضر ؛ لأن الأولين لم يتركوا لهم فيه تراثاً ، أو يمهّدوا لهم إليه طريقاً

السبب الثالث : هو أن التصورات المتاحة لنا عن الظاهرة اللغوية ، والتي تحفزنا إلى التأريخ للغة ، لم تكن متاحة للأقدمين ، أو لم تنجح إليها في معظم الأحوال أفكارهم . أو تدفعهم بها عقولهم . فتصورنا مثلاً عن انتماء اللغات الإنسانية إلى سلالات وأسر وفصائل وبحرعات أمر لم يتمثله الأقدمون على نحو ما تتمثله نحن الآن ، وكذلك فإن حتمية التطور اللغوي وضرورة تفتت اللغات إلى لهجات . ثم تباعدت اللهجات بالتدريج حتى يتعذر تبادل التفاهم بها

— والذي يزيد من فهمنا لطبيعة اللغة — يمكن أن تكون له فوائد عملية وتعليمية .

وبالنسبة للسبب الثالث : فإننا نستمتع الآن بما لم يتوفر للسابقين من دارسى اللغة العربية من الاطلاع على حصيلة الدراسات العصرية للظاهرة اللغوية . وهذه التصورات العلمية الجديدة في المجال اللغوي تؤكد أن لكل لغة تاريخاً ، وأنه ينبغي لفهم طبيعة أى لغة معرفة تاريخها ما أمكن . ولهذا فإننا ندعو إلى العناية بالتأريخ لغتنا العربية .

* * *

هل ترانا ما نزال بحاجة إلى الإجابة عن السؤال عن الدوافع إلى التأريخ للعربية ؟ إن كان الأمر كذلك فإننا نستطيع أن نقرر أن أهم الدوافع التي تدعو إلى العناية بالتأريخ للعربية يمكن أن تلخص فيما يأتي :

١ — تعميق فهمنا لطبيعة لغتنا العريقة المجيدة ، علماً بكشف بإدراك تاريخها — عن طاقاتها الكامنة ، ومقدرتها على مواجهة التحديات والاستجابة لمقتضيات الحياة في مختلف البيئات والعصور .

٢ — التعرف على كل الظروف والأحوال التاريخية التي مرت بها لغتنا العريقة وتفاعلت معها حتى نرى كيف تأثر نظامنا اللغوي على مختلف مستوياته بشكل مجموعة من مجموعات تلك الظروف .

العربية تمثل في نظرنا لغة قد ميزتها العناية الإلهية حين اختارتها لتكون لغة القرآن الكريم ولسان خاتم الأنبياء ، والوسيلة التعبيرية للتشريع الإسلامى . ولكن ذلك كله لا يخرج اللغة العربية عن كونها لغة إنسانية ، كسائر اللغات الإنسانية الأخرى . ومن ثم فمن تخضع لما تخضع له تلك اللغات الأخرى من سنن النشوء والتطور وتعرض لما يتعرض له جميعاً من أحوال التبدل والتغير ، وينبى على هذا أن تاريخ العربية لا يمكن أن ينحصر في مدى لا يزيد عن قرن واحد قبل ظهور الإسلام ، وما لا يزيد كثيراً عن قرن آخر من ظهور الإسلام وإننا نمتد هذا التاريخ فيرجع إلى الوراء ، حتى يباين — إن استطعنا — جدنا الأول آدم وجدتنا الأولى حواء ، ثم تتسابع حلقاته وتصل ، حتى تبلغ الآن ، ودايم بعد الآن من قابل الأزمان .

وبالنسبة للسبب الثانى : فإننا لم نعد نفتقر فيما ندرسه عن لغتنا العربية على ما تكون له فائدة تطبيقية ، أو غاية تعليمية . وإنما نسعى جاهدين أن نفهم كل شئ عن العربية ، سواء أفاد مباشرة في تيسير تعليمها أم لم يفد ، لأننا نؤمن بوجود الفهم العلى السليم لجميع جوانب الظاهرة اللغوية . والتأريخ المنهجى للغة من خير ما يعين على بلوغ ذلك الفهم . ولقد أثبتت التجربة أنه كلما زاد فهم الإنسان لظاهرة ما ، زادت قدرته على شرحها وتعليمها ، واللغة لا تمثل استثناء من هذه القاعدة . ومعنى ذلك أن حسن فهمنا للظاهرة اللغوية يعنى زيادة قدرتنا على تعليم اللغة . وهكذا فإن التأريخ المنهجى للغة العربية

كل ذلك يجعلها لغة جذيرة بالتأريخ لها، مستأهلة لتسجيل جميع مراحلها وأطوارها، متميزة على أى لغة أخرى في القديم أو الحديث سواها .

فإذا كانت معظم اللغات الحية المعاصرة قد حظيت بوفرة ماحرر من التأريخ لها فلماذا نسمح أن تبقى لغتنا العربية المجيدة دون تأريخ لها كامل شامل ؟

* * *

٥ - كيف نقوم بالتأريخ للعربية؟

ينبغي قبل أن نبدأ في الإجابة على هذا السؤال أن نبادر إلى نفي ما عساه أن يكون قد استقر في الأذهان، مما قيل في هذه الدراسة من شرح وبيان، أن على مؤرخ اللغة أن يتبع كل فرد استعملها نطقاً أو كتابة، أو حتى تفكيراً - وإن كان قد نطق بغيرها - ليرى كيفية استعماله لها، ثم إن عليه أن يغوص وراء كل كلمة من كلمات اللغة، وكل صوت من أصواتها، وكل صيغة من صيغها، وكل تركيب من تركيبها، وكل أسلوب أدبي من أساليبها، ليرى كيف تم تفاعل هذا أو ذلك مع مر العصور وكر الدهور؟ وكيف تجاوزت هذه الكلمة، أو تلك الظاهرة، لأفاعيل الأيام، وتأثيرات السنين - فإن مثل هذا - وإن كان يعطى المثالية السكاملة، والأمانة التامة في عملية الاستقراء والبحث والتأريخ - يخشى أن يغرق المؤلف لتأريخ العربية في خضم عميق من بلايين البلايين من التفاصيل، بحيث يتوه فيها ويضيع فلا يصل إلى نتيجة ولا يباغ مقصداً .

٢ - إبراز جوانب التميز التي توفرت للغتنا وهيات لها أن تنتصر في صراعتها مع غيرها من اللغات، وأن تمتد بها الحياة وتتصل بينما عانى غيرها من الفناء والمهات .

٤ - التمكن من الإسهام الناجح في حل ما يواجه لغتنا المجيدة في الحاضر والمستقبل من مشاكل وتحديات، في ضوء ما تقدمه لنا معلوماتنا عن تاريخها من كيفية مواجهتها في الماضي لطروف عائلية، وتحديات مشاكلة .

٥ - حسن تصورنا للإطارات الداخلية في نظامنا اللغوي على مختلف مستوياته ثم الإطارات الخارجية التي تتفاعل مع هذا النظام اللغوي وتؤثر فيه، والتعرف على مدى مرونة الإطارات الداخلية للنظام اللغوي عندنا في الاستجابة لما تقتضيه الإطارات الخارجية من تعديلات، وسنعود إلى شرح ذلك في القسم الخامس من هذه الدراسة .

ولستطيع أن نضيف إلى كل ما ذكر من دوافع التأريخ المنهجى للعربية أن لغتنا المجيدة تكاد تحتل وضعاً فريداً بين اللغات الإنسانية، فعمرها الأدبي يبلغ ألفاً ونصف الألف من السنين، وعمرها الاستعمالي - كما تدل على ذلك الدلائل العديدة - يسبق ذلك بما لا يقل عن ثلاثة آلاف أخرى من الأعوام، فضلاً عن أن اتساع أوطان لغتنا العربية، وتكاثر مستعمليها من عرب ومستعربين، ومن تمثل بالنسبة لهم اللغة الأولى، أو اللغة الثانية، وتوافر ذخائر المعرفة الإنسانية التي حررت بها أو ترجمت إليها

للتحقيق والتنفيذ .

إن كل ما ينبغي على مؤرخ اللغة القيام به بعد ذلك هو أن يحاول وضع اللغة في كل مرحلة من مراحلها المتتابعة في إطارين رئيسيين متميزين نستطيع أن نسمي أحدهما الإطار الخارجى للغة، وأن نسمي الثانى الإطار الداخلى لها . ومتى تم له أن يضع اللغة في مرحلة بعينها داخل كل من هذين الإطارين فإن عليه أن يحاول توضيح آثار الإطار الخارجى للغة على إطارها الداخلى في تلك المرحلة نفسها، ثم أن يوضح العلاقة بين أوضاع الإطار الداخلى للغة في تلك المرحلة، وأوضاعه في المرحلة التاريخية السابقة لها، والتالية بعدها .

وحين ينجح مؤرخ اللغة في وضع اللغة بصيغة عامة، وفي مراحلها المتتابعة، داخل هذين الإطارين، في كل مرحلة على حدة من ناحية، ثم بين الإطارات الداخلية في المراحل المتتابعة للغة من الناحية الأخرى، يكون قد نجح في تحرير تاريخ متكامل متصل الحلقات للغة .

ونحن نقصد، بالإطار الخارجى للغة الظروف التاريخية العامة التى عاشت فيها اللغة في هذه المرحلة أو تلك من مراحلها، ويشمل ذلك ضمن ما يشمل تحديد المجالين الزماني والمكاني للغة في تلك المرحلة، ووصف العناصر البشرية التى استعملت اللغة فيها، وبيان تعداد هذه العناصر البشرية، وطبيعتها، وأنماط حياتها، وعاداتها الاجتماعية، وظروفها الحضارية، والعقائدية، والثقافية والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية... الخ .

إننا نستطيع أن نقول باختصار بأن الإطار

إننا نعرف جميعا أن كمال الاستعارة بهذه الدرجة من الالتزام والعنف في جميع الأماكن والبقاع، وفي كل المراحل والعصور تبلغ حد الاستحالة والتعذر . وينبغي أن نميز في التخطيط لاي بحث علمي بين المبادئ المتعددة والحالة التحقيق وبين الأهداف الممكنة تحقيقها في الواقع والغايات المحتمل بلوغها بالفعل، وذلك فإن على المؤرخ للغة أن يحاول تدبج السكيات دون أن يغرق نفسه في خضم التفاصيل والجزئيات كما أن عليه أن يتبع التطورات العامة والتغيرات الواضحة، دون أن يجهد نفسه في فحص النماذج المتماثلة المتكررة . ثم عليه ألا يفرط في السعى وراء الاستقراء الكامل، وإنما يكتفى في الاستقراء باختيار « عينات » ممثلة للوضع العام

Selection of Representative Samples.

فضلا عما سبق أن قررناه من أن المؤرخ للغة لابد أن يعتمد على الجهود العديدة لغيره فيستعين بالدراسات عن أدب هذه اللغة وتاريخه، ولهجات هذه اللغة وتاريخها، وتراث هذه اللغة وتاريخه، والناسطين بهذه اللغة وتاريخهم، والعقائد والديانات التى اتخذت هذه اللغة وسيلة لها، وأداة للتعبير عنها، والعقائد التى اتخذت هذه اللغة كذلك وسيلة للتعبير عنها، والحضارات واللغات التى احتسكت هذه اللغة بها أو تفاعلت معها - فكل ذلك ونحوه من الدراسات الجزئية الأساسية في التأريخ للغة، ينبغي أن يضعها المؤرخ للغة أمامه دائما لىكى يستفيد منها ويستعين بها، فإذا ما توفر لمؤرخ اللغة ذلك كله فإن كتابة تاريخ اللغة - رغم مشقتها الشديدة - تصبح ممكنة، قابلة

الإطار الخارجى فى الوضع الأسبق ، يقوم
ببحث آثار تغير الإطار الخارجى فى المرحلة
الجديدة على ملامح الإطار الداخلى للغة وقسماته
مسجلا بذلك تطور اللغة على خلاف ما تروى بها
الصوتية والصرفية والتركيبية والدالية والأدبية
فى المرحلة الجديدة عما كانت عليه فى الإطار
الأقدم ، والمرحلة الأسبق .

وهكذا يمضى المؤرخ للغة فى استعراضه .
تعدد المراحل التاريخية للغة فى نظره باختلاف
الإطارات الخارجية التى عاشت فيها اللغة
وتعددتها . ويتبع آثار هذا الاختلاف على
الإطار الداخلى للغة تتجلى مظاهر التطور فى
الظواهر اللغوية المختلفة ، ويتم التصور الكامل
للتاريخ اللغوى .

وطالما بقى الإطار الخارجى للغة ثابتا ،
تظل المرحلة التاريخية الواحدة للغة ممتدة ، لأن
التغير فى النظام الداخلى للغة فى هذه الحالة يكون
طفيفا أو منعدما .

* * *

على هذا النحو نستطيع تحرير التاريخ
المتكامل المتصل الحلقات المستوعب الجوانب
للغة العربية المجيدة ، منذ أول بداية لها نستطيع
أن نضع بدايتها عليها ، إلى وقتنا الحاضر وزماننا
المعاصر ، بل إلى آفاق المستقبل ، ورحاب الغد .
وبذلك يكتمل وعينا بلساننا العربى المبين ،
وصراعه المتصل من أجل البقاء والأزدهار
رغم كثر الدهور ومر السنين . وكما ندعو
الله مخلصين أن يوفقنا فى المستقبل القريب
لتحرير ذلك التاريخ

محمد سالم الجرج

الخارجى للغة فى مرحلة ما يتسع لوصف كل ما من
شأنه أن يؤثر فى اللغة من عوامل غير لغوية أو
خارجة عن اللغة .

وكذلك فإننا نقصد بالإطار الداخلى للغة
العناصر المختلفة للغة ذاتها ، والوحدات الأولية
التي تتألف اللغة منها على مختلف مستوياتها . وهكذا
فإن الإطار الداخلى للغة يشتمل على حصر أصوات
اللغة فى مرحلة معينة ، ثم صيغها ، وتراكيبها ،
والإحاطة العامة بالفاظها ومفرداتها ، والمسح
الشامل لأدبها ، وتراثها ، والبيان الوافى عن
لهجاتها ... الخ إن الإطار الداخلى للغة
يضم باختصار كل ما من شأنه أن يوضح طبيعة اللغة
وكنهها ، فى المرحلة التى نحاول التأريخ للغة فيها .
ومتى استقر لمؤرخ اللغة رسم الإطار لها فى

أقدم مراحلها التى ظهرت إلى الوجود فيها ، والتى
حفظ لنا التاريخ بصورة مباشرة أو غير مباشرة
ملاحظها وأوضاعها ومتى تمياً لمؤرخ اللغة الربط
بين ملامح اللغة فى هذا الإطار الداخلى ، وبين
العوامل والمؤثرات التى يضمها الإطار
الخارجى - فإنه يكون قد أرخ اللغة فى مرحلتها
الأولى تأريخاً مقنعاً مرضياً .

ثم يبقى على مؤرخ اللغة بعد ذلك أن يقوم
بتتبع المراحل التالية ، التى تختلف فيها الإطار
الخارجى اختلافا واضحا عن وضعه الأسبق ،
فيعتبر كل اختلاف بارز ، أو تغير واضح فى
هذا الإطار الخارجى مرحلة جديدة من مراحل
التأريخ للغة . وبعد أن يتخذ المؤرخ للغة من
تغير الإطار الخارجى أمارة مرحلة جديدة ،
وبعد أن يحدد الإطار الخارجى فى الوضع
الجديد ، ويوضح ملامح الاختلاف بينه وبين

الفاظ العلم الطبيعي

في صدر احضارة عربية

للكثر مهمل شوقي

قد تخرج بها عما قصد بها أصلا في الكتابات
الفلسفية العربية .

هذا وقد رأينا من المناسب - بعد عرض
موجز لمفهوم العرب للعلم الطبيعي - أن نفرّد
هذا البحث لدراسة الألفاظ الواردة في الأمور
والصفات والخواص العامة للأجسام، كذا لدراسة
الألفاظ الخاصة بالقوى التي تتعرض لها الأجسام
من حيث شدتها ومُدتها وعِدتها .

تمهيد

العلم الطبيعي عند العرب :

حدد علماء العرب وفلاسفتهم مفهومهم للعلم
الطبيعي في كتاباتهم ، فتعرض لهذا المفهوم
كثيرون : منهم إخوان الصفا في رسبائلهم ،
وأبو نصر الفارابي في كتابه « إحصاء العلوم » ،
والشيخ الرئيس ابن سينا في مؤلفاته ، والإمام
الغزالي في كتابه « معيار العلم » ، والفيلسوف
أبو البركات هبة الله بن ملسكا البغدادي في كتابه
« الاعتبار في الحكمة » ونقدم فيما يلي نماذج من
كتابات العرب عن العلم الطبيعي .

كتب الحكمة النظرية

أو كتب الفلسفة العربية

تضم

علوما كثيرة ، منها - على سبيل المثال -
العلم الطبيعي ، والحكمة الرياضية ، والفلسفة
الإلهية ، ومن ثم فإن الباحث في معارف العرب
وفصلهم في مجال الفلسفة الطبيعية لابد له أن
يرجع إلى كتب الفلسفة العربية ، وأن يعي
تماما ما ورد بها من تعاريف وتعابير حتى يتسنى
له تقويم أعمال العرب في مختلف جوانب الحكمة
تقوينا سليما منصفا .

ويهدف بحثنا هذا إلى تقديم دراسة موجزة
لأهم الألفاظ والتعابير التي كان فلاسفة العرب
وعلماءهم يستخدمونها في كتاباتهم في العلم الطبيعي
بوجه عام ، وفي مجال خواص الأجسام وصفاتها
بوجه خاص ، معتمدين في هذه الدراسة على
المصادر العربية الأصلية ما بين مخطوطة ومطبوعة،
مؤثرين ليراد النصوص العربية في كل مقام
وموضع، حرصا منا على بيان دلالة هذه الألفاظ
في أدق إطار ، دون تحميل الألفاظ معاني

يقول لإخوان الصفا (١) في رسالتهم الخامسة عشر (٢) .

هو في الحركة والتغير وتسمى حكمة طبيعية .
وحكمة تتعلق بما من شأنه أن يجرده الذهن
عن التغير وإن كان وجوده مخالفاً للتغير وتسمى
حكمه رياضية .

وحكمه تتعلق بما وجوده مستغن عن مخالطة
التغير ، فلا يخاطبها أصلاً وإن خالطها فبالعرض
لا أن ذاتها مفتقرة في تحقيق الوجود إليها وهي
الفلسفة الأولى ، والفلسفة الإلهية جزء منها وهي
معرفة الربوبية

ولعل الفارابي يوضح مفهوم العلم الطبيعي
أكثر فيقول في كتابه « إحصاء العلوم » (٧) :

والعلم الطبيعي يعرف الأجسام الطبيعية بأن
يضع ما كان منها ظاهراً للوجود وضعاً ، ويعرف من
كل جسم طبيعي مادته وصورته ، وفاعله
والغاية التي لأجلها وجد ذلك الجسم ، وكذلك
في أعراضها فإنه يعرف ما به قوامها والأشياء
الفاعلة لها والغايات التي لأجلها فعلت تلك
الأعراض ، فهذا العلم يعطى مبادئ الأجسام
الطبيعية ومبادئ أعراضها .

ويعرف الإمام محمد أبو حامد الغزالي (٨)
الطبيعيات في كتابه « معيار العلم » (٩) فيقول :
« وكل علم موضوع »

« والأمر الطبيعي هي الأجسام وما تعرض
لها من الأعراض اللازمة والمزايلة ، وقد عملنا
في هذه العلوم سبع رسائل ، أولها هذه الرسالة
التي ذكرنا فيها الهيولى والصورة والحركة والمكان
والزمان ، إذ كانت هذه الأشياء الخمسة محتوية
على كل جسم . »

ويعرف المعلم الثاني أبو نصر الفارابي (٣)
العلم الطبيعي في كتابه « إحصاء العلوم » (٤)
فيقول :

« فالعلم الطبيعي ينظر في الأجسام الطبيعية ،
وفي الأعراض التي قوامها في هذه الأجسام ،
ويعرف الأشياء التي عنها والتي بها والتي لها توجد
هذه الأجسام ، والأعراض التي قوامها فيها . »

والأجسام منها صناعية ، ومنها طبيعية
ويعرض الشيخ الرئيس ابن سينا (٥) في
رسالته « الطبيعيات من غيرن الحكمة » (٦)
لأقسام الحكمة النظرية فيقول :

« وأما الحكمة النظرية ، فأقسامها ثلاثة :
حكمه تتعلق بما في الحركة والتغير من حيث

(١) من علماء وفلاسفة القرن العاشر الميلادي .

(٢) هي نفسها الرسالة الأولى في الجسائيات الطبيعيات .

(٣) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، توفي عام ٩٥٠ م وقد ناهز الثمانين من عمره .

(٤) كتاب « إحصاء العلوم » للفارابي ، تحقيق الدكتور عثمان أمين ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ ، صفحة ١١١ .

(٥) عاش في الفترة : ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) .

(٦) « سبع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، صفحة ٣ .

(٧) الطبعة الثالثة بالقاهرة ، سنة ١٩٦٨ ، صفحة ١١٦ .

(٨) عاش في الفترة : ٤٥١ - ٥٠٥ هـ (١٠٥٩ - ١١١١ م) .

(٩) كتاب القياس - النظر الرابع في لواحق القياس - مطبعة دار المعارف بالقاهرة ، صفحة ٢٥١ .

وموضوع العلم الملقب بالطبيعي : جسم العالم من جهة ما يتحرك ويسكن .

ويقول أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي (١٠) في كتابه ، المعبر في الحكمة (١١) :

« فعلى هذا يسهل طريق التعلم الحكمي الذي يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون بعينه يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعي المنسوب إلى الطبيعة ، وهو المشتغل على العلم يسائر المحسوسات من الحركات والمتحركات والمحرركات وما مع الحركات وبالحرركات والمتحركات وفي المتحركات من الآثار المحسوسة . »

ويمضي ابن ملكا في الورقة الخامسة من نفس المخطوط قائلا :

« وقوم سمّوا بالطبيعة كل قوة جسمانية ، أعنى كل مبدأ فعل يصدر عن الأجسام بما وجوده فيها ، فتكون الأمور الطبيعية هي الأمور المنسوبة إلى هذه القوة ، إما على أنها موضوعات لها ولما يصدر عنها كالأجسام ، فيقال أجسام طبيعية ، وإما آثار وحركات وهيئات صادرة عنها كالألوان والأشكال .

والعلوم الطبيعية هي العلوم الناظرة في هذه الأمور الطبيعية ، فهي الناظرة في كل متحرك وساكن ، وما عنه ، وما به ، وما منه ، وما إليه ، وما فيه الحركة والسكون .

والطبيعيات هي الأشياء الواقعة تحت

الخواص من الأجسام وأحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتها وأفعالها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة ، فالعلم يتعرض لأظهارها فأظهرها أولا ، ويترقى منه إلى الاخفى فالأخفى »

هذا قليل من كثير من أقوال فلاسفة العرب وعلمائهم في العلم الطبيعي ، ومنها يتضح أن العلم الطبيعي - في رأيهم - هو العلم الذي يبحث في الظواهر الطبيعية المحسوسة للأجسام كمزادها وصورها وهيئاتها وأحوالها وسكونها وحركتها وتغيرها وفعلها وانفعالها ، ومن ثم فإن العلوم التي نعرفها اليوم بعلم السكون والحركة (الميكانيكا) والنيزياء تنطوي تحت لواء العلم الطبيعي .

(١) الأمور والخواص العامة للأجسام

نعرض في هذا الفصل الالفاظ التي استخدمها العرب كالدربة والاعتبار ، كذا الالفاظ المتعلقة بالصفات والخواص العامة للوادر كالبولي والصورة والجسمية والصلابة واللين ، والمسكان والملاء والحلاء ، مع تحديد مفهوم العرب لهذه الالفاظ من واقع كتاباتهم العلمية والفلسفية .

الدربة والدوب:

اعتمد العالم العربي جابر بن حيان (١٢) في

(١٠) توفي عام ٥٤٧ هـ (١١٥١ م) .

(١١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الأول ، الورقة ٣ .

(١٢) عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي والجزء الأول من القرن التاسع .

الاعتبار والمعتبر :

ورد في كتابات الحسن بن الهيثم (١٧) تعبير
د الاعتبار، (١٨) في معنى التجربة ، وتعبير
د المعتبر، (١٩) في معنى القائم بالتجربة ، من
ذلك قوله في الفصل الثالث من المقالة الرابعة في
كتابه د المناظر، (٢٠) في معرض دراسته
لانعكاس الضوء بالقياس على ما يحدث لكرة
صغيرة ماساء من الحديد أو النحاس أو ما يجري
مجرها عند تصدم سطحها مانعا لحركتها فترتد
عنه . يقول ابن الهيثم بلفظه :

د وكلما كانت حركة القذف أقوى
فإنه يجد (يشير إلى المعتبر) رجوع هذه الكرة
أقوى، وإن اعتبر (٢١) هذا المعنى بجسم غير
المرآة ، ويكون فيه بعض اللين كالخشب
أو ما يجري مجراه ، وجد رجوع الكرة بقوة
دون القوة الأولى .

ويمضي ابن الهيثم في دراسته هذه قائلا :

د فيتبين من هذا الاعتبار أن المتحرك على
استقامة إذا لقي مانعا يمنعه من الحركة فإنه يتحرك
راجعا ، وتكون قوة رجوعه بحسب قوة

دراساته اعتمادا كبيرا على التجربة حيث جعلها
أساسا للاستنباط العلمي ، فكان بذلك
من رواد النهج التجريبي ، ونسوق في هذا المجال
نصا من المقالة الأولى من د كتاب الخواص
الكبير (٢٢) :

د يجب أن تعلم أنا نذكر في هذه السكتب
(يقصد كتبه في خواص الأشياء) خواص
ما رأيناه فقط - دون ما سمعناه أو قيل لنا
وقرأناه - بعد أن امتحنناه وجربناه ، فما صح
أوردناه وما بطل رفضناه ، وما استخرجناه نحن
أيضا وقايناه على أقوال هؤلاء القوم .

ولقد استخدم جابر بن حيان لفظ «الدربة»
بمعنى إجراء التجارب ، ولفظ الدرب بمعنى
المجرب ، وجعل من هذه الصفة شرطا ملزما
للانتماء للعلماء حيث يقول في د كتاب
السبعين (٢٣) :

د فمن كان دربا (٢٤) كان عالما حقا ، ومن
لم يكن دربا لم يكن عالما . وحسبك
بالدربة (٢٥) في جميع الصنائع أن الصانع الدرب
يحقق ، وغير الدرب يعطل .

(٢٣) مختارات بول كراوس : صفحة ٢٣٢ .

(٢٤) مختارات بول كراوس : صفحة ٤٦٤ .

(٢٥) Experienced .

(٢٦) Experience .

(٢٧) عاش في الفترة ٣٥٤ - ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ - ١٠٦٦ م) .

(٢٨) Experimentation .

(٢٩) Experimenter .

(٣٠) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول - رقم ٣٢١٥ .

(٣١) أى جرب (to experiment) .

والآخر يقوم مقام السرير من السرير ،
ويسمى صورة

أما أبو الوليد محمد بن رشد (٢٠) فيعرض
لمعنى «الهيولى» و«الصورة» فى المقالة الثانية
من كتابه «ما بعد الطبيعة» فيناقش مذهبين
متباينين فى هذا الصدد فيقول :

«إن قوما جعلوا أول شيء يحل فى الهيولى
الأولى غير المصورة الأبعاد الثلاثة ، وأنها أول
شيء تتصور بها الهيولى ، ورأوا أن اسم الجسم
على هذا المعنى ،

ثم يعرج ابن رشد إلى المذهب الثانى فيقول
عنه :

«رأوا أن الأبعاد الثلاثة تابعة لصورة
بسيطة موجودة فى الهيولى الأولى ، وأن هذه
الصورة هى التى من شأنها أن يقبل بها الجسم
الانفصال والاتصال ، فزعموا أنها واحدة مشتركة
لجميع الأشياء المحسوسة كالحال فى المادة الأولى .
والذى يرى هذا رأى هو ابن سينا .

ويناقش هذا رأى قائلا :

«وأما أصحاب القول الثانى فإن كانوا أرادوا
أن ما هنا صورة بسيطة بالفعل غير صور
الأجسام والبسائط التى هى الثقل والخفة وبالجملة

الحركة التى تحرك بها فى الأول ، وبحسب قوة
المانع وامتناعه من الانفعال

والمقصود من كلمة «الاعتبار» واضح
تماما وهو معنى التجربة .

الهيولى والصورة :

يقول إخوان الصفا فى رسالتهم الخامسة
عشر (٢٢) :

«لأعلم وفقك الله أن معنى قول الحكماء
«الهيولى» إنما يعنون به كل جوهر قابل
للصورة .

وقولهم «الصورة» يعنون به كل شكل
ونقش يقبله الجوهر .

واعلم أن اختلاف الموجودات إنما هو
بالصورة لا بالهيولى

ويزيد الشيخ الرئيس ابن سينا الأمر وضوحا
فيقول فى رسالته «الطبيعيات من عيون
الحكمة» (٢٣) :

«إن كل جسم طبيعى فهو متقوم الذات
من جزئين :

أحدهما يقوم مقام الخشب من السرير ،
ويقال له هيولى ومادة (٢٤) .

(٢٢) هى نفسها الرسالة الأولى فى الجماعات الطبيعية .

(٢٣) «تسع رسائل فى الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صبعة ٤ .

(٢٤) Matter .

(٢٥) عاش فى الفترة : ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ (١١٢٦ - ١١٩٨ م) .

يقول الشيخ الرئيس في رسالته الرابعة
« في الحدود » (٢٧) :

« الجسم اسم مشترك يقال على معان ، فيقال
جسم لكل متصل محدود ، وسوح في أبعاد ثلاثة
بالقوة » ويقال جسم لصورة يمكن أن يعرض
فيه أبعاد كيف شئت طولاً وعرضاً وعمقاً ذات
حدود متعينة .

ويقال جسم لجوهر مؤلف من هيولى
وصورة بهذه الصفة ، والفرق بين السكم وبين
هذه الصورة أن قطعة من الماء أو الشمع كلما
بدل شكله تبدلت فيه الأبعاد المحدودة المسوحة ،
ولم يبق واحد منها بعينه واحداً فيه بالعدد ،
وبقيت الصورة القابلة لهذه الأحوال وهى جسمية
واحدة بالعدد من غير تبدل ولا تغير .

ولذلك إذا تكاثف وتخلخل لم تستحل
صورته الجسمية واستحال أبعاده ، فإذا فرق بين
الصورة الجسمية التى هى من باب السكم وبين
الصورة التى هى من باب الجوهر .

ويقول أبو الحسن بهمنيار بن المرزبان (٢٨)
« أحد تلاميذ الشيخ الرئيس ابن سينا - فى كتابه
« التحصيل » (٢٩) :

« فالجسمية بالحقيقة صورة الاتصال
القابل لفرض الأبعاد الثلاثة فيه ، وهو غير

الميل على ما يظهر من كلام ابن سينا ، فإن مجموع
هذه الصورة مع المادة الأولى هو الجوهر الذى
عرض له التجسم أى عرضت له الأبعاد الثلاثة .
إذا تصور بهذه الجهة فهو لعمرى باطل .

وإن كان أراد بهذا المعنى طبيعة الميل
الحاصل فى المادة الأولى الذى هو كالجنس لصور
الاسطقسات ، فهو لعمرى حق .

الاسطقس :

يعرّف الشيخ الرئيس ابن سينا « الاسطقس »
فى رسالته « فى الحدود » (٢٦) فيقول :

« الاسطقس هو الجسم الأول الذى باجتماعه
إلى أجسام أولى مخالفة له فى النوع يقال له
اسطقس لها ، فلذلك قيل إنه آخر ما يتهى إليه
تحليل الأجسام ، فلا توجد فيه قسمة إلا إلى
أجزاء متشابهة .

الجسمية :

الجسمية عند ابن سينا تعنى الامتداد فى
الأقطار الثلاثة ، أو بتعبير آخر جثمانيتها ، وهو
يفرق فى كتاباته بين الجسمية فى حد ذاتها وبين
خاصية مدافعة الجسم عن حاله من سكون
أو حركة ، وهى الخاصية التى سنعرض لها
بالتفصيل فى بحث آخر .

(٢٦) « تسع رسائل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٨٥ .

(٢٧) « تسع رسائل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٨٧ .

(٢٨) تولى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) .

(٢٩) مخطوط المكتبة الأحمديّة بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثانى ، المقالة الأولى ، الفصل السابع ،
الورقة ١٤٢ .

المقدار . وغير الجسمية التعليمية ، والجسم الذى يستعمل فى التعاليم وهو المعروف بالجسم التعليمى هو الصورة الجسمية مأخوذة مع مقدار من غير الثفات إلى المادة .

فإن الجسم المطلق من حيث الجسمية لا يخالف جسما آخر بأنه أصغر أو أكبر ، ولا يناسبه بأنه مساو لهذا أو معدود به ، وإنما له ذلك من حيث هو مقدار ، وهذا الاعتبار غير اعتبار الجسمية .

ولهذا كثيرا ما يكون الجسم الواحد يتخلخل ويتكاثف بالتبريد والتسخين ، فيختلف مقدار جسميته ، وجسميته التى ذكرناها لا تختلف ولا تتغير

ويمضى ابن المربان فى نفس الفصل (٣٠) يقول :

« ... فلا يجوز أن يكون جسمية محتاجة إلى مادة ، وجسمية غير محتاجة إلى مادة ، واللواحق الخارجية لا تغنيها عن الحاجة إلى المادة إذ الحاجة إلى المادة هى للجسمية لأجل ذاتها ومن حيث هى جسمية ، لا من حيث جسمية مع لاحق (أو مع لواحق) .

فقد بان أن جميع الأجسام مؤلفة من مادة

وصورة ، وهذا البيان إنما يتم عند تصحيح إمكان قبول الأجسام للانقسام إلى ما لانهايه له ، فإن البيان مبنى على الاتصال والانفصال وما لم يتبين أن فى قوة الجسم الانفصال إلى ما لا نهاية لم يصح هذا ، فلنبتل أقاويل الذين يقولون إن الأجسام مؤلفة من أجزاء لا تتجزئ ،

أما الإمام نضر الدين الرازى (٢١) فيقول فى كتابه ، المباحث المشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات ، (٢٢) فى معرض حديثه عن الجسمية :

إن الجسم الواحد قد تتوارد عليه المقادير المختلفة مع بقاء جسميته الخاصة ...

« إن الأجسام مشتركة فى مفهوم الجسمية مختلفة فى المقادير ... » .

« إن الأجسام صح أن يكون بعضها مقدرا للبعض ومقدرا به ، ... وليس تلك المتقدرية بنفس الجسمية التى يستحيل أن يخالف جسم فيها جسما ، فذلك المتقدرية إنما تكون بأمر زائد على الجسمية ... » .

ويزيد الفخر الرازى الأمر وضوحا حيث يقول :

« إن الجسم يستحسن فيزداد حجمه من غير

(٣٠) نفس المخطوط السابق : الورقة ١٤٦ .

(٣١) عاش فى الفترة : ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ (١١٥٠ - ١٢٠٩ م) .

(٣٢) الكتاب الثانى - الفن الأول - الفصل الأول - طبعة الهند : الصفحات ١٧١ حتى ١٧٤ .

انضمام شيء إلى شيء ولا وقوع خلاء بين أجزائه لاستحالة الخلاء ، ويبرد فيصغر حجمه من غير انتقاص شيء من أجزائه ، أو زوال خلاء كان قبل ذلك .

وذلك الجسم في حد جسميته محفوظ (٢٣) ، والجسم المحفوظ مغائر لهذه الأمور المتبدلة . . .
بهذه الكلمات يقرر الفخر الرازي مبدأ حفظ المادة ، ولا ينقص من قدره في تقرير هذا المبدأ الهام قوله بانتفاء الخلاء . وقد عبر الرازي عن المادة بالجسمية ، وقال بأن هذه الجسمية محفوظة لا تتبدل في حد ذاتها ، وإن تبدلت أبعادها وصورها ، فالرازي يقرر في هذا النص مبدأ حفظ المادة وهو المعنى الذي نعبر عنه في كتاباتنا المعاصرة بأن المادة لا تنفي ولا تستحدث .

الصلابة واللين والرخاوة :

يذكر ابن سينا في رسالته : د في الحدود ، (٢٤) :

« الصلب هو الجرم الذي لا يقبل دفع سطحه إلى داخله إلا بعسر ، وهذه الصفة يفضل تسميتها بالصلادة (٢٥) .

ويستطرد ابن سينا قائلا :

« اللين هو الجرم الذي يقبل ذلك بسهولة . »

ود الرخو جرم لين سريع الانفصال . .
أما الحسن بن الهيثم فقد تعرض لظاهرة تباين درجة ممانعة المواد المختلفة عن الانفعال عند سقوط الأجسام عليها ، تلك الظاهرة التي اتخذت في عصرنا الحالي أساسا لقياس درجة الصلادة . يقول ابن الهيثم في الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر » (٢٦) :

« إن الأجسام الثقيل إذا سقطت إلى أسفل من موضع عال ، ثم لقيت عند مسقطها جسما صلبا كالصخر أو الحديد أو ما جرى مجرى ذلك ، انعكست في الحال راجعة . ويكون رجوعها بحركة قوية .

وإذا لقيت عندهم مسقطها جسما رخوا كالرمل أو التراب أو ما شاكل ذلك ، انتشبت فيه ولم ترجع .

وإن صادفت جسما فيه بعض الصلابة وبعض اللين كالجص أو الخشب أو ما جرى مجرى ذلك في اللين ، رجعت رجوعا ضعيفا .

يبين من هذا النص أن الصلابة - في رأي الحسن بن الهيثم - هي خاصية الممانعة عن الانفعال ، وأن اللين ضعف تلك الممانعة .

ويقول هبة الله بن ملسكا البغدادي في كتابه « المعبر في الحكمة » (٢٧) :

(٢٣) conservation of Matter

(٢٤) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحته ٩٧ .

(٢٥) Hardness

(٢٦) مخطوط مكتبة الفاتيكا باستانبول — رقم ٣٢١٥ ، الورقتان ٦٨ ، ٦٩ .

(٢٧) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول — رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني - الفصل السادس .

« الخلاء (٢) » بعد يمكن أن تعرض فيه أبعاد ثلاثة قائم لا في مادة من شأنه أن يملأه جسم وأن يخلو عنه ، .

ولقد كان الخلاء موضع خلاف كبير بين فلاسفة العرب ، فمنهم مؤيد لوجوده ومنهم من ينكره ، ولعل الحسن بن الهيثم كان أوفقهم في تعريفه حيث يقول في رسالته « المسكان » :

« والخلاء ليس بذى مادة ولا فيه مدافعة ، وإنما الخلاء هو أبعاد فقط متهيئة لقبول المواد ، .

فالخلاء - في رأى ابن الهيثم - خالى تماما من المادة ومن المدافعة ، أى خالى من المقاومة التى يتعرض لها الجسم أثناء حركته فى وسط ما غير الخلاء ، وبالتالي فإن حركة الاجسام فى الخلاء لا تلتقى أية معاوقات أو ممانعات ، وهذه حقيقة نعرفها جيدا فى الوقت الحاضر .

ويستطرد الحسن بن الهيثم فى رسالته فيقول :

« والجسم الطبيعى هو المادة التى هى الأبعاد المتخيلة متهيئة لقبولها مع الأبعاد ، وكل الأبعاد فمن متهيئة لقبول كل مادة ، وكل بعد فليس فيه مانع يمنع من أن تنطبق عليه ، فليس يمتنع أن تنطبق أبعاد الجسم الطبيعى - الذى الخلاء

« ولشكل جسم متناه شكل ، وقد يكون من ذلك ما هو طبيعى ، ومنه ما هو قسرى (٣٨) وغير طبيعى ، فشكل جسم من ذلك معنى طبيعى لا محالة .

فمن ذلك أن الجسم إما أن يقبل التأثير أو لا يقبل ، فإن قبل قبولا بعسر فهو الصواب (٣٩) ، أو بسهولة فهو اللين (٤٠) .

المسكان :

لما كان المسكان أحد عناصر حركة الأجسام فى الفلسفة الإسلامية ، لذلك فقد تصدى كثير من العلماء والفلاسفة العرب لتعريفه . ولعل أدق هذه التعاريف وأوضحها ما ورد فى رسالة الحسن بن الهيثم « قول فى المسكان ، حيث يقرر ابن الهيثم تعريف المسكان على النحو التالى :

« فكان الجسم هو أبعاد الجسم التى إذا جردت فى التخيل كانت خلاء لا مادة فيه مساويا لجسم شبيه بشكل الجسم » .

الملاء والخلاء :

يعرف الشيخ الرئيس ابن سينا : « فى رسالته فى الحدود (٤١) الملاء والخلاء ، فيقول :

« الملاء (٤٢) هو جسم من جهة ما يمانع أبعاده دخول جسم آخر فيه »

(٣٨) Forced or enforced

(٣٩) يفضل تسميته بالصلد : Hard

(٤٠) Soft

(٤١) « تسع رسائل فى الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٤ .

(٤٢) أى الحيز الممتلئ مادة تمنع دخول جسم خارجى فى هذا الحيز ، و عكس الخلاء .

(٤٣) أى الفراغ أو الفضاء الخالى : Space

من القوى هما القوة الطبيعية والقوة القسرية ،
فبالقوة الطبيعية عبر العرب عن القوة التي تؤثر
على الجسم لتعيده إلى مكانه الطبيعي إذا كان
قد سبق وأن أزيح عنه ، وهذه القوة هي
ما نسميها اليوم بقوة الجاذبية الأرضية ، وبالقوة
القسرية عبر العرب عن القوة التي تسلط على
الجسم لتجبره على الحركة أو على التواجد في
غير موضعه الطبيعي ، ولنورد فيما يلي نماذج
بما قاله فلاسفة العرب وعلمائهم في أنواع القوى .

(١) القوى الطبيعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه
« النجاة » (٤٦) عن القوى الطبيعية ما نصه :
« فمعها قوى سارية في الأجسام تحفظ عليها
كالاتها من أشكائها وموضعها الطبيعية وأفعاليها
وإذا زالت عن مواضعها الطبيعية وأشكالها
وأحوالها أعادتها إليها وثبتتها عليها ، مانعة من
الحالة الغير الملائمة إياها بلامعرفة وروبة وقصد
اختياري بل بتسخير ، وهذه القوى تسمى
طبيعية ، وهي مبدأ (٤٧) بالذات لحركاتها
بالذات وسكوناتها بالذات ، ولسائر كالاتها التي
لها بذاتها ، وليس شيء من الأجسام الطبيعية
بخال عن هذه القوة » .

وعن القوة الطبيعية يقول ابن سينا في
طبيعيات كتابه « الشفاء » (٤٨) :

مهيء لقبوله — على أبعاد الخلاء ، التي هي
أطوال لا عروض لها ولا مدافعة فيها ، وإذ ذلك
كذلك فقد بطل القول بأن الجسم الطبيعي
لا يداخل الخلاء لأنهما جسمان .

ويقول هبة الله بن ملكا البندادي في كتابة
« المعتبر في الحكمة » (٤٤) في وصفه للخلاء :
« ... فهو مقدار بلا مادة ، به امتلاء
المسكان ، وهو الخلاء ... »

(٢) القوى التي تعرض للأجسام

نقدم في هذا الفصل بعضاً من كتابات
العرب في موضوع القوى التي يمكن أن تتعرض
لها الأجسام من قوى طبيعية وقوى قسرية ،
ونعرض كذلك لتفاوت القوى من حيث الشدة
والمدّة والعدّة .

القوى وأنواعها :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه
« النجاة » (٤٥) :

« ليس شيء من الأجسام الموجودة يتحرك
أو يسكن بنفسه ، أو يتشكل أو يفعل شيئاً
غير ذلك ، وليس ذلك له عن جسم آخر أو قوة
فائضة عن جسم ، فليس يصدر عنه شيء إلا وفيه
قوة من هذه القوى المذكورة ، عنها يصدر ذلك
وكل ما يصدر عنه من الأفعال » .

هذا وقد فرق العرب بين نوعين أساسيين

(٤٤) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٧٢٢ : المجلد الثاني - « فصل الخامس عشر ، الورقة ٦٢ .

(٤٥) طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ - الجزء الثاني : صفحة ١٦١ .

(٤٦) طبعة القاهرة سنة ١٣٣١ هـ - الجزء الثاني الصفحتان ١٦١ ، ١٦٢ .

(٤٧) بمعنى سبب وعلة : Cause .

(٤٨) المائة الرابعة - الفصل الثاني عشر .

من بعضهما البعض ، وتقل بزيادة التباعد بينهما .

الثقل والخفة :

يقول إخوان الصفا في رسالتهم السادسة عشر :

« وكل جسم في مكانه الخاص ليس بثقل ولا خفيف ، لأن الثقل (٥٧) والخفة يعرضان لبعض الأجسام بسبب خروجها عن أماكنها الخاصة بها إلى مكان غريب » .

ويستطرد إخوان الصفا في رسالتهم هذه فيعرفون الثقل والخفيف بقولهم :

« ما كان متوجها نحو مركز العالم يسمى ثقيلًا وما كان متوجها نحو المحيط يسمى خفيفاً » .

ويؤكد إخوان الصفا هذا المعنى في رسالتهم الرابعة والعشرين حيث يقررون :

« وأما الثقل والخفة في بعض الأجسام فهو من أجل أن الأجسام الكليات كل واحد له موضع مخصوص ، ويكون واقفاً فيه لا يخرج إلا بقسر قاسر ، وإذا خلى رجع إلى مكانه الخاص به ، فإن منعه مانع وقع التنازع بينهما ، فإن كان النزوع نحو مركز العالم يسمى ثقيلًا ،

« كل جسم له مكان طبيعي أو حين تقتضى طبيعته السكون فيه ، وهو يخالف سائر الأجسام لا لجسميته ، بل لأن فيه مبدأ وقوة معدة نحو ذلك المكان » .

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملسكا البغدادي في كتابه « المعتمد في الحكمة » (٤٩) :
« فبهذا يعلم أن لكل جسم طبيعي حيناً طبيعياً ، فيه يسكون بالطبع ، وإليه يتحرك إذا أزيل عنه ، وهذا الحيز ليس هو للجسم بجسميته التي لا يخالف بها غيره من الأجسام ، بل بصفة خاصة به هي طبيعة ففوة أو صورة خاصة بذلك الجسم خصته بذلك الحيز وحركته إليه ، فتلك الطبيعة الخاصة في ذلك الجسم مبدأ حركة بالطبع وسكون بالطبع والتجريك النقل المسكن إنما يكون عنها بعد سبب طارئ يخرج الجسم عن حيزه الطبيعي ، فتتحركه هي إليه » .

وعن قوة الجذب يقول الامام فخر الدين الرازي في كتابه « المباحث المشرقية في علم الالهيات والطبيعيات » (٥٠)

« انجذاب (٥١) الجسم إلى مجاورة الأقرب أولى من انجذابه إلى مجاورة الأبعد » .

وهذا النص سبق واضح للفخر الرازي ، حيث إن قوة الجذب بين جسمين تزيد بقربهما

(٤٩) مخطوط مكتبة أحمد الثالث - رقم ٢٢٢٢ - المجلد الثاني ، الفصل السادس والعشرون ، الورق ١٠٢ .

(٥٠) الكتاب الثاني - الفن الخامس - الفصل الثاني عشر ، طبعة الهند : صفحة ٥٧٨ .

(٥١) Attraction .

(٥٢) Weight = الثقل هو قوة جذب الأرض للجسم .

ويقول ابن المزيان في موضع آخر من كتابه (٥٧)

« والحركة التي بالقسر هي التي يحركها خارج عن المتحرك ، وليس بمقتضى طبعه ، وذلك قد يكون بالجذب ، وقد يكون بالدفع ، وقد يكون مع مفارقة المتحرك المحرك ، مثل المرمى (٥٨) والمدحرج (٥٩) والمزحوح (٦٠) »

تفاوت القوى بحسب الشدة والمدة والمدة :

يقول الإمام غفر الدين الرازي في كتابه « المباحث المشرقية » (١١) في معرض حديثه « فيما ليس بكم بالذات بل بالعرض » - وقد جعله على أربعة أوجه - مانعه :

« الوجه الرابع أن تكون قوى مؤثرة في أشياء يقال عليها الحكم بالذات ، فيقال لتلك القوى إنها متناهية أو غير متناهية ، لا لأن القوة ذات كمية في نفسها ، بل لأن القوة تختلف بالزيادة والنقصان ، بالإضافة إلى شدة ظهور الفعل عنها ، أو إلى عدة ما يظهر عنها ، أو إلى مدة بقاء الفعل ، والفرق بين اعتبار الشدة والمدة من وجهين .

أحدهما أن كل ما كان زائداً بحسب الشدة ،

وإن كان نحو المحيط يسمى خفيفاً ، وقد بينا في رسالة السماء والعالم كيفية ذلك » .

وعرض الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته « في الحدود » (٥٣) للثقل والخفة ، فيقول :

« الثقل قوة طبيعية يتحرك بها الجسم إلى الوسط (٥٤) بالطبع » .

« والخفة قوة طبيعية يتحرك بها الجسم عن الوسط بالطبع » .

القوة القسرية :

يعرّف الشيخ الرئيس ابن سينا « القسر » ، فيقول في رسالته « الطبيعيات من عيون الحكمة » (٥٥) :

« القسر ما يسلب حركة أو سكوتاً طبيعياً » .

ويقول بهمينار ابن المزيان في كتابه « التحصيل » (٥٦) :

« وأنت تعلم أنه إذا توهم زوال القاسر ، لم يمكن للجسم بد من أن يكون له أين وشكل وزوال القاسر ممكن بل واجب ، فإن القسر طارئ على الأمر الطبيعي » .

(٥٣) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥ .

(٥٤) يقصد وسط العالم ، أي مركز الأرض .

(٥٥) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا - طبعة القاهرة : صفحة ١١ .

(٥٦) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ،

الفصل السادس ، الورقة ٢٥٨ .

(٥٧) نفس الكتاب السابق ، الورقة ٢٤٨ .

(٥٨) Projected . (٥٩) Ro'led . (٦٠) Displaced .

(٦١) الكتاب الثاني - الفن الأول - الفصل السادس - طبعة الهند : صفحة ١٨٧ .

كان ناقصا بحسب المدة ، فان المحرك إذا كان أشد قوة ، بلغ النهاية الوجودية أو المفروضة أسرع .

ثانيهما أن الذى تتفاوت فيه القوى بحسب المدة ، ربما لا تتفاوت فيه بحسب الشدة ، فان إبقاء الثقل في الجو لا يقبل الزيادة والنقصان بحسب الشدة ، وتختلف القوى فيه بالبقاء الزمانى بحسب الشدة ، وأما الفرق بين اعتبار المدة والعدة فلأن المدة هى في اثبات شئ واحد ، وليس اعتبار العدة في اثبات شئ واحد ، وأما الفرق بين اعتبار الشدة والعدة فظاهر .

ويقول العلامة نصير الدين الطوسي (٦٢) في معرض شرحه للفصل الخامس عشر من النمط السادس من كتاب ابن سينا والاشارات والتنبيهات :

« ... أما الشئ الذى يتعلق به شئ ذو مقدار أو عدد كالقوى التى يصدر عنها عمل متصل في زمان ، أو أعمال متوالية لها عدد ، ففرض النهاية والالانهاية يكون فيه بحسب مقدار ذلك ، أو عدد تلك الأعمال .

والذى بحسب المقدار يكون إما مع فرض وحدة العمل ، واتصال زمانه ، أو مع فرض الاتصال في العمل نفسه ، لا من حيث تعتبر كثرته أو وحدته .

فالقرى بهذه الاعتبارات تكون ثلاثة أصناف :

الأول قوى يفرض صدور عمل واحد منها في أزمنة مختلفة ، كرماء تقطع سهامهم مسافة محدودة في أزمنة مختلفة ، ولا محالة تكون التى زمانها أقل أشد قوة من التى زمانها أكثر ، ويجب من ذلك أن يقع عمل غير المتناهية لا في زمان .

والثاني قوى يفرض صدور عمل ما - منها - على الاتصال في أزمنة مختلفة ، كرماء تختلف أزمنة حركات سهامهم في الهواء ، ولا محالة تكون التى زمانها أكثر أقوى من التى زمانها أقل ، ويجب من ذلك أن يقع عمل غير المتناهية في زمان غير متناه .

والثالث قوى يفرض صدور أعمال متوالية عنها . مختلفة بالعدد ، كرماء يختلف عدد رميهم ، ولا محالة تكون التى يصدر عنها عدد أكثر ، أقوى من التى يصدر عنها أقل عدد ، ويجب من ذلك أن يكون لعمل غير المتناهية عدد غير متناه .

فالاختلاف الأول بالاشدة ، والثاني بالمدة ، والثالث بالعدة .

من هذين النصين يبين لنا أن العرب قد فرقوا بين القوة التى يجرى تسليطها في فترة زمنية قصيرة كقوة الصدمة ، وبين القوة ثابتة المقدار التى تتواجد لفترة زمنية طويلة ، ففي الحالة الأولى يكون تأثير القوة أشد كلما نقصت فترة تسليطها ، وهذا النوع من القوة نعرفه اليوم

(٦٢) عاش في الفترة : ٥٩٧ - ٦٧٢ هـ (١٢٠١ - ١٢٧٤ م) .

ومنها كثرة عدة الفعل وقتلها .
ويستطرد ابن المرزبان ليوضح عبارته هذه
بالأمثلة ، فيقول :

« ومثال الأول أن أشد الراميين قوة هو
أسرعهما في الرمي لمسافة معينة قطعاً ، ومثال
الثاني أن أشد الراميين قوة هو أطولهما زمان
نفوذ الرمي في الجو ، ومثال الثالث أن أشد
الراميين قوة هو أكبرهما قدرة على رمي
بعد رمي . »

قول واضح موجز سبق به ابن المرزبان
كلاً من الفخر الرازي ونصير الدين الطوسي :

خلاصة

يقدم هذا البحث دراسة موجزة لمفهوم
العرب للعالم الطبيعي ، كذا الألفاظ التي استعملها
فلاسفة العرب ، وعلماءهم فيه ، ويشتمل البحث
على نصوص عديدة لبيان الأوجه التي استعملت
فيها هذه الألفاظ وتحديد مدلولها في صدر
الحضارة العربية .

ويخلص البحث إلى أن العرب قد تخيروا
ألفاظهم بعناية شديدة ، فلا غرو أن نجد غالبية
هذه الألفاظ لازالت صالحة تماماً للكتابة
العلمية المعاصرة . من هذه الألفاظ - على سبيل
المثال لا الحصر - ألفاظ الجسمية والثقل والخفة ،
والصلابة واللين ، والملاء والخلل ، والقوة

بالقوة الصدمية ، والمثال المألوف لها شدة تأثير
الضرب بمطرقة ، وإذا عبرنا عن هذه الحالة
بتعبيرنا العلمي الدقيق المعاصر لقلنا إنه كلما كان
معدل تسليط القوة أعلى (أى كلما قلت الفترة
الزمنية التي تصل فيها القوة إلى ذروتها) ، كلما
كان التأثير الناتج عن القوة أشد ، وهذا ما يدخله
المهندسون في اعتبارهم فعلاً عند تصميم المنشآت
التي تتعرض لاحتمال الصدمات .

كذلك درس العرب الحالة التي يسكن فيها
مقدار القوة ثابتاً من حيث الكم ، بينما ينحصر
الاختلاف في طول الفترة الزمنية التي تعمل فيها
القوة ، والاصان المتقدمان يوضحان الفرق بين
شدة القوة ومدتها كل الوضوح ، بما يدل على دقة
المشاهدة وسلامة التمثيل ، والنهم السليم الواعي
لتأثير القوة من حيث المقدار والشدة ، ومن
حيث المدة أى فترة تأثيرها ، ومن حيث العدة
أى عدد مرات تسليطها .

ولعلنا نسوق في ختام حديثنا عن تفاوت
القوة قول الحكيم بهمنيار ابن المرزبان - أحد
تلاميذ ابن سينا - في كتابه « التجميع » ، (٦٣) :

« نقول إن القوة تقع بينها وبين قوة أخرى
تفاوت في أمور :

منها سرعة الفعل وبطؤه .

ومنهما طول مدة استبقاء الفعل وقصرها .

(٦٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ،
الفصل الرابع ، الورقة ٢٥٢ .

مخطوط المكتبة الاحمدية بحلب - رقم
١١٢٢ ، ٢٤٠ ورقة .

٤ - كتاب «المعتبر في الحكمة» .

لأبي البركات هبة الله بن ملنكا البغدادي .

مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول -
رقم ٣٢٢٢ ، ٢٢٥ ورقة .

(ب) المكتبة المطبوعة :

١ - «رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا»

عنى بتصحيحه خير الدين الزركلى .

المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ،

عام ١٩٢٨ م .

٢ - مختار «رسائل جابر بن حيان» .

عنى بتصحيحها ونشرها بول كراوس .

مكتبة الخانجي ومطبعتها ، القاهرة

سنة ١٣٥٤ هـ .

٣ - «إحصاء العلوم» لأبي نصر الفارابى .

تحقيق الدكتور عثمان أمين .

مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ، الطبعة

الثالثة ، عام ١٩٦٨ ، ١٧٦ صفحة .

٤ - كتاب «الإشارات والتنبيهات»

للشيخ الرئيس ابن سينا .

مع شرح نصير الدين الطوسى .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

دار المعارف بمصر - القسم الثانى - الطبعة

الثانية ، ٦٨ : صفحة .

الطبيعية والقوة القسرية وتوصيف القوة من
حيث الشدة والمدة والعدة ، وبيان تعرض الجسم
للجذب أو الدفع ، وتحديد كيفية تحريك الجسم
بالرمي (أى القذف) أو الدحرجة أو الازاحة ،
وهذه الألفاظ تعبر ولا شك عن مبادئ دقيقة
متباينة .

ما أحرانا أن نفرّد مزيدا من الاهتمام
لترائنا العلمى العربى ، وما أولانا بالكشف
عن ثروتنا الفكرية واللغوية العظيمة .

مصادر البحث

(١) المخطوطات :

١ - كتاب «المنظر» للحسن بن الهيثم .

المقالتان الرابعة والخامسة .

مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول - رقم

٢٢١٥ ، ٢٢٢ ورقة .

٢ - «قول فى المكان» للحسن بن الهيثم .

مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول - رقم

٢٤٣٩ ف ٣ .

مخطوط المكتب الهندى بلندن - رقم

٧ / ٧٢٤ .

(نشرت هذه الرسالة دائرة المعارف

العثمانية - حيدرآباد الدكن بالهند ، سنة ١٣٥٧ هـ

(١٩٢٨ م) وتقع فى ١٢ صفحة) .

٣ - كتاب «تحصيل بهمينار» لبهمينار

ابن المرزبان .

- ٥ - « الكتاب الموسوم بشرح
الإشارات » .
- للخواجة نصير الدين الطوسي ، والإمام
نفر الدين الرازي .
- المطبعة الخيرية بالقاهرة - الطبعة الأولى ،
عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) .
- الجزء الأول : ٢٤٣ صفحة ، الجزء الثاني :
١٤٦ صفحة .
- ٦ - كتاب « الشفاء - الطبيعيات »
للشيخ الرئيس ابن سينا .
- تحقيق الدكتور محمود قاسم .
- مراجعة وتقديم الدكتور إبراهيم مذكور .
- دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ،
عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .
- ٧ - كتاب « النجاة » للشيخ الرئيس
ابن سينا .
- طبعة روما سنة ١٩٥٢ م (بعد انتهاء كتاب
« القانون في الطب ») .
- ٨ - كتاب « النجاة » للشيخ الرئيس
ابن سينا .
- طبع بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢١ هـ ،
ثم عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .
- ٩ - « تلخيص رسائل في الحكمة والطبيعيات »
للشيخ الرئيس ابن سينا .
- مطبعة هندية بالموسكى بمصر عام ١٣٢٦ هـ
(١٩٠٨ م) ، ١٨٠٠ صفحة .
- ١٠ - « معيار العلم » للإمام محمد أبي
حامد الغزالي .
- تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
- دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ، عام
١٩٦٩ م ، ٤٠٠ صفحة .
- ١١ - « المباحث المشرقية في علم الإلهيات
والطبيعيات » .
- للإمام نفر الدين الرازي .
- الجزءان الأول والثاني ، عام ١٣٤٣ هـ
(١٩٢٤ م) .
- دار المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن بالهند
- ١٢ - كتاب « ما بعد الطبيعة » لأبي الوليد
ابن رشد
- « دائرة المعارف العثمانية » ، حيدرآباد الدكن
بالهند ، عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) ،
١٨٣ صفحة .
- ١٣ - « تفسير ما بعد الطبيعة » لأبي
الوليد ابن رشد .
- المطبعة الكاثوليكية ببيروت ،
سنة ١٩٣٨ م ، ١٩٤٢ م .
- ١٤ - « تلخيص ما بعد الطبيعة »
لابن رشد .
- تحقيق وتقديم الدكتور عثمان أمين .
- مصطفى الباني الحلبي بالقاهرة ، سنة
١٩٥٨ م ، ١٦٨ صفحة .

أسبوع العلم الثالث عشر بجامعة حلب
سنة ١٩٧٢ م ، مطبوعات المجلس الاعلى للعلوم
بدمشق سنة ١٩٧٤ م .

٧ ؛ - « تراث العرب في الميكانيكا » .
للدكتور جلال شوقي .

عالم المكتب بالقاهرة ، سنة ١٩٧٢ م ،
١١١ صفحة .

١٥ - « جابر بن حيان » .

للدكتور زكي نجيب محمود .

سلسلة أعلام العرب - ٣ ، مكتبة مصر
بالقاهرة ، سنة ١٩٦١ م ، ٢٧١ صفحة .

٦ ؛ - « أصول الميكانيك في الفكر العربي » ،
للدكتور جلال شوقي .



في القرآن والعربية : (٣) الصِّراع بين القُرَّاء والنُّحاة للكتوراحم محمد بن المنذرى

يكون سيديويه قد جانبه الصواب حيث قال :
« إنه ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان
فتتحققا » (٦) ويسير ابن جني في طريقه حيث
يقول « فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة
إلا أن تكونا عينيْن نحو سَيَّال وسَيَّار » (٧)...

لكن التقاؤهما في كلمة واحدة غير عينيْن لحن «
فابن جني يحكم على القراءة بالالحن — وهي
سبعية (٨) »

وسيديويه وأكثر النحاة لا يجزؤون تلك
القراءة وهم محجوجون بقراءة الكوفيين في
(أئمة) وبما سمعه أبو زيد عن بعض العرب
« اللهم اغفر لي خطيئتي » (٩) وعلى مثل
هذا جاء :

فإنك لا تدري متى الموت جائئ
إليك ولا ما يحدث الله في غد (١٠)

* في الهمز

٢ — ومن قضايا الهمز ، إذا اجتمع
الهمزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف ، ولها
حالتان :

الأولى : — إما أن تكون الهمزتان
في كلمتين .

الثانية : — أو تكون الهمزتان في كلمة
واحدة .

فإذا كانت غير همزة استفهام وذلك مثل
(أئمة) بهمزتين . فقد قرأ ابن عامر وعاصم
وحزبه والكسائي « فقاتلوا أئمة الكفر » (٢) « أئمة
يهودن بأمرنا » (٣) « ونجعلهم أئمة » (٤) وغيرها من
الآيات بتحقيق الهمزتين (٥) .

وهذا مذهب من يميل إلى تحقيق الهمز من
القبائل العربية ؛ لأن ثلاثة من القراء السابقين
كوفيون ؛ والكوفة متأثرة بقبائل شرق الجزيرة
كتميم وغيرها ، وهم يحققون الهمز ، ولم — هذا

- (*) الحديث عن (الهمز) تنمة لما ورد في العدد السابق من المجلة
- (٢) سورة التوبة آية ١٢
- (٣) الأنبياء ٨٣
- (٤) القصص آية ٥
- (٥) النشر ١ / ٣٧٨
- (٦) الشافعية ٣ / ٦٥ والكتاب ٢ / ١٦٧
- (٧) الخصائص ٣ / ١٤٣
- (٨) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣١٢
- (٩) الشافعية ٣ / ٥٨
- (١٠) الخصائص ٣ / ١٤٣
- ١٢٨

نزل القرآن بلجاتها ، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها (٧) وشاذها .

٣ - وفي سورة البلد آية (٢٠) وعليهم نار مؤصدة ، قرئ بالواو والهمزة من أوصدت الباب وأعدته إذا أطبقته وأغلقتة . وعن أبي بكر بن عياش ، لنا إمام يهمن مؤصدة فأشتم أن أسد أذننى إذا سمعته (٨) . ولعل سببه انحباس الهواء في المزمار عند النطق انحباسا تاما ثم انفراج المزمار فجأة وهى عملية تحتاج إلى مجهود عضلى كبير . مع أن الهمز قراءة سبعية (٩) ؛ فقد قرأ أبو عمرو وحمره وحفص بالهمز وباقي السبعة بغير همز (١٠) .

٤ - ورد في مختصر شواذ القرآن لابن خالوية (١١) في قوله تعالى : اشتهروا الضلالة (١٢) .

« أن همز الواو فيها لغة عن الكسائي وهو عند البصريين لحن » ، وتلك اللهجة التي جاءتنا عن الكسائي واعترف بها ، ورفضها البصريون لهجة قيسية كما في المحاسب (١٣) ، وعليها قول بعض العرب : « عصموا الله » مهموزة .

كما وردت في الآيات السابقة قراءات أخرى :

(١) أن تخفف الهمزة الثانية يجعلها بين الهمزة والياء (١١)

(٢) أن تؤيد ألفا بين الأولى والثانية (٢) كراهة اجتماع الهمزتين .

(٣) وآخرون من القراء يلون إلى جعلها ياء خالصة نص على ذلك أبو عبد الله بن شريح (٣)

وقد رمى الزخشرى هذه القراءة الأخيرة باللحن (٤) فقال : وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ، ومن صرح به فهو لاحن محرّف (٥) وقد رد عليه أبو حيان في البحر (٦) بقوله : وذلك في دأبه (يعنى الزخشرى) في تلحين المقرئين ، ولعلها ثبتت قراءة فكيف تكون لحنًا ؟ مع أمانة الرواية وصحة السند ، وقرأ بها رأس البصريين النحاة أبو عمرو بن العلاء ، وقارئ مكة ابن كثير وقارئ مدينة الرسول (ص) نافع ثم هى تصور لهجات القبائل الغربية ومذاهبهم في التحقيق والتسهيل ، وبين بين . وهذه القبائل

(٢) الشافعية ٥٨ / ٣

(٤) النضر ٣٨٠ / ١

(٦) البحر ١٥٠ / ٥

(٨) الكشاف ٤ / ٤

(١٠) البحر سورة البلد

(١٢) البقرة ١٦ / ١

(١) الشافعية ٥٨ / ٣

(٣) النضر ٣٧٩ / ١

(٥) الكشاف ٥٤٦ / ١

(٧) البحر المحيط ٩٣ / ٨

(٩) كتاب القراءات السبعة لابن مجاهد سورة البلد

(١١) ص ٢

(١٣) انظر ابن جني سورة البقرة آية ١٦

سيبويه يشير إلى أن مشتقات تلك الصيغة لا تدخلها الهمزة ، وعلى ذلك أى عدم الهمز بقوله ، وذلك لأنهم جعلوا همزة المتكلم فى أرى — تعاقب الهمزة التى هى عين الفعل وهى همزة (أرى) وكأنهم فزوا من التقاء همزتين (٧) وأرى أن كلام سيبويه لا يثبت أمام الواقع اللغوى ، لأنه قد حكى عن العرب وقد أراهم وجاء فى التهذيب زيد يرى رأيا حسنا (٨) ، وبديت سرافقة البارقي :

أرى عينيَّ مالم ترأياه

كلانا عالم بالترهات (٩)

وقد رواه أبو الحسن : مالم ترأياه على التخفيف ، ورواه أبو زيد فى نوادره مالم تبصره (١٠) ، ولا شاهد حينئذ فيها ، وفى اللسان مالم ترأياه (١١) ، وقد رواه الأخفش مالم ترأياه (١٢) ، وقد عزا اللسان همز الأفعال المستقبلية من هذه المادة (رأى) وهى :

يرى ، ترى ، نرى ، أرى — إلى تيم الرباب فيقولون : هو يرى وترأى وترأى وأراى ، وإذا قالوا : متى نراك ؟ قالوا : متى نراك ؟ مثل : نراك (١٣) ، وفى سر الصناعة : يراك بوزن يراك ، وعلى ذلك جاء قول شاعرهم ، وهو للأعلم بن جرارة السعدي :

هـ — جاء فى الجهرة مزأن بنى تميم : حمزون أحرفا مما كان على وزن (فعمل) فى موضع العين من الفعل ألف ساكنة نحو : الفأس والرأس والنكأس والرأل (١) . ولهذا يجب أن نكون على حذر مما جاء فى المصباح من أن بنى تميم ترك الهمز لزوما فى كلمة (رأس) (٢) ومن التحقيق ما جاء فى المختص عن الفارسي د أن تيمما تهمز المئثار — وغيرهم لا يهمزه (٣) وجاء فى ابن يعيش أن العجاج كان يهمز (المالم) (والخاتم) وهو القائل : (فخنذف هامة هذا المالم) .

وعن أبى زيد أنه سمع عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول : دأبئة وشأبئة (٤) فى دأبة وشأبة وماورد فى سر الصناعة يزيد قلب الألف همزة — نأحكاك اللحياني عنهم (نأر) (٥) فى د نأر ، وهمز هذه الصيغ الأخيرة قد أفضى إلى تقسيم الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين ، وهذا يوضح لنا كيفية هروب بعض اللهجات من الحركات الطويلة فى المقاطع المقفلة .

٦ — يقول سيبويه د كل شئ كانت أوله زائدة سوى ألف الوصل من (وأيت) فقد اجتمعت العرب على تخفيف همزه (٦) وكان

(١) الجهرة ٢ / ٢٩٣

(٢) المختص : س ١٢ ص ٢٨٧

(٣) سر الصناعة ١٠٢ / ١ ط الحلي

(٤) اللسان ١٩ / ٣

(٥) سر الصناعة ٨٦ / ١ ط الحلي

(٦) نوادر الافة : لأبى زيد ١٨٥

(٧) المرجع السابق

(٢) المصباح ٣٧٦

(٤) ابن يعيش ١٣ / ١٠ ، سر الصناعة ٨٣ / ١ ط الحلي

(٦) اللسان ١٩ / ٣

(٨) اللسان ١٩ / ٤

(١١) : اللسان ١٩ / ٤

(١٤) ٨٧ / ١

(١٣) اللسان ٨ / ٥

الأصل وعزاها لقيم (٦) ، كما قرأ
أبو عبد الرحمن ، ألم تره كيف ، ساكنة الراء ،
ويرى ابن جني في المحقّب (٧) أن باب الهز ، ضرورية
لا القرآن ، ويراها القزاز (أى الهز) ضرورية
كقول الشاعر :

لعمرك إننى لأحب نجدا

وما أراى إلى نجد - سيلاً (٨)

وكان الشاعر استعمل الأصل وهو الهز
في الفعل ، وهذا مثل قول الشاعر :
« فإنه أهل لأن يؤكّر ما (٩) » ،

كما قرأ قبل وشبل من سورة العلق آية ٧
« أن رآه استغنى » ، غير مدّ (البحر المحيط
٨ / ٤٩٣) ، وابن الجاهد يصف هذه القراءة
بأنها غلط (كتاب السبعة في القراءات لابن جاهد
ص ٦٩٢ ، البحر ٨ / ٤٩٣) ولكن أبا حيان
يردّ عليه بقوله « وينبغي ألا يغلطه ، بل يتطلب له
وجهها ، وقد حذفت الألف فى نحو من
هذا قال :

« وصّى فى الحجاج فيما وصّى »

يرد : فيما وصّى أى فحذف الألف ... وإذا
صححت الرواية به وجب قبوله ، والقراءات
جاءت على لغة العرب قياساً وشاذها (البحر
المحيط ج ٨ ص ٤٩٣) فأبو حيان يدافع عن
القراءة بصحة الرواية ، على أن النبر هنا نبر

ألم تر ما لاقيت والدهر أعصر

ومن يتعلّ العيش يراً ويسمع (١)

ويمكن أن تثير رواية البيت على هذا الوضع
شيئاً من الشك ، لأن الشاعر من الرّباب ، وهم
يهزون كل مشتقات (رأى) ولهذا جاءت
رواية اللسان :

ألم تر ما لاقيت والدهر أعصر

ومن يتعلّ العيش يراً ويسمع (٢)

وهى أصح لأن (ألم ترأ) فى أول البيت
حيث قد تناسب مع (يراً ويسمع) فى عجزه ،
وأعتقد أن الهز فى هذا ليس مقصوداً على تيم
الرّباب كما فى اللسان ، بل يشمل المنطقة المجاورة
لها ومنها تميم ، وإذا علمنا أن الرّباب كانت
موصولة النسب بتميم ، وأن ديارها كانت على
كعب منها (٣) — صح ما استنبطته من أن
الهز شمل تيماً وتميماً ، ودليل آخر وهو أن الحجاز
يتركون الهز فى الأمر فيقولون : رَ ذلك ،
وللاتين : ربا ذلك ، وللجماعة : روا ذلك ،
وبنو تميم يهزون كل ذلك فيقولون : أرا ذلك
وارأيا (٤)

والقرآن الكريم نرى فى صفحته آثار تلك
اللهجات فى هذه الكلمة ، فقد ذكر أبو حيان
أنه نقل عن صاحب اللوامح « ألم ترأ كيف فعل
ربك بأصحاب الفيل (٥) » بسكون الراء على

(١) سر الصناعة ١ / ٨٧ ، شرح الشافية ٤ / ٣٢٣

(٢) دم قائل العرب ٢ / ٤١٥

(٣) سورة الفيل آية ١

(٤) اللسان ١٩ / ٥

(٥) اللسان ١٩ / ٥

(٦) البحر ٨ / ٥١٢

(٧) ٢ / ٢٧٣

(٨) ما يميز الشاعر فى ضرورة التنازل لوحه ٥٠

(٩) الأشموى ٤ / ٣٤٧ ، المنتصب ٢ / ٩٨٢

ثوتز وهو في قبائل شرق الجزيرة وتمثله شميم وجيرانها ، وهو يسكن في الهمز ، وأما قراءة العامة (أن رآه) فالنبر فيها نبر طول وهو في الحجاز .

٧ - عزى إلى هذيل أنها تبدل الواو المكسورة المصدرة همزة فيقولون : إشاح في معنى وشاح (١) ، الدة في ولدة (٢) ، قال الهذلي :

له لدة سفع الوجوه كأنما

يصفعهم وعك من الموم ما هن (٣)

كما يقولون : إعاء في وعاء (٤) وشاهده قول الأعمى :

هواء مثل بعلك مستमित

على ما في إعاءك كالخيال (٥)

وعلى لغة هذيل تلك قرأ ابن جبير قوله تعالى : ثم استخرجها من وعاء أخيه (٦) ، (إعاء) بإبدال الواو المكسورة همزة (٧) ، ولهذا أرجح أن الدكتور شوقي ضيف قد ألبس عليه حين قال : وكانت قبيلة هذيل تقول : وشاح ، بدلا من : إشاح (٨) ، ولكني أرجح العكس .

ولم يقتصر الأمر على الواو المكسورة بل وردت شواهد على إبدال الواو المضمومة همزة

في شعر معقل بن خويلد ومالك بن خالد الخناعني وهما من هذيل (٩) . ويرى ابن جني أن همز (وعاء) بالضم أقيس من همز المبكسور الواو ، على أنه يلاحظ أن قراءة (إعاء) ذكرها ابن جني في شواذ القراءات (١٠) .

٨ - وقرأ قوم (إسل بنى إسرائيل) البقرة ص ٢١١ وأصله : أسأل . وهي لهجة عبد القيس (١١) فنقل حركة الهمزة إلى السين وحذف الهمزة التي هي عين . ولم تحذف همزة الوصل ، لأنه لم يعتد بحركة السين لعروضها وفي هذه القراءة انتقل موقع النبر إلى المقطع الأول وقال صاحب التصريح (١٢) : ولم يحك ذلك أحد من البصريين ، على حين اعترف بها وحكاها لغة لهم الكسائي والفراء ، والتصريح على التوضيح ٤٠١/٢ ليس في كلام العرب لابن خالو ص ١٢ وهذا يؤكد أن رواية الكوفيين عن العرب قاعدتها أوسع ، ودائرتها أشمل .

٩ - ونعرض الآن لصيغة (مهموزة) أصابها التشويه في بنيتها حيث حرفت في المصادر المختلفة ونسبت لهجة لقبيلة هذيل .

فقد ورد في شعر أبي خراش الهذلي :

جمعت أمورا ينشد المرء بعضها

من الحلم والمعروف والحسب الضخم (١٣)

- | | | |
|---|---|--------------------------------|
| (١) الجهرة ١٦١/٢ | (٢) إبدال السكيت ٥٧ | (٣) ديوان هذيل ٤٩/٣ دار السكتب |
| (٤) عبث الوليد ١٨٣ دمشق | (٥) ديوان هذيل ٨٣/٢ | (٦) سورة يوسف آية ٧٦ |
| (٧) البحر المحيط سورة يوسف آية ٧٦ | (٨) تاريخ الأدب العربي ١١٤/١ ط أولى | (٩) ديوان الهذليين ٤٠٤/٣ |
| (١٠) المختص في شواذ القراءات ٣٤٨/١ ط المجلس الأعلى . والوعاء ما يحفظ فيه المتاع ويصان . | (١١) البحر ١٢٦/٢ ، ليس في كلام العرب ٦٨ | (١٢) (١٢) ٤٠١/٢ |
| (١٣) ديوان الهذليين ١٥٣/٢ | | |

وعقب الأشارح عليها قائلا :

الهنلى (١٣) وأبى العيال الهنلى (١٤)

المرء - لغتهم . وفى اللسان (١) ساق للبيت
السابق وضبطه (المرء) بكسر الميم وبالهزم ،
ثم عقب عليه ، هكذا رواه السكرى بكسر الميم
وزعم أن ذلك لغة هنلى (٢) ،

وأمام هذا التناقض قمت بإحصائية فى ديوان
هنلى متعقبا كلمة (المرء) فيه وهى :

أ - (المرء) وردت مرة واحدة من غير
همز وبالتشديد ، فى شعر أبى خراش الهنلى (٣)

ب - (المرء) وردت مرة واحدة فى شعر
أبى خراش فى الشاهد السابق ، بكسر الميم
وبالهزم .

ج - (المرء) ضبطت فى نسخة بكسر
الميم وفتحها مع الهمز (٤)

د - (المرء) وردت عشر مرات بفتح
الميم وبالهزم على المبع الفصيح فى شعر أسامة
ابن الحارث الهنلى (٥) ، والمتنخل الهنلى (٦) ،
والمعطل (٨) ، ومعتل بن خويلد (٩) وساعدة
ابن جؤبة (١٠) واللاءلم فى مكانين من
الديوان (١١) وأبى خراش (١٢) ، وأبى المنلم

ثم اتجه البحث إلى القرآن المعجز فى قراءاته
فوجد قراءة للحسن والزهرى : بين المرء وقلبه ،
من غير همز وبالتشديد (١٥) وقراءة للزهرى
وقتادة : بين المرء وزوجه ، (١٦) من غير همز
وبالتشديد (١٧)

ولكن ما الصلة التى بين الحسن والزهرى ،
وبين هنلى حتى تشمل قيهما لهجتها ؟ تفيدنا
كتب الطبقات أن ابن شهاب الزهرى ينسب إلى
زهرة بن كلاب وينتمى نسبها إلى قرش ، وهو
من حفاظ المدينة (١) ، وأما الحسن البصرى
فبعد لآى عثرت على رواية أعضاء لى معالم
البحث - فى تاج العروس (١) مفادها أن
الحسن قال يوما أمام جالسائه : « توضعيت ، بالياء
فقليل له : أتلحن يا أبا سعيد ؟ فقال : لأنها لغة
هنلى ، وفيهم نشأت .

وامام هذا التقضى أرجح :

(١) أن - المرء - بكسر الميم وبالهزمة
ليست لهجة هنلية ، لأنها جاءت فى ديوانهم فى
البيت نفسه من غير همز وبالتشديد ، وحين
جاءت فى غير الديوان بالهمز وكسر الميم (زعم

(٢) أنظر التاج (مرأ) والخزانة ٣١٩/٢

(٤) كتاب شرح أشعار الهنليين ٣٨٤/١

(٦) الديوان ١٧/٢

(٨) الديوان ٦٥ / ٣ هامش

(١١) ٢٥٠/٢

(١٣) الديوان ٢٥٣/٢

(١٥) البعز : ٤٨٢/٤ ، الخنوب : ٣٢٤/١ تيمور

(١٧) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ٨ ، الخنوب : ١٠٣/١

(١٩) ١٣٤/١

(١٨) سفة الصفرة : ٧٧/٢ وتذكرة الحفاظ : ١٠٢/١

(١) ١٥٠/١

(٣) ديوان الهنليين ٣٨٤/١

(٥) ديوان الهنليين ٢٠٢/٢

(٧) الديوان ٤٤/٣

(٩) الديوان ١٩١/١

(١٢) الديوان ٢٦/٢

(١٤) الأنفال : ٢٤

(١٦) البقرة : ١٠٢

الراوى أنها لغة هذيل (فالرواية لم تفارق منطقة الزعم والظن ، والظن لا يغنى عن الحق شيئا ، ومحال أيضا أن ينطق أبو خراش الهذلي بصورتين مختلفتين ، بالهمز وبدونه .

(ب) أن — المرء — بفتح الميم وبالهمز وهى الفصحى ، ليست لهجة هذيل أيضا ، لأن كتابة الديوان وقعت تحت تأثير الفصحى ، فصقلت وهذبت . كما نرجح أن هذا الخلط فى المواد اللهجية سببه أن هذه المواد اللهجية — حين عبرت التاريخ الطويل على أيدى الرواة — لم يكن السبيل إلى نقلها التلقى والمشافهة ، بل كان السبيل وحده هو التخمين والاجتهاد وتفاوت الذوق بين الرواة ، ولهذا أصيبت بالمسخ والخلط حتى أن ديوان القبيلة — وهو الأثر الباقي من ديوان القبائل — لم يسلم من هذا العبث وسبق أن أثار الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه اللهجات العربية (١) نقدا بناء حول هذا .

(ج) أن — المرء — من غير همز بالتشديد هى لهجة هذيل ، يؤيد هذا أن الحسن البصرى قرأها ، وقد أثبت أن الحسن البصرى نشأ فى ديار هذيل ، فانعكس على نطقه بعض لهجاتها .
(د) أن هذيل تقع فى منطقة الحجاز ، فالتأثير والتأثر ، والاختلاط والمطامع قائم بينهما ولهذا تلقفها عنهم ابن شهاب الزهري ، والمدنى الحجازي ، وكثيرا ما قرن القراء الحسن البصرى من أهل الحجاز فى عدم همز بعضهم الصيغ (٢) ويرى ابن جنى فى تحليله للهجة هذيل (المرء)

بتشديد الراء وعدم الهمز : « أن يكون أراد تخفيف المرء على قراءة الحسن وقتادة ، إلا أنه نوى الوقوف بعد التخفيف ، فصار (المرء) ثم ثقل للوقوف على قول من قال : هذا خالدة ، وهو يجعل ، ومررت بفرج ، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فأقر التشكيل بحاله ، كما جاء عنهم قوله .

ببازل وجناء أو عبيل
كأن مهوراها على السكالك

يريد : العبيل والسكالك وكبيت الكتاب :
(ضخمها يحب الخلق الاضخمها)

فيمى فتح الهمزة ، يريد الاضخم فتقل ثم أطلق ثم يقول ابن جنى : وفى هذا « شذوذان » أحدهما الثقيل فى الوقف ، والآخر لإجراء الوصل مجرى الوقف ، لأنه من باب ضرورة الشعر ، (٣)

فابن جنى رفض هذه القراءة وحملها على الشاذ لأنه وقع تحت سطوة القواعد ومعاييرها فحملها على الضرورة بدليل أنه خرج هذه القراءة التى مثلت لهجة هذيل على باب الشعر .

أما الحديث عن لهجة هذيل من الجانب الصوتى فيكاد ينحصر فى سقوط الهمزة وإلقاء حركتها على ما قبلها فينقل الزبر إلى المقطع الأول من الكلمة ويضعف الساكن السابق عليها وهذا الزبر فى الكلمة يرتوتر وهو فى هذيل كما أثبتنا .

١٠ — وفى قوله تعالى « تلك إذا قسمة ضيزى (٤) » يقول القراء فى « معاني القرآن » (٥) « والقراء جميعا لم يهزوا ضيزى ... » ثم يؤكد

(١) ٤٤ ط ٣ (٢) معاني القرآن للقراء : ٣٥٦/٢ (٣) الختص لابن جنى ١٠١/١ المجلس الأعلى .

(٤) سورة النجم ٢٧ ، معنى : جائزة أو منقوصة بخاتمة أو غير مستوية ، وجميعها متناثرة فى المعنى .

٣ - ما أنشد الأخنس :

فإن تنأ عنها تقتضيك وإن تغب
فسهمك مضووز وأنفك راغم (٥)

٤ - وما ورد في المخصص (٦) عن أبي زيد
أنه سمع رجلاً من (غنى) يقول هذه قسمة
ضئزى ، بالهمزة ، ولهذا تعجب من أبي حاتم
أيضاً حيث جاء عنه ، لا يجوز الهمز في ضئزى
لأنها إذا همزت صارت صفة ، وفعلي لا تكون
صفة ، ولو كانت مهموزة لكانت ضئزى ،
فأبو حاتم ينكر الهمز مع وروده في قراءة
سبعية ، كما أنه سمع من قبيلة عربية وهي (غنى)

أحمد علم الدين الجندی

ذلك مرة أخرى بقوله ، ولم يقرأ بها - أى
بالهمز - أحد نعلبه ، وعجبنا من الفراء ،
فقد جاء عن أبي حيان (١) وقرأ الجمهور ضئزى
من غير همز ، والظاهر أنه صفة على وزن فعلى
بضم الفاء ، كسرت لتصح الياء ، ويجوز أن
تكون مصدرًا على وزن فعلى كذكرى ووصف
به ، وفي الذئير (٢) أن ابن كثير قرأ ضئزى -
بالهمز ، ووجهه أنه مصدر كذكرى ، ويؤكد
ما جاء في الذئير :

١ - ما جاء في السبعة (٣) لابن مجاهد ،
حيث قرأ ابن كثير بالهمز .

٣ - ما ورد عن الكسائي من قوله ضاز
يضز ضئزى ، وضاز يضوز ضوزى ، وضاز
يضاز ضازاً (٤) .



(١) البحر المحیط ١٦٢/٨

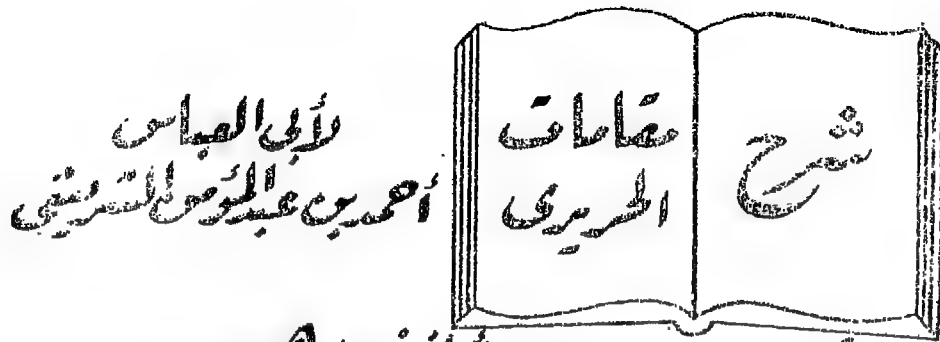
(٢) ٣٩٥/٢

(٣) كتاب السبعة ٦١٥
(٤) البحر ١٦٢/٨

(٥) ١٥٤/٨

(٦) ٢٠٩/١٢





تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم تصريف ونقد: الأستاذ محمد عبد القني حسن (١)

نقلها عن «نفح الطيب» المقرئ فهي كافية للتعريف بهذا الشارح الشاعر الأديب المتبحر الكثير الاستطراد، الذي كان قد رحل من الأندلس إلى المشرق، فزار الشام، وشغف بها، فلما رحل عنها قال أبياتا في التشوق إليها يقول فيها :

يا جيرة الشام : هل من نحر كم خبر ؟
فإن قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم ، فلا والله بعدكم
ما لذ للعين لا نـرم ، ولا سهر
إذا تذكرت أوقانا نأت ، ومضت
بقربكم كادت الأحشاء تنفطر
كأنني لم أكن « بالنيبين » ضحى
والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تفسد ، والأغصان راقصة
والدوح يطرب بالنصفيق ، والنهر

واقدم سبق لشرح المقامات للأديب أن نشر مطبوعا في بولاق سنة ١٣٠٠ هـ بتصحيح محمد الحسيني، وهي نسخة نفدت من زمان طبعها، وبات الباحثون والأدباء ينتظرون طبعة جديدة

بنا إلى أن نقول
هنا شيئا عن « مقامات

الجامعة

الحريري ، ، وابتداع فن المقامات في الأدب العربي، ومنشئ المقامات غير الحريري إلى عصرنا الحديث ، واهتمام المستشرقين بمقامات الحريري وترجمتهم لها ، أو شروحهم عليها ، بعد المقدمة الجلية التي صنعها الأستاذ المحقق الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم ، والتي استعان في معارفها - فيما يختص بعلماء الاستشراق - بما كتبه إليه المستشرق الباحث العلامة الدكتور أرنيست بانرت أستاذ اللغات الشرقية في جامعة فينا بالنمسا .

والحق أن الترجمة التي صنعها الأستاذ المحقق للحريري صاحب المقامات هي - على إيجازها - من أدق ما يكتب عن الرئيس أبي محمد القائم المعروف بالحريري ، كما أن الفصل عن شروح مقامات الحريري يعد من أوعى الفصول عن هذا الموضوع الذي لم يترك فيه المحقق مجالا لقاتل ، ولا سؤالا لسائل . أما الترجمة الوجيزة لأبي العباس التبريزي صاحب التشرح الذي نهض الأستاذ أبو الفضل بعن ، تحقيقه ونشره ، والتي

لهذا الشرح على أساس من التحقيق العلى الحديث، ومقابلات النسخ المخطوطة . فنهض الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم بهذا العبء - وهو كلف له، وقادر عليه، بما عودنا من تحقيقات دقيقة لكتب كثيرة - ورجع إلى النسخة المطبوعة في بولاق فجعلها من مصادر تحقيقه، كما رجع إلى نسخ خطية ثلاث أخرى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت أرقام مختلفة، بعضها كامل، وبعضها ناقص .

وعلى الرغم مما بذله المحقق الفاضل الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم من جهد في التحقيق، وقعت بعض أوهام في الضبط ووزن الشعر ورسمه وأسماء الأعلام ونسبة الشعر إلى أصحابه الحقيقية، نرى من الوفاء للعلم، والبر بالبحث أن نشير إليها هنا، وفاء لصاحبنا المحقق الفاضل، وإنصافاً للحق الذي عودنا دائماً أن يستمع له، ويصغى إليه . وبالله التوفيق :

• صفحة ٢ من مقدمة المحقق - السطر الثاني عشر، ورد اسم (الحجاج بن يوسف القضاى) من علماء الأندلس الذين وفدوا من المغرب على الحريرى وقرءوا عليه مقاماته . وفي الاسم وهم، وصوابه : (أبو الحجاج يوسف القضاى) كما ورد صحيحاً في كلام الشربش نفسه صفحة ٥ من الشرح .

• صفحة ٦ من مقدمة المحقق - السطر الأول أن بطل المقامات أبازيد لسروجى هو كنية لرجل حقيقى اسمه « المطهر بن سلام » بالميم في آخره . وفي هامش صفحة ٢٧ من الشرح نفسه

أن اسمه « المطهر بن سلام » بالراء في آخره . والذي نعرفه أن هذا الاسم ورد في الجزء الثالث من (أنباء الرواة) للقطبى الذى حققه الأستاذ أبو الفضل هكذا : المطهر بن سلام ، بالراء في آخره ص ٢٧٦ . ولما ترجم له صدقنا العلامة الكبير المرحوم خير الدين الزركلى في «الأعلام» جملة بالراء كذلك ، وقال في الهامش : (سلام كسكتان ، كلمة أعجمية ، أطلقها : سلام ، بزيادة الألف ، وهى بالفارسية الرئيس المقدم ، ثم حذفت وشددت اللام) ومن هنا يتضح أن إيرادها بالميم في ص ٦ من مقدمة التحقيق وهم لا سند له .

• صفحة ٨٧ - ذكر المحقق أن الأبيات التى أنشدها أبو على :

لا تفخرن بلحية كثرت مناقبها طويلا
يهوى تفرقها الربا ح كأنها ذنب الحسيلة
قد يدرك الشرف الفقى يوما ، ولحيته قليلة

هى في «الاسان» من غير نسبة إلى صاحبها، وفات المحقق الفاضل أن يذكر هنا أنها في صفحة ٢٨٢ من «الامالى» لأبى على القالى منسوبة إلى أبى العتاهية .

• صفحة ٩٦ - السطر الخامس ، ورد البيت الآتى من شعر البحترى هكذا :

حملت عليه السيف، وعطفك ما انثنى
ولا يدك ارتدت ، ولا حده نبا
وصدر البيت مضطرب مكسور الوزن
وضوابه كما في ديوان البحترى :

إلى تاء المتكلم خطأ ، وصوابه : بعثت بإسكان التاء - وهى تاء التأنيث لا تاء المتكلم . ومن حسن الحظ أن المحقق الفاضل قد صوبها في جدول الأخطاء الملحق بذي الكتاب ، وهو جدول ناقص ، فقد فات الأستاذ أبا الفضل تصويب أوهام أخرى كثيرة .

* صفحة ١٢٢ - السطر الثامن عشر ، ورد البيت الآتي هكذا :

بداهته مثل تفكيره

مضى تلقه فهو مستجقع
بالقاف في الكلمة الأخيرة من البيت ،
والصواب أنها : مستجمع ، بالميم .

* صفحة ١٢٦ - الهامش ، وردت هذه العبارة : (لم يرد البيتان في ديوان المطبوع)
والصواب : (في ديوانه المطبوع) .

* صفحة ١٣٩ - السطر الثالث ، ورد في متن الشارح هذه النسبة : (ولابن الجد) ، ولم يذكر لنا المحقق شيئاً عن « ابن الجد » هذا مع حرصه على التعريف الوجيز ببعض المغمورين كما صنع في ص ١٢٤ - مثلاً - حين عرفنا « ابن لبال » وهو أحد شراح مقامات الحريري . أما ابن الجد فهو من أهل الأندلس . وانظر بعض أخباره في « المغرب » ج ١ ص ٣٤١ ، وفي « الصلة » لابن بشكوال ص ٥١٤ ، وفي ديوان ظافر الحداد ص ١٣

* صفحة ١٥٤ - السطر الثامن عشر ، وردت هذه العبارة : (فوالله ما علمته إلا ضيق الطعن)

حملت عليه السيف ، لا عطفك انثنى
ولا يدك ارتدت ، ولا حده نبا

* صفحة ١٠٠ - السطر الخامس عشر ،
ورد البيت الآتي مضبوطاً بالشكل هكذا :

وتبسم عن لؤا كالوليع

تشقق عنه الرقاة الجفوف

وتشديد السين المهملة ، وكسر الميم من الفعل : تبسم ، خطأ وصوابه :

وتبسم بكسر السين ، وضم الميم . والواقع أن ضبط المحقق لها بتشديد السين يوهم أن اللفظة مصدر ، مع أنها فعل مضارع .

* صفحة ١٠٩ - السطر الخامس : ورد البيت الآتي مرسوماً هكذا :

وأحسن ما في الوجوه العيو

ن وأشبه شيء بها النرجس

وهذا الرسم ، يجعل نون العيون في الشطر الثاني ، يخالف الوزن ويكسره . وحق النون أن تكون في آخر الشطر الأول ، لأن البيت من البحر المتقارب ، وهذا الرسم يكسره .

* صفحة ١١٨ - السطر الأول ، ورد البيت الآتي هكذا :

بعثت إليه بعذره

من خاطري أو في السرور

لا تعذله فأتما

أهدى الحدود إلى الثغور

وضبط التاء من الفعل « بعثت » ، وإسناده

* صفحة ٢٦١ — الهامش ، علق المحقق الفاضل
على البيت الآتي :

وعزمة بعثتها همة زحل
من تحتها بمكان التراب من زحل

بقوله : (لم أجده — يعني هذا البيت —
في ديوانه — يعني ديوان أبي الطيب كما ذكره
الشارح الشريشي — كما لم أجده في شعر أبي طالب
المتنبي الأندلسي ، فيما أورده ابن بسام في
الذخيرة ، وعلى بن سعيد في المغرب ...) ،
وأقول : لا داعي لهذا العناء والبحث في كتب
الأدب الأندلسي عن قائل هذا البيت ، فإنه من
شعر أبي الطيب المتنبي — كما قال الشريشي — وهو
مثبت في كل طبقات ديوانه ، وهو من قصيدة
المتنبي التي مطلعها :

* أعلى الممالك ما يفتي على الأسفل *

وانظر ديوان المتنبي شرح عبد الرحمن
البرقوق ج٢ ص ٢٨ ، وانظر أيضا مختارات
البارودي ، ج٢ ص ٣٧

* صفحة ٢٧٩ — السطر العاشر ، ورد
البيتان الآتيان :

إذا لم يعنك الله فيما تريد
فليس لخلق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك
ضلت ، ولو أن السماك دليل

منسويين لأبي نواس ، بالنون والواو ، وهو
خطأ مطبعي — لا خطأ من الشريشي — شارح

وهو خطأ صوابه : (العطن) أي الصدر ، بتقديم
العين المهملة على الطاء المهملة .

* صفحة ١٩٦ — السطر الأخير ، ورد البيت
الآتي من شعر ابن لبّال هكذا :

كأنني — والعصا تدب معي —

قوسها ، وهي في يدي وتر

وعجز البيت مكسور مختل الوزن لأن به
نقصا لم يصححه المحقق ، وصوابه :

كأنني — والعصا تدب معي —

قوس لها ، وهي في يدي وتر

* صفحة ٢٤٠ — السطر السادس عشر ، ورد
اسم « عريف القرواني » ، الراء ، وصوابه : عوف
بالواو . وهو عوف بن معاوية بن عقبة ، وكان
شاعرا من أشرف قومه ، وطارت شهرته في
الدولة الأموية بالشام ، وخاصة بمدائحه في
الوليد بن عبد الملك ، وأخيه سليمان ، وعمر
ابن عبد العزيز ، وتوفي في نحو سنة مائة
من الهجرة .

* صفحة ٢٥٦ — السطر السابع عشر ، ورد
البيت الآتي لبعض الشعراء من ثلاثة أبيات ،
مضبوطا بالشكل الآتي :

وحلة كساهما كالخلى في التهايه
فاستبطنت مديحا كالأرى في نصابه
فراح في ثيابه ورحت في ثيابه

بضبط لفظه (كالخلى) في البيت الأول
بتشديد الياء ، وهو خطأ به ينكسر الوزن ،
والصواب : كالخلى ، بفتح الحاء ، وسكون اللام ،

الانصاري شاعر الرسول عليه السلام هكذا :

إن يأخذ الله من عيني نورهما
ففي لساني وقلبي - منهما نور
قلب ذكي ، وعقل غير ذي دخل
وفي قلبي صبارم كالسيف مأثور

والسطر الأخير من البيتين مكسور ، وخطأ
في الرواية ، وصوابه كما في ديوان حسان
ابن ثابت صفحة ١٢٨ ، شرح محمد الجناني :

قلب ذكي ، وعقل غير ذي دخل
وفي فمي صبارم كالسيف مأثور

ومع رجوع المحقق الفاضل إلى ديوان حسان
ص ١٦ للتأكد من الرواية ومن وجود الشعر ،
فإنه قد حرف النص ، ولم يقومه فبدلاً على
غير أصله .

* صفحة ٣٠٤ - السطر الثاني عشر ،
ورد البيت الآتي مضبوطاً بالشكل هكذا :

كأنه لون خدي حين تدفعني
كف الرشيد ، لأمري وجب الغسلا

بإسكان السين المهملة من كلمة الغسل ،
والصواب تحريكها بالضم ، لأن البيت قبلها
الذي نظمت جارية الرشيد ، على غرارته هو :

كأنه خد معشوق يقبله
فم الخبيب ، وقد أبق به خجلاً

وتحريك السين هنا في لفظة « الغسل » هو
إحدى الضرورات الشعرية التي لا يلجأ إليها
المحققون من الشعراء .

المقامات - وصوابه : لأبي فراس ، بالفاء والراء ،
وهو أبو فراس الحمداني المشهور ، والبيتان في
ديوانه ص ١٥١ .

* صفحة ٢٨٢ - السطر الثامن عشر ،
وردت لفظة « إباله » في البيت الآتي مضبوطة
بالشكل بتشديد الباء هكذا :

في نكل يوم من ذواله
ضغث يزيد على إباله

والصواب هنا : إباله ، بفتح الباء من غير
تشديد . فهي : الإباله بالتشديد ، والإباله
بالتخفيف ، والأبيل ، والأبيلة . ويجب أن
تكون في البيت مخففة ليستقيم الوزن ، فإن
ضبطها بلغة التشديد يكسر الوزن . ومن حسن
الحظ أن المحقق الفاضل تنبه لهذا الوهم فصوبه
في جدول الخطأ والصواب بآخر الكتاب .

* صفحة ٢٨٣ - السطر الخامس ، وردت
هذه العبارة هكذا : وقال ذو الرمة في الخمر :

رمى فأخطأ ، والأقدار غالبة

فانصعن ، والويل هجراه والحرب

بأنجم الخاء من كلمة « الخمر » - كأنها
الشراب المسكر - والصواب : الخاء المهملة بغير
نقل ، وهي : الخمر ، جمع حمار ، الحيوان
المعروف انظر الشواخ للدكتور محمد صبري
ص ٣٤ .

* صفحة ٢٨٨ - السطر التاسع ، ورد
البيتان الآتيان المرويان لحسان بن ثابت

إذا لم أجد في بلدة ما أريده
فعندي لأخرى عزمة وركاب

منسوباً إلى الشاعر أبي الطيب المتنبي .
وقد وهم الشريشي شارح المقامات في هذه النسبة .
والحق أن البيت لأبي فراس الحمداني ، وليس
لأبي الطيب . وكان واجبا على المحقق الفاضل
أن يصحح هذا الوهم . ولكن يبدو أنه اطمأن
إلى الشريشي ووثق به في النسبة فأوقعه فيما وقع
هو نفسه فيه ...

وهذا البيت هو من القصيدة البائية لأبي
فراس التي مطلعها :

أما الجليل عندكن ثواب ولا مسمى عندكن متاب
* صفحة ٢٦٥ — السطر السادس ، وردت
لفظة « السجن » في البيت الآتي :

وأزور السجن لولا حاكم الاسكندرية
مجرورة بالكسرة ، والصواب نصبها بالفتحة .
وهي من أوهام الطبع ، ولم تصحح في ذيل
الكتاب .

* صفحة ٣٦٩ — هامش الصفحة . ورد
فعل : « يستبسلها » بسين وسين ، كأنه من
البسالة والاستبسال . وهو وهم مطبعي ،
والصواب : « يستبيل » أي يأخذ بول الإبل بيده .

* صفحة ٣٨٥ — بالهامش . جاء أن هجاء
ابن أبي نعيم القاضى يحيى بن أكرم هو في ديوانه
— يعني ديوان ابن أبي نعيم ... فمن ابن أبي نعيم
هذا ؟ وأين ديوانه الذي يذكر المحقق الفاضل
أن هجاء القاضى يحيى بن أكرم في جزئه الثاني

* صفحة ٣٢٤ — السطر السادس عشر ،
ورد بيتان نسبهما المحقق الفاضل وهما إلى جرير
الشاعر . وعلق المحقق عليهما بقوله : (لم يرد
البيت — ان في ديوانه) يعني ديوان جرير .
والبيتان هما :

كأنما خلقت كفاه من حجر
فليس بين يديه والندی عمل

يرى التميمي في بر ، وفي بحر
مخافة أن يرى في كفه بلل !

وبالطبع لن يجد المحقق الفاضل هذين البيتين
في ديوان جرير ، وله ظل يبحث عنهما إلى أبد
الآبدن ! فالبيتان للشاعر « حزين الدؤل » ، وليسا
لشاعر جرير . وقد ورد البيتان منسوبين إلى
قائلهما الصحيح : الحزين ، أو حزين الدؤل ،
أو الديلي ، في « المؤتلف والمختلف » للآمدي
ص ٨٨ ، ٨٩ . أما ورودهما في الأمالى ، وفي
شرحه للبكري ، وفي شرح المقامات للشريشي
منسوبين إلى جرير — أو الجرير — الدؤل فهو
وهم تنبه إليه العلامة المحقق الكبير عبد العزيز
الميمنى أستاذ العربية بجامعة عليكرة بالهند ،
وصححه في « سمط اللآلى » ص ١٩٤ من طبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة
١٩٣٦ . والشاعر « الحزين الديلي » من شعراء
العصر الأموي ، وكان هجاء خبيث لآلسان
يتكسب بالاستطالة على الناس بأهاجيه .

* صفحة ٣٤٢ — السطر السادس . ورد
البيت الآتي :

ص ٣٠٢ ؟ وكنت أرجو أن يقف المحقق الفاضل
وقفة قصيرة عند التهم الشنيعة التي اتهم بها القاضي
ابن أكرم لعله يدفعها عنه أو يخفف من غلوائها،
كما فعل في تحقيقه لكتاب « ثمار القلوب » للشعابي
حين ذكر في هامش صفحة ١٥٨ أن ابن خلدون
في المقدمة قد فند ما نسب إلى يحيى بن أكرم من
اللوواط الذي اشتهر به حتى صار يقال في الإضافات
المشهورة : « لوواط يحيى بن أكرم » . وفي الجزء
الثاني من « طبقات الحنابلة » دفاع كريم عن هذا
القاضي الذكي المتقدم في الفقه وأدب القضاة ،
والذي اتصل بالمأمون العباسي ، فولاه منصب
قاضي القضاة ، وأمر بالاحتجاب عنه ليلا
ولا نهارا ، وأفضى إليه بأسراره ، وشاوره
حتى في خاص أمره ...

* صفحة ٢٨٦ — السطر الحادي عشر ،
ورد البيت الآتي هكذا :

وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا
فأعقبناه بعد الرجاء قنوط

زيادة هام في آخر الفعل : فأعقبنا . وهي
زيادة لا محل لها ، فوق أنها تكسر وزن البيت ،
والصواب حذفها ، فيصبح البيت هكذا :

وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا
فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

* صفحة ٤٠٣ — السطر العاشر ، ورد
البيت الآتي من شعر ابن خفاجة الأندلسي الذي
يعرف أيضا بالحنفاجي ، هكذا :

كم دمع عين فيك قد أجرته

وقلب صب فيك قد طارا
وصدر البيت مكسور لزيادة لفظ فيه ،
وهو (قد) ؛ وهي زيادة لا أدري إن كانت
من النسخ أم من المحقق ، أم من الطابع . ولكن
المحقق - على كل حال - لم يصححها ، والصواب
حذف : قد ، ليصبح البيت هكذا :

كم دمع عين فيك أجرته
وقلب صب فيك قد طارا

وواضح بالطبع أن « قد » تحذف من
الصدر ، ولكنها تبقى في العجز ، والبيت من
بحر السريع .

* صفحة ٤٠٤ — السطر الرابع ، ورد
البيت الآتي من شعر العباس بن الاحنف في طيب
رائحة الفم ، هكذا :

وتذكرت بالفتح منك سوالفا

وبالراح طعما من مقبلك العذب
وواضح أن الصدر مكسور ، لزيادة « الواء »
على الفعل : تذكرت . وهي زيادة لا محل لها .
ولعلمها من أوهام الطبع ، ولكنها لم تصحح في
نبت التصويبات بآخر الكتاب .

* صفحة ٤٠٤ — السطر الحادي عشر ،
وردت الايات الآتية من شعر أحمد بن محمد
الفساني هكذا :

له مبسم برقه خاطف
عقول الرجال إذا ما ابسم

بأفراد كلمة الرأس ، . والبيت على هذا
مكسوز الوزن ، وصوابه الرؤوس بصيغة الجمع
لا المفرد . وبذا يصير البيت هكذا :

كأن بناتها أقلام عاج
مرصعة الرؤوس بآبنوس

* صفحة ٤٠٧ - السطر الثاني عشر ،
ورد البيت التالي من شعر ابن لبّال القاضي هكذا :

فقلت ولم تكذب خشيت سقوطه
وأومت إلىّ فيها فنظمتة ثغرا

بتشديد الياء من لفظة رلى) - كأنها إلى
الداخله على ياء المتكلم ، وهو خطأ صوابه إلى ،
مجردة وجارّة لكلمة : فيها ، بمعنى فيها .

* صفحة ٤١٠ - السطر الثالث عشر ،
ورد البيت الآتي من شعر المعتمد بن عباد
الاندلسي مضبوطا بالشكل هكذا :

أخضر في أبيض تبدى
ذلك آسى ، وذا بهارى

بتنوين الراء من كلمة د أخضر ، وكان
المحقق الفاضل قاسه على تنوين الضاد من كلمة
د أبيض ، في الشطر نفسه . والصحيح أن
د أخضر ، هنا تمنع من الصرف ، د وأبيض ،
تصرف ، ليستقيم الوزن . وهذا الشعر من
وزن مخلع البسيط كما هو معلوم .

* صفحة ٤١١ - السطر الثالث ، ورد
البيت التالي من شعر أبى بكر البلوى هكذا :

أقول له إذ بدا دره
شهدنا لصانع به بالحكم

أرى الدر يشق به الناظمون
وما ثقبوا إذا فكيف انتظم ؟

وواضح أن الشطر الأخير من الأبيات
الثلاثة مختل الوزن ، مختل المعنى . لأن كلمة
« إذا » لا معنى لها هنا ، والصواب : (ذا)
بدون همزة ، أى هذا التى هى اسم اشارة . وبذا
يصبح البيت الأخير هكذا :

أرى الدر يشق به الناظمون
وما ثقبوا ذا فكيف انتظم ؟

* صفحة ٤٠٦ - السطر الرابع ، ورد
البيت الاول من شعر عكاشة بن عبد الصمد
هكذا :

سقى لمنزلنا الذى كابه
يوم الخميس عشية أصحابا

وجلى أن (كابه) لا معنى لها ، وأنها
تحريف مطبوع لم يصححه في ثبوت التصويب ،
وصوابه : كنا به وبذا يصبح البيت هكذا :

سقى لمنزلنا الذى كنا به
يوم الخميس عشية أصحابا

* صفحة ٤٠٦ - السطر الحادى عشر ،
ورد البيت الآتي من شعر بعض الشعراء هكذا :

كأن بناتها أقلام عاج
مرصعة الرأس بآبنوس

انظر إلى ميت ولكنه

خلو من الأكفان والغاسل

بتشديد الياء من كلمة : « ميت » كما هو
الأصل في هذه اللفظة ، والصواب تخفيفها
على وزن كَـفـَـل ، كبيت ، فيصير الضبط هكذا :

انظر إلى ميت ، ولكنه

خلو من الأكفان والغاسل

وهذا الشعر من بحر السريع .

* صفحة ٤١ - السطر الأخير من
المتن ، ورد البيت الآتي من شعر علي بن بسام
في أخيه جعفر مضبوطاً بالشكل هكذا :

أيامٌ وجهك مصقول عوارضه

وللرياض على خديك أنوار

بما يؤهم أن « أيام » مبتدأ ، وخبرها :
مصقول . وهذا وهم كبير . والصواب أن
« أيام » منصوبة على الظرفية الزمانية ، وأن
« وجهك » مبتدأ ، خبره مصقول .

صفحة ٤١٤ - السطر الخامس ، ورد
البيت الآتي من شعر أبي تمام هكذا :

قال الوشاة : بدا في الخلد عارضه

فقلت : لا تنكروا وما ذاك عائبه

زيادة « و » على ما النافية في السطر الثاني ،
والصواب حذفها ليصير البيت موزوناً هكذا :

قال الوشاة : بدا في الخلد عارضه

فقلت : لا تنكروا ما ذاك عائبه

* صفحة ٤٢٢ - السطر الرابع عشر ،
ورد البيت الآتي من شعر بعض الشعراء هكذا :
أمسك سهام اللحظ أو فارمها
أنت بما ترى مصاب معنى

وواضح أن الفعل « ترى » في السطر الثاني

لا معنى له ، وصوابه : ترمى . وبهذا يصبح
البيت هكذا :

أمسك سهام اللحظ أو فارمها

أنت بما ترمى مصاب معنى

* صفحة ٤٢٥ - السطر الذي قبل الأخير ،
وردت العبارة الآتية هكذا : (فعبر لي أني أرزق
علما غزيرا كعزة الكبريت الاحمر ...) ولا معنى
هنا للعلم الغزير ، من الغزارة بمعنى الكثرة .
ولكنه العلم العزيز - بالعين المهملة والواو -
من العزة بمعنى : الندرة ، كما يوحى به قوله :
كعزة الكبريت الاحمر ، الذي يضرب به المثل
في الندرة ...

* صفحة ٤٢٦ - السطر الثاني ، ورد
البيت الآتي هكذا :

تراه وشيكا شكساً إسته

كلوما جناها عليه فمه

ولا معنى لقوله : شكساً إسته ، والصواب : شكاً استه
* صفحة ٤٢٢ - السطر الثالث ، ورد
البيتان الآتيان من شعر أبي العباس القريري
مضبوطين بالشكل هكذا :

كان ألا قرأ تحت دجى

فانجلى الليل ، وإلاح القمر

أو كزهر في كأم كامن

شققت عنه قتم الزهر

بإسكان راء الروى في القمر ، والزهر ،
والصواب تحريكها بالضمة ، والشعر من بحر الرمل
كما هو واضح .

وبالله التوفيق ؟

القاهرة

محمد عبد الغنى حسن



فى الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس ٩ من صفر سنة ١٢٩٥ هـ (الموافق ٢٠ من فبراير سنة ١٩٧٥) أقام المجمع حفل استقبال أعضائه الجدد ، وهم السادة : الاستاذ بدر الدين أبو غازى ، والدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتور محمود مختار . وفيما يلى ما ألقى فى هذا الحفل .

كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مذكور ، رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

زملائي :

سيداى :

سادى :

يسعدنا أن نستقبل اليوم ثلاثة من شيوخ العلم والفن ، وهم السادة :

الاستاذ بدر الدين أبو غازى .

الدكتور محمد يوسف حسن .

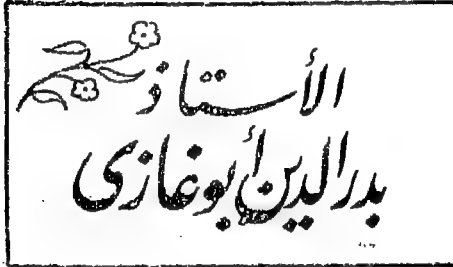
الدكتور محمود مختار .

وليس من بينهم أحد غريب عن المجمع ، فقد أعطوه من قبل وأجزلوا له العطاء ، ونحن نشكرهم على جزيل عطائهم ونرحب باتنائهم إلى المجمع ، كما أننا على يقين أنهم سيسهمون معنا فيما نضطلع به من أعباء ، ونعول التمويل كله على جهودهم وإسهامهم بعلمهم وكفائتهم فى تحقيق رسالة المجمع .

وباسم المجمع يستقبل الدكتور محمد مهدى علام الاستاذ بدر الدين أبو غازى ، ويستقبل الدكتور عيد الجليم منتصر كلا من الدكتور محمد يوسف حسن ، والدكتور محمود مختار .

والكلمة الآن للدكتور محمد مهدى علام :

كلمة الدكتور محمد مهدي علام في استقبال :



وهكذا يواصل تدفقه في طريقه بكل ما جمع من عناصر الخير التي تبعث في الثقافة الحياة والرفاهية ، وفي اللغة النماء والازدهار .

ومن خصائص هذا المجمع خصيصة يرجع بعضها إلى التخطيط السليم ، كما يرجع بعضها إلى تلقائية رائعة . ذلك أن أعضاء هذه الهيئة الموقرة يجمع العضو منهم بين نشاطين أو أكثر من أنشطة المعرفة - بل لا أتردد أن أقول - في بعض الأحيان - من أنشطة التخصص الدقيق . ثم يحولها كلها إلى خدمة اللغة .

وهذه الحقيقة ماثلة في أذهاننا منذ عرفنا المجمع ، ولكن نبهني إليها في لحظة واعية كتب زميلنا الجديد ، الأستاذ بدر الدين أبو غازي ، الذي أسعد باستقباله اليوم باسمكم ، أيها الزملاء ؛ فإن الثقل الثقافات الرفيعة في هذه الكتب - ثقافة الفن ، وثقافة الأدب ، وثقافة القانون والاقتصاد - قد أخطرت بذهني تلك الصور الرائعة في حياة هذا المجمع : الصور التي جمعت بين القانون والأدب في عبد الحميد بدوي ، وعلى بدوي ، وعلى الخفيف ، ومصطفى القلبي ، ومصطفى مرعي . والتي جمعت بين الشعر والتاريخ والنقد في عباس العقاد ، والملازمي .

كان من تقاليد القبيلة العربية أن تحتفل بظهور شاعر فيها ، وكانت تعد ذلك يوما عظيما من أيامها . وهذا المجمع - وهو سليل القبائل العربية ، وحامل لواء لغتها - يحتفل كذلك بيوم استقبال عضو جديد فيه . فهو تقليد يمد في حياة المجمع ، ويبقى له نعمة الوجود . فمع أن الأعضاء المؤسسين لهذا المجمع قد رحلوا جميعا إلى جوار ربهم ، وتبعهم أفواج بعدهم ، مازال المجمع بحمد الله باقيا ، يحمل عنهم الأمانة ، ويؤدي الرسالة .

إن نهر النيل ليس فيه نقطة ماء بما كان يجره منذ عام واحد ، وهو مع ذلك نهر النيل الفيض بالخيرات .

وأمر هذا المجمع عجيب حقا ، فإن أعضائه مهما اختلفت مناج ثقافتهم ، وتعددت دروب نشاطهم في الحياة ، يلتقون آخر الأمر عند المريعة لإخلاصها في حبها ، وبذلا في خدمتها . وأعود فأرى هذا المجمع مرة أخرى أشبه بنهر عظيم ، يتدفق من منبعه ، ويسير في مجراه سيرا وثيدا أو حثيثا ، ولكن مجراه لا تنقطع عنه المياه . فهناك هذه الروافد التي تمد بمياهها ، التي قد تختلف لوناً أو طعماً أو كثافة ، ولكنها ما إن تنساب إلى هذا المجرى العظيم حتى تصبح جزءاً منه .

والموضع الذى يضعه فيه إلى جوار غيره من الألوان في لوحته .

فلا عدت أسأل نفسى عن هدف هذه القراءة رأيتنى أنقل منها أقل القليل في عبارة أو عبارتين أقدم بهما أسلوب هذا الفنان الأديب، حين يقول مثلاً عن وحى الشعوب الفنية في الفن التشكيلي :

« في الفنون الشعبية معين لا ينضب للآداب والفنون القومية ، فهي تبهها بنفسيج يؤكد أصالتها ، ويمنحها نبضاً وطابعها الخاص . فرور الزمن لا يذهب بها ، وتوافد التيارات لا يطمسها ؛ ففرقتها السحرى دساس ينساب في وجدان الشعب ، وتشوارته الأجيال .

« والفنون الشعبية دائماً صنو الحياة ، لبداعها هو جزء من ممارسة الناس لحياتهم ، لاعزلة ولا انفصال بين الفن والحياة . ومن هنا سر صدقها الخاص ، وقدرتها على الاستمرار والإلهام .

« لقد كانت هذه الفنون مصدر إلهام للآداب والفن في عصور وبلاد مختلفة . ومن فيضها تتحقق ثراء في التعبير والرؤى ، وتشكلت للآداب والفنون القومية سماتها .

[الفن فى عالمنا ٥٧]

وحين يتكلم عن الحياة الفنية فى مصر ، يشير إلى الخلفية التاريخية لنشأة هذه الفنون بقوله :

وبين الفلسفة والآداب فى لطفى السيد وإبراهيم مذكور . وبين علم النفس والآداب فى زكى المهندس ، وعبد الحميد حسن ، وإبراهيم اللبان ، ومحمد خلف الله أحمد . وبين الطب واللغة والآداب فى أحمد عمار ، ومحمد سليمان . وبين الهندسة واللغة فى الشرباصى والمرداش .

ولعل قد تجاوزت حدود اللياقة حين شرعت أمثل مجرد تمثيل ، معتمداً على الذاكرة ، وما قصدت استقصاء . وأنا أستأذنكم أن تنسوا كل من ذكرت ، حتى لا يكون هنا غمط لمن لم أذكرهم . فلننس كل ذلك ، ولنكتف بمثال واحد ، نقره جميعاً ، لأن العالم قد أقره ، وهو الدكتور محمد كامل حسين ، صاحب الجائزتين ، وفارس الحلبتين .

وعندما شرفنى المجمع بأن أنوب عنه فى استقبال زميلنا الجديد ، الأستاذ بدر الدين أبو غازى ، أحسست بعظم التكليف ، فما كان لى أن أتعجل الأمر فى كلمة ستظل محفوظة فى سجل المجمع ، تسبق العضو إلى عضويته ، وتعبير عن رأى المجمع على لسان من أحسن الطن بقدرته على حمل هذه الأمانة .

لذلك شرعت أقرأ كتب الأستاذ أبو غازى ، لأزداد معرفة به . ولكن هذه الكتب استغرقت انتباهي ، فلم أفطن إلى الهدف من قراءتها إلا بعد أن استمتعت بما فيها من تاريخ الفن بأسلوب الأديب الذى يحسن اختيار لفظه ، وتحديد موضعه فى بناء الجملة ، بنفس المقاييس التى يختار بها الفنان اللون الذى يريد أن يستعمله ،

ومشاهد مما يحيط بالفنان من مرنيات تجيش
بحرارة الحياة .

[جيل من الرواد ص ١٠ - ١١]

إن صاحب هذا القلم هو زميلنا الجديد ،
بدر الدين أبو غازى ، الذى ولد فى القاهرة فى
سنة ١٩٢٠ لآب من رجال التعليم وأم ذات
ثقافة أدبية ، وهى التى تعهدته بعد وفاة والده
- وهو فى السادسة من عمره - فأناحت له القراءة
فما كانت تقتنيه من كتب وصحف .

وقد ظهر أثر ذلك على قلبه فيما كان يكتب
فى المدرسة ، فأثار إعجاب أساتذته وتشجيعهم .
ولم يخيب الفتى المتأدب أملهم . فقد بعث - وهو
فى مرحلة التعليم الثانوى - باكورة إنتاجه الأدبى
مقالا إلى جريدة « الأهرام » عن الزعيم الوطنى
« محمد فريد » فذثرتة الجريدة فى صفحتها الأولى
فى نوفمبر سنة ١٩٢٦ .

وقد شعر الطائر بجناحيه يحملانه فى سماء
الأدب ، فخلق بها منذ ذلك التاريخ .

وكان القدر قد عوضه عن فقد والده ، خلا
عظما ، هو الفنان المثال محمود مختار ، فتولى
رعايته إلى جانب والدته . وقد اجتمع له الآن
إلى جانب ميله الأدبى ميل جديد إلى عالم الفنون .

ومع ذلك فإن دراسته الجامعية لم تتجه به إلى
أى من الميدانين : ميدان الأدب أو ميدان
الفنون ، بل سارت به فى ميدان القانون .

واستطاع الأديب الفنان أن يحقق مصالحة
بين هذين الاتجاهين ، والدراسات القانونية .

« على امتداد الأفق التاريخى تلوح مصر
وعاصمتها القاهرة فى تطلعها الثقافى واحتضانها
للفنون ، مركزا من المراكز التى صنعت الحضارة
فى عصور مختلفة .

« يسكنى أن نمد البصر إلى تاريخ القاهرة
الإسلامية ، لنرى الفن صنوا للحياة فيها ،
وعنصراً من أبرز عناصر حضارتها . كان
الفن أداة من أدوات الحياة يمتد إلى كل عنصر
من عناصرها ، من الإناء إلى البناء ، ومن حلى
الزينة إلى محاريب المساجد وشبابيكها ، ومن
قطع النسيج الصغيرة إلى واجهات المباني الضخمة .
« وكانت القاهرة فى مواكبها وأعيادها
تستخدم كل عبقريتها فى التفنن . يطالعنا القرينى
فى خططه بملامح من بهاء الحياة الاجتماعية فيها
ومن ارتقاء الذوق العام .

« ألم تحظ القاهرة منذ ستة قرون بمـالم
تحظ به باريس إلا منذ سنوات قليلة ، حين أمر
الحكام بطلاء مبانيها باللون الأبيض ، فبدت
وضاءة تزيها الألوان المتألقة فى أسواق النسيج
والنحاس ومحلات الفاكهة والزهور .

« ألم تعرف القاهرة العصر الوسيط ما تـمـع
القاهرة المعاصرة الآن إلى بلوغه ، من تجميل
واجهات المباني العامة بروائع الفنون . ويحدثنا
الاستاذ جاستون فييت فى كتابه الرائع (القاهرة
مدنية الفن والتجارة) عن المنشآت العمرانية فى
العصر المملوكى ، ويقدم وصفاً رائعاً لمستشفى
قلاوون وروعة بنائه ، وجمال تأثيثه ، وما حفل
به البيمارستان القديم من أفاريز زينت جدرانه
بمنظر الصيد والرقص ومجالس الطرب والموسيقى ،

فوكيلا لوزارة الخزانة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٠ .

وفي سنة ١٩٧٠ عين وزيرا للثقافة ، فكان ذلك إرھاصا لغلبة الفن والأدب على أرتام الميزانية وجداول الضرائب .

وقد دفع ضريبة لهذه الثقافة المتمتعة دنواحي التخصصية، عضريته لكثير من الهيئات التي ساهم فيها بالرأى والمشورة ، كالمجلس الأعلى للأزھر ، والمجلس الأعلى لدار الكتب ، والآثار . وعهد إليه برياسة لجنة توحيد المصطلحات المالية في جامعة الدول العربية .

وكان أوفر نشاط ثقافي فعال له ، في لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . وفي هذه اللجنة أشرف على إعداد مصطلحات الفنون التشكيلية باللغة العربية . وهو رئيس لجمعية محبي الفنون الجميلة ، وعضو في مجالس عدد من الكليات والمعاهد الفنية والأدبية .

أما السكتب التي صدرت له ، والتي سعت بقراءتها في خلال الأسبوعين الماضيين فمن :

١ - محمود سعيد : التراث والعصر من حياته حول فنه .

٢ - جيل من الرواد : تناول فيه التاريخ لسبعة من رواد الفنون الجميلة في مصر .

٣ - الفن في عالمنا : بحث فيه علاقة الفن بالمتجمع ، وعلاقة الفن بالنقد ، وعلاقة الفن بالأدب .

٤ - من محيط الفنون : تكلم فيه عن

وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٤١ وشامت الظروف أن يبدأ حياته العملية في مجال التشريعات الضريبية والمالية ، فتولى شئون السكتب الفني للضرائب بوزارة المالية ، ثم شئون التشريعات المالية بصفه عامة .

وأوفد في بعثات دراسية إلى إنجلترا وفرنسا لدراسة نظم الضرائب .

ولم تشغله الأرقام ولا مواد القوانين عن ميوله الأدبية والفنية . ففي سنة ١٩٤٩ أصدر كتابه الأول « مختار : حياته وفنه » وهو محاولة ناجحة في أدب التراجم ، مع لمحات ذكية في الدراسات النقدية .

وقد ترجم هذا السكتاب إلى الفرنسية ، ونال جائزة « واصف غالي » : مصر - فرنسا ، في باريس .

وواصل الاستاذ أبو غازي كتاباته في النقد الفني ، في الصحف والمجلات ، وأهمها : الأهرام ومجلة الفصول ، والأخبار ، ومجلات دار الهلال ، وروز اليوسف ، ومجلة المجلة ، والفكر المعاصر ، وعالم الفكر .

وظلت قائمة بمحلاته التي عقدها بين ميله ونشاطه في الفن والأدب ، وعمله بين الأرقام ومواد القوانين . فكان يمارس النشاطين في إخلاص وحسن أداء :

مديرا عاما لمكتب وزير الخزانة من ١٩٥٨ حتى ١٩٦١ .

فديرا عاما للتشريع المسالى من ١٩٦١ حتى ١٩٦٤ .

مصر» في سنة ١٩٢٠ أى منذ ٥٥ سنة بتلك
القصيدة التي كان مطلعها :
إن في التصوير للناس هدى
وبيانا دونه كل بيان :

رقعة فيها خطوط ربما
أغنت الأقوام عن ذرب اللسان،
ولرب اليوم تمثال لنا
يقرأ التاريخ فيه كل فاني .

يارعى الله أبا الهول ومن
أودعوه السرفى جوف الزمان !
ليه يا مختار قد أيقظته
بعد أن قد كان رمزا للتواني .

..... الخ الح
وقد تفضل عقب تلك المحادثة التليفونية
فأحضر لى نسخة من ذلك الكتاب ، فضمتها
إلى ما أيقاه البوليس السياسى من إنتاج
ثورة ١٩١٩ .

وليس لى من تعليق على ما نشرته « الأهرام »
منذ ٥٥ سنة إلا أن أشكر على أنها « عينتى »
أستاذنا فى كليتى قبل تخرجى منها بعامين .

وبعد فإذا كانت خمس وخمسون سنة تفصل
بين استقبالى لخالك العظيم ، واستقبالى لك
اليوم ، فإن خمس سنوات فقط تفصل بين أول
استقبال لك فى هذا الجمع يوم زمرته وأنت وزير
للثقافة ، ويوم استقبالك الآن عضوا عاملا فيه .

لقد قلت فى سنة ١٩٧٠ فى تواضعك وأنت
وزير تشرف على هذا الجمع : « أشعر أننى
تلميذ بين أساتذة عظام » . واليوم تقدم أياها
الزميل فاجلس بين زملاء كرام .

عصر العباقرة فى أوروبا فى القرن السادس عشر
والسابع عشر ، والثامن عشر ، وتكلم فى الفصل
الآخر عن الفن المهرى الحديث فى النصف
الأول من القرن العشرين .

٥ - مختار : حياته وفنه ، وهو كتابه الأول
عن خاله الفنان العظيم ، صدر فى سنة ١٩٤٩ فى
١٦٠ صفحة .

٦ - المثل مختار : وهو كتابه الثانى عن
خاله فى ٢٥٠ صفحة وقد صدر فى سنة ١٩٦٤ .

ولم يطلعنى الأستاذ أبو غازى على هذا
الكتاب إلا منذ أربعة أيام ، حين كان يحدثنى
عما جاء فى ذلك الكتاب عن الحفلة التى أقيمت
لتكريم مختار بنادى القاهرة ونشرت خبرها
جريدة الأهرام فى الثانى والعشرين من شهر
أغسطس سنة ١٩٦٠ ؛ فقال لى - على أسلاك
التليفون - إن وصف هذه الحفلة يذكر من
خطبائها : أحمد حشمت باشا ، والدكتور
منصور فهمى ، والفنانان محمد حسن ، ومحمود
خيرت ، والشيخ مهدى علام الأستاذ بمدرسة
المعلمين العليا الذى ألقى قصيدة عصماء جاء بها ...
(وذكرت الجريدة بعض أبيات القصيدة) .

وسألنى الأستاذ بدر الدين : أهذا من قبيل
تشابه الأسماء ؟ فقلت له - وقد تذكرت كل شئ :
إن هذا الشيخ مهدى علام ، هو مهدى علام
الذى يسعده أن يستقبلك فى سنة ١٩٧٥ كما
استقبل خالك العظيم محمود مختار عند عودته
من باريس عقب عرضه لتمثاله العظيم « نهضة

... كلمة الاستاذ بدر الدين أبو غازي

السيد الرئيس — السادة الاعضاء :

سيداتي — سادتي :

هل تستطيع كلماتي أن تعبر لكم عن شكرى وعرفانى ، فإن اختياركم لى شرف عظيم أعتز به ، ومن الذى لا يشعر بالاعتزاز بل بالزهو حين يرتقى إلى قمة الخالدين .

وهل أستطيع أن أفى الاستاذ الكبير الدكتور محمد مهدى علام حقه من الشكر على استقباله لى هذا الاستقبال الكريم .

وبعد فقد داخلنى شعور بالتهيب وأنا على أهبة الاستعداد لهذا اللقاء .

غير أن اجتماع الاسباب أذهب عني القلق والتهيب .

وتلك هى سنة الحياة ، يكمن فيها سر من أسرار حفظها وبقائها ... يواجهنا الخطب الصغير فيستبد بنا الجزع وحين تتجمع الخطوب نحشد لها قوائنا ونستبدل بضعفنا قوة لمواجهةها .

ولنى لاواجه أمرا عظيما .

فأنا أخلف أدبيا من أدباء القمة ورجلا جاد بكل فضله وترك فى حياتنا الثقافية أثرا أكبر من أن أبلغه ، والتقاليد الجمعية تقضى بأن أحديثكم عن سلفى العظيم محمود تيمور ، وقد استقبله فى المجمع عميد الأدب العربى ، فأين

كلماتى من روائعه ، فى استقبال أهل الفكر والفن وفى رئاستهم .

وتولى تأبين تيمور نيابة عرا المجمع الاستاذ الجليل محمد خلف الله أحمد فكانت كلمته بجنأ جامعا مانعا كما يقول أهل القانون .

ولم يكن لى من الوقت فسحة للطواف حول عالم تيمور وبلوغ أعماقه .

سادتي :

سأحدثكم عن محمود تيمور من رؤية جيل آخر تفصله عن جيله قرابة ربع قرن جادت فيه مصر بعطاء عظيم . فمن أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين كان ميلاد نوع جديد من العبقرية والنبوغ ... جادت الارض بالموسيقى والمثال والقصاص ورجل المسرح والمصور بعد أن أنجبت من قبل الشعراء ورجال الفكر والقانون والطب والعلم وكأنها بذلك كانت تمهد لبزوغ عصر الفنون .

وما أن بدأنا خطانا حتى رأينا هذ الحشد العبقرى يشع علينا بسحر الفن ووضاعة الفكر فأدركنا معنى النهضة .

ومن حق جيلى أن يعتز بهذا الحظ العظيم . ولى أنا بين هذا الجيل أن أعتز حين أجلس مكان رائد من رواد تلك النهضة .

وإن هذه الخلافة الجمعية التي تربط بين
الذاهب والقادم برابط وثيق لتستدعى إلى
خاطري ذكرى وشائج قديمة وصلتي
بالتيموريين .

من عائشة التيمورية بدأت صلاتي بهم .
تابعت سيرتها من خلال فصول نشرتها الأدبية
من في مجلة المقتطف ، فأعجبت بشاعرة أشرقت
في عصر الحجاب وترنمت بشعر رقيق تتردد
فيه أنفاس من شاعرنا المصري البهاء زهير
وانتابني الأمل لفجيعتها في المنفى ومحتتها
في بصرها .

وعرفت محمد تيمور من صورته ومن
سيرته . . . عرفت فيه فتى موفور الثراء والجمال
والشباب ، يعيش في باريس ويحرق كلية الحقوق
إلى مسرح الاوديون ويندج في أجواء الأدب
والفن ، ويعود بعد ذلك ليقيم لمصر أدباً
مسرحياً وقصصياً ويحل في لوحات فنية رائعة
« مآثر العيون » ثم يتصدى لكتابة تاريخ
مصر والنيل ، بروية فنان . . . ولعل الفصل
الوحيد الذي نشره من كتابه في صحينة « السفور »
كان تمهيداً لهذا الأسلوب الذي في تناول التاريخ
الذي اكتملت صورته بعد سنوات في كتاب
« سندباد مصري » .

وعلى « الاطلال » كان لقائي بمحمود تيمور .
رواية جمعت صدق الوصف لبيئة من
بيئات مصر ، ولون من ألوان مجتمعا قبل
الحرب العالمية الأولى وصورت حياة قى في هذه
البيئة وحلات جوانب الصراع في نفسه .

وإذا كانت أيام طه حسين قد بهرتنا بوصفها
الرائع لحياة صبي في الريف وصراعه مع القدر
والظروف ، وكانت عودة الروح توفيقاً
رائعاً في تصوير حياة بيت من الطبقة الوسطى
في إطار ثورة سنة ١٩١٩ فإن اطلال تيمور
تمثل بصدق قطاعاً من قطاعات المجتمع غابت
عنا ملاحظه .

غير أن الاطلال توارت وراء صرح كبير
من أدب تيمور رغم مالها في أدبنا المعاصر من
قيمة تاريخية وفنية .

وتابعت كتابات تيمور حين كان القصص
ميدان سبقة وصدارته ، وشاظرته على البعد
حزنه على وحيدته وهزتي كلماته في وداع
الراجلين .

وكنت ألح به يقصد في ساعات العاصري
مشرب « لوك » مع جماعة من أهل الأدب ،
وعرفت من جيلي شباباً بدأ يطرق ميدان القصة
ويتلمس عنده النصيح والمشورة فكان بهم حفيوا
يلقاهم في مجاسه ويسدى إليهم رأيه وفضله بل
كان حريصاً على أن يصلهم بأدبه ويبعث إليهم
بما يصدره من مؤلفات مصحوبة بعبارات
التشجيع والود .

كان جيلي يعترف بالأبوة له ولجليه من
الرواد ويتطلع إليهم في إكبار ويسعد برؤياهم
ولو من بعيد .

وعرفت بعد ذلك تيمور عن قرب واتصلت
بيننا المودة فعظم حبي له وتقديرى .

ومؤلفه دراسات ، أعطى الادب العربي من كل ذلك الكثير .

غير أن عالم تيمور عالم متراعى الابعاد يرجع إلى أكثر من نصف قرن من الزمان .

وقد لا يتسع المجال لطواف بهذا العالم الرحب الفسيح .

حسبى إذن إطلاقة عليه من منظور فنى .

لقد ظهر تيمور فى عصر كان من سماته بزوغ الفن .. تلاقى فيه النحت مع التصوير والمسرح مع الموسيقى . . . وكان اتصال تيمور بعالم هذه الفنون وثيقا .

ولإذا كانت كتابته لم تتسع للفنون التشكيلية كما اتسعت لها كتابات العقاد والمازنى وتأملات توفيق الحكيم ولحات يحيى حتى إلا أن أدبه كان قريبا من التشكيل ، فهو من أدباء الصورة الذين سجلت أفلامهم « ألواح قصصية » وفقا لتعبيره .

شاطر فنانى جيله التطلع إلى البحث عن شخصية مصر والتعبير عنها من خلال عالم الريف وأفراد الشعب الذين يضطربون فى المدينة . . . وتبدت « الصبغة المحلية الزاهية » ، والملسكة التصويرية فى قصص مرسلاته الأولى كما تبدت فى لوحات الفنانين التشكيليين . « الشيخ جمعة » له نظيره عند المصور محمود سعيد تلاقى مصادر وحدهما وظروف اتصالهما بدنيا الفلاحين . . . والمعلم عوف مجلد الكتب فى قصة السحيم بنظراته الخفيفة ووجه « كقطعة من الفحم الملتب

وتجلت لى صورة حياته وخصائص نفسه مرتسمة فى إشارات ابن سيدنا :

« العارف هـش بش بسام يبجل الصغير من تواضعه مثلما يبجل الكبير وينبسط من الخامل مثلما ينبسط من النبيل » ، وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق وبكل شيء فإنه يرى فيه الحق ، وكيف لا يسوى والجميع عنده سواسية . »

وهو أيضا مثل العارف عند ابن سيدنا صفاح لأن نفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر ، كسواء الأعماد لأن ذكره مشغول بالحق .

واقف عرفت تيمور بأشأ الأب بعد أن عرفت البنين قدرت جهده العظيم فى استقصاء معالم فن التصوير عند العرب الذى فتح الطريق لبحوث كثيرة فى هذا الميدان ونقبت فى مختاراته من كنوز اللغة والفن والادب التى وصفها العقاد « بأنها » متحف واسع من مادة « تاريخ الحضارة » ، وتابعت فى إكبار عطاءه الذى ليس له فى حياتنا الثقافية نظير .

تلك هى خطوط صورة محمود تيمور ومحيط أسرته التى صيغ منها نسيجه فلا تكتمل رؤياه بمعزل عن هذه الأسرة التى أسهمت فى تشكيله .

أما أثر محمود تيمور فهو فيما تفوق به على أسرته وأضافه إلى تراثها الكبير .

ويتمثل هذا قبل كل شيء فى دوره كرائد من رواد القصة العربية وكاتب روائى ومسرحى

السخرية والدعابة ، بين جو الملهاء وجو المأساة
هذه الوحدة من خلال التنوع ، واكتسب أسلوبه
قوة تعبيرية وقدرة على الإيحاء بأوصافه الحسية
التي تفصح في لمحات صغيرة عن شتى الانفعالات .

وانفسح له عالم المرئيات فأصبح « المنظر
الطبيعي » من اهتماماته كما كان من محاور الفن
التشكيلي في تلك الحقبة .

ومن خلال هذه الرؤية قدم صورا لمصر
الريف ومصر المدينة . . . للبادية وللجبل . . .
واكتسب أدبه من خلال الرحلات بعداً آخر .
واستوحى تيمور تاريخ الفراعنة وأجداد
العرب كما طوف بعالم الاساطير ثم امتد بمسكاته
إلى المسرح .

هدفه في كل ما أبدع من أدب هو الفن .

أليس هو القائل في رسالة إلى المازني :

« الأدب ليس له عندي غير اسم واحد هو
الأدب بمعناه الواسع وليس له إلا هدف واحد
هو الفن ، وغاية الفن عنده هي « الكشف عن
الجمال وتسجيل مظاهره وتذوق فتنه ... ولما
كان الفن غايته الحب ، فالفن إذن يرمى دائماً
إلى الخير » .

تلك هي عباراته في مقدمة « الوثبة
الأولى » ... ومنها يبين أن الفن عنده هو الحب
والخير والجمال .

تطورت القصة بعد تيمور وشقت مسارب
جديدة ورغم تساؤله في أخريات حياته وبعد
كل ما أعطى « هل أصبحت قصصياً حقاً ؟ » . .

تمتد منها ألسنة النار ، يستدعى إلينا أشباهاه
في فنون التشكيل ، بل إن تيمور يبدو وكأنه
يحمل مرقم مصور يسجل به ملامح الأشخاص ،
وتلتقي صرورة الربف والاحياء الشعبية في
فنه مع بعض صور ناجي ويوسف كامل
وراعب عباد .

فيه ما فيهم من جنوح إلى الواقعية في
مرحلة وجنوح إلى الانحلال أحيانا حتى بلغ معهم
ذلك التركيب القوي الزاخر بقوة التعبير .

كانت مصر تبدو في ألواح الفنانين
المستشرقين بلدا صحراويا يظله النخيل وتخطر
على أرضه الجمال ، وبيوتا تزخر بالطنافس
وتتأرجع بعقيق البخور . . . وكانت مصر في
الأدب وصفا مسجوعا براقا لا يشاكل الواقع
إلا لما وبقدرة يسير فأخذ رواد الفن والأدب
في عصر تيمور يبحثون عن وجه مصر ،
يحدوهم الصدق وهو جرهر الفكر والفن والحياة
ومضى تيمور معهم يقدم قصصا مصرية ولكنه
عرف بعد تجاربه الأولى . أن القصة روح قبل
أن تكون مظهرا ، وفكرة قبل أن تكون
حادثا ، وأن روح القصة الحى وفكرتها
الصحيحة يجب أن تكون قبسا من الإنسانية
التي إليها مرد الفن الرفيع في شتى صورته من
أغان وموسيقى ورسم وتمثيل . . . هكذا قال -
ونحو هذه الأهداف مضى حتى « استوى عناصر
القصصى المصرى الصميم » .

وتوالى أعمال تيمور ، وظل الأشخاص
محور الصورة في أدبه . الشخصيات المريضة .
والشخصيات السوية ، وحقق بالجمع بين روح

« فعلينا إذن أن نذكر في أرجاء البيئات المثقفة نزعة التجديد اللغوي ، طلبا للإفصاح وتنسكبا عن العجمة والوطانة التي كانت وليدة الأحداث والمناسبات » .

وكان المجمع قد أمسك فترة عن ألفاظ الحضارة ، أمسك « على مضض » أو أمسك « إلى حين » كما قال ، ومع مقدمه سرى في ألفاظ الحضارة نشاط عظيم ، فقد أعطاه من جهده ودأبه الكثير ، وأخذ يترصد للكلمات حيث تكون ثم يجرى عليها اختياره فيؤثر ما يؤثر ويعرضها في مؤتمرات مجمعه ، وفي أعقاب محاضراته .

سار تيمور على نهج اختطه لطفي السيد لجنة ألفاظ الحضارة التي نشأت من توجيه أستاذ الجيل ، فنأدى بأن يكون هناك معجمان أحدهما معجم اللغة لإثبات ما استقر من الكلام ، وذلك هو ديوان العربية وسجل ألفاظها كما قال .

والآخر معجم الحضارة لعرض ما نجم وما ينجم من جديد الألفاظ والتعبيرات أو للتعويض عن مصطلحات أجنبية طارئة وهذا المعجم الحضاري لا ينتقل من الألفاظ إلى المعجم اللغوي إلا ما تأصل التعبير عن معناه بين كثرة الناطقين وأن يكون حقيقا بالتسجيل والإثبات » .

وفي عام ١٩٦١ صدر معجم تيمور شاملا لحصاد جهده مسبقا بكلمات تفيض بتواضعه الجليل إذ يقول « لم يكن لي عمل في كثير من هذه الكلمات إلا أني أرصدت له بعض الوقت » .

فإنه سيبقى دائما من البنائين الأوائل لهذا الصرح الشاخر في أدبنا الحديث .

وسيبقى تيمور دائما بفضل الريادة مهما اختلفت أساليب هذا الفن وتطورت . ولعل فصل الخطاب في ذلك ما وجهه إليه طه حسين يوم استقبله له :

« إذا ذهب أحد ، ذهبك ، وجاء أحد فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع أن يتفوق عليك لأنك فتحت له الباب ، ومهدت له الطريق ، ويسرت له السعي ، وأتحت له أن ينتج وأن يمتاز وأن يتفوق » .

* * *

تبقى بعد هذا صورة أخرى لمحمود تيمور لا بد أن أتوقف عندها .. تلك هي صورة المجمع العظيم الذي ما زال شاخصا بيننا بأثره وجهده وحضوره الصامت .

لقد اقترن اسم تيمور في المجمع بألفاظ الحضارة وانسمع إليه في جلسة استقبلته يفصح عن منهجه في هذا الميدان : « إنه في غير مستطاع المجمع اللغوي أن يصنع الألفاظ صنعا ، أو أن يفرضها على المدلولات فرضا ، وإنما الذي يصنع أو يفرض هو البيئة المثقفة وحدها ، فالكتاب والعلماء والدارسون في كل فن ومنحى هم الذين يستوحدون ضرورة الاستعمال ، ويستلهمون ذوق التعبير ، وعلى المجمع بعد ذلك أن يستصفي ما يتلقاه من لغة المجتمع ، وأن يطبعه بطابع التأيد والإقرار » .

هذا التعبير صيغة مبالغية أدل على الإبداع والإشياء من مجرد نسبة الفن إلى الفن كما تنسب المصنوعات ، وهو أيضا قد سك مسميات لكثير من المذاهب الغريبة الحديثة وشاركه المازني في هذا المضمار حين كان يكتب في نقد الفنون التشكيلية .

ولكن في نفسى محبة للذين تراجع عنهم الضوء أو لم يأخذوا حقهم من التقدير .

لا أستطيع أن أغفل جهود هيئات وجامع وأفراد في صياغة مصطلحات الفنون ولكني أود أن أشير إلى جهد اثنين غابا عنا وإن حملا رسالة المجمع من بعيد :

فزاد مرابط المعلم الأول لتاريخ الفنون في مصر وقد خاض تجربة وضع مصطلحات الفنون باللغة العربية .

ويشر فارس الذي استطاع بامتلاكه ناصية اللغة وثقافة الفنون أن يتفنن ويتأنق في صياغة مصطلحات لها .

ولقد اختص تيمور الفنون في مجمعه ببعض مصطلحات... ولكن الطريق طويل... وعلينا أن نشرق قبل أن نغرب وأن نلتمس للفن لغته في كنوز الأقدمين .

وإذا كانت كتب طبقات المصورين قد أتت عليها سنوات الشدة العظمى والغزوات التي اجتاحت الوطن العربي ولم يبلغنا منها إلا خبر كتاب « أنيس الجلاس وضوء النبراس في أخبار المزيقيين من الناس » الذي ذكره المقرئ غير

فتلقفته من هنا وهناك حفيبا به آملا أن يجمع محله من النظر والتمحيص .

وهو بعد ذلك ينسب الفضل إلى غيره فيقول هذا « حصاد الناس » وتلك « ثمارهم » .

وحقيقة الأمر أن هذا العمل الكبير قد استأثر به واستنفد معظم طاقاته وكان ذلك لخير اللغة أكثر مما كان لخير فنه .

ولقد ظل محمود تيمور يتابع هذا الجهد بحماس، وغاب عنا وما زالت ألفاظ الحضارة في عزز إليه .

ورغم أن حركة التعريب ماضية على نهجها بإيقاع العصر وتطوره في مجالات العلوم والفنون فإن لغة الفن التي وجه إليها تيمور جانبا من جهده ما زالت تتطلب الكثير .

اللغة والفن هما أبرز عناصر الوجود القومي .

وقد تحقق لنا منذ بزوغ عصر الفنون تراث ضخم ينبيء عنا ويدل علينا ولكن لغة الكلمات ليست طبيعة لتفسير روائع هذه الفنون ، وزاد الأمر عسرا تدافع المذاهب الحديثة في الغرب وظهور أشكال فنية جديدة فاستعصى على كلماتنا أحيانا التعبير عن عالم الأشكال وتعثر توحيد المصطلحات رغم جهود ومحاولات .

لقد ساهم كتاب عصر النهضة منذ العقاد في صياغة تعبيرات للغة الفنون فهو الذي أكد استخدام كلمة « الفنان » في لغتنا بعد أن كان الشائع كلمة « الفن » أو « المتفنن » إذ رأى في

في كلماته تصوير وتقدير لدور المجامع
ومكانتها من خلال صورة أكاديمية فرنسا في
عنده المؤسسة الوحيدة التي ظلت منذ ثلاثة
قرون لا تحيد عن دستورها وأهدافها ومع ذلك
استطاعت أن تبقى متجددة الشباب .

هي التي صانت اللغة من مفهوم خاطيء
للحرية فيه مفسدة لها .

ويكفي أن معجمها المتطور مازال حكا
بين النحاة .

وأن رجالها من أهل اللغة وأهل الفنون
وال تخصصات الأخرى يحققون بوفائهم لقضية
الكلمة مأثرة عظيمة هي إغناء اللغة الفرنسية .

وتطلع موروا إلى مبنى الأكاديمية الجليل على
ضفة نهر زاخر بالتاريخ وأشار إلى مافي مراسمها
وتقاليدها من قيم جمالية تنبئ عن دلائل عراقها .
وبجمعنا الجليل على النهج يسير حافظا ومجددا
في إطار التقاليد .

وسيكون له بتوفيق الله على شاطئ نهر
الحضارات مبنى يتفق مع مايرمز إليه من معنى
الخلود .

ولعله يجمع في طرازه وزخارفه ويستكمل
في مظاهره ومراسمه قيا فنيه ثلاثم عراقة اللغة
وقيمها ليتفق المبنى مع المعنى ويلتقي الجمال مع
الجلال .

أيها السادة .

سلام الله يرعاكم ويظل خطاكم ، ومنه أسأل
التوفيق ، وإليك أتمج بالشكر العميق .

أننا نستطيع أن نجد عند ابن جبير وابن دقاق
وابن عربي والتوحيدى وعبد القاهر مناهل
نستقي منها تعبيرا عربيا عن لغة الاشكال .

إن في تراثنا من كتب التاريخ والرحلات
ونظريات الجمال وأسرار البلاغة وفي دواوين
الشعر منابع فياضة لأدب الفنون التشكيلية .

• • •

وبعد فقد أثار محمود تيمور في نفسى هذه
الخواطر وحرك هذه الأشجان .

وإن روحه السمحة لتسعد بذكر من سبقه
هو الذى كان يرد الفضل للآخرين .

لقد بقيت لنا منه تلك المودة الصادقة والأثر
الذى لا يبدد إنه انتصار الحياة على الموت بحضور
الراحلين الصامت وصحبهم لنا وما ذلك بالقليل .

ولكن علينا نحن الذين نعرف فضله أن
نسعى إلى تخليد ذكره ... فإن محمود تيمور
الذى كان يعطى ويجود في هدوء حفاً به الصمت
الذى كان من صفات حياته ، ولم ينل بعد
ما يستحقه من تكريم .

أيها السادة :

بقيت كلمة أخيرة أقولها وأنا على عتبات
بجمعنا العظيم .

لانى أراه بعد أكثر من أربعين عاما من
حياته متجدد الشباب ، زاخراً بالطاقات مبدعاً
بالوعود حافلاً بالمهابة والجلال .

وتحضرنى كلمات قالها منذ سنوات الكاتب
الكبير أندري موروا عضو الأكاديمية الفرنسية
عندما سئل عن جدوى الأكاديمية .

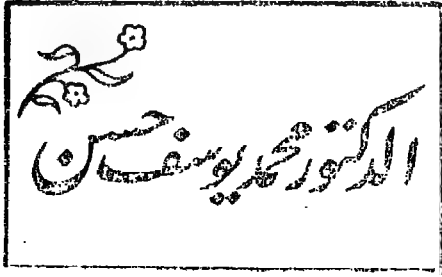
• • • كلمة الدكتور عبد الحليم مشتمر

السيد رئيس الجمع

السادة الزملاء أعضاء الجمع الموقر

سيداتي وسادتي

العربية الذواقة المعطاء ، حفاظا على تنشئة الاجيال الصاعدة على حبها ، لينيدوها ثراء بمصطلحات العلوم والفنون مسيرة للعصر دون الانتقاص من ثروتها اللفظية وتاريخها المجيد ، وكذلك بالإضافة إلى تهيئة البيئة الصالحة لرعاية هذا الغراس .



أما الدكتور محمد يوسف حسن فهو طنطاوي من مواليد أخريات العقد الثاني من القرن الحالي . ورث حب الأدب عن أبيه وحفظ نحو نصف القرآن الكريم وهو بعد طفل لم يغادر الكتاب ، وأعجب بكتاب كلية ودمته حفظ أغلبه في أثناء دراسته الابتدائية . منحت الصدقة الأولى بعد صدقة المولد التي لا فضل له فيها ولا يستطيع أحد أن يدل على جهده في صدقة الميلاد - إنها الصدقة الموروثة منذ أجيال وأحقاب ، لا يد لنا فيها ، ولا فضل لنا بها ، ولا خيار لنا في أمرها .

يقول الدكتور محمد يوسف : إن شخصية

إني لسعيد حقا أن أستقبل باسم الجمع زميلين كريمين شامت الصدقة السعيدة أن يعشقا اللغة العربية إلى جانب تخصصهما في العلوم الطبيعية التي نحن بأشد الحاجة إلى ملاحقة مصطلحاتها ، ترجمة ، وتعبيرا ، وتعريفا . وكانت تلك الصدقة أن يتلذذ كل منهما في صغره وصباه على أستاذ للغة العربية ، يجيد العزف على قيثارتها الشجية ، ويحسن اختيار الأمثلة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وخطب البلغاء والفصحاء من رجالات العرب وأشعار عمالقة الشعر قديمه وحديثه . ومن هنا نبتين أهمية الدور الذي يلعبه مدرس اللغة العربية حين يجب تلاميذه في اللغة . ولا ينفرهم منها بالإصرار على تحقيقات نحوها وصرافها ، والتعمق في التخریجات والتأويلات والتقديرات ، دون الاكتفاء بالتزام الصواب ، ودون الطواف بمفاتها الأدبية الساحرة والتعرف إلى أزهيرها النضرة في حدائقها الغناء فنحن جميعاً من غراس هذا المدرس المفن الذي استطاع أن يحب إلينا قطفها الدانية ، وأن يقصينا عن متاهاتها ودروبها . ومن هنا تكون الدعوة إلى العناية الفائقة بتخريج مدرس اللغة

وصرفته سنو الدراسة في كلية العلوم عن
هوايته الحبيبة وهي الادب ؛ فغلب العلوم ثقيل
وواجباتها ومختبراتها ومجاهرها وأجهزتها مما
يستغرق وقت الطالب وجهده ، إلا أن الصدفة
الثالثة في حياته أن يهجم بأستاذ الجيولوجيا ، وأن
يصاحبه في الرحلات إلى الصحارى والجبال حيث
المناظر الطبيعية الخلابة ، فأعطته هذه الرحلات
شحنة قوية من حب الطبيعة ، وغذت خياله
الادبي إلى جانب تنمية موهبته في الرسم .

استهواه في كلية العلوم أستاذ روسي في
الجيولوجيا هو الأستاذ « زادانسكي » فقد كان
أستاذاً بارعاً استهواه أسلوباً وتعبيراً في وصف
الحفريات فكان جيولوجياً . واستهواه فيما
يقول أستاذ آخر يحاضر في علم النبات بلغة عربية
سليمة ، فحمد الله أنه لم يبعد عن الجو العربي واللغة
العربية الجميلة ، وكانت كلية العلوم في ذلك العهد
تموج أماسيها بمحاضرات ومناظرات من جيل
العمالقة ، من أمثال لطفى السيد وطه حسين وعلى
مشرفة والعقاد وحسين هيكل وغيرهم من الرواد
كنا ندعوهم لأماسى غاية في الروعة والبهاء
يسمحون عقولنا بسحر بيانهم ، وسامى آدابهم
وفصيح لغتهم العربية ، فيحاضرون ويجادلون
وينظرون في جو لعله بعكاز أشبه ، فتمسح هذه
الأماسى الجميلة عناء المجاهر والمخابر وأبحر المعامل
وغازات المرافد .

وتتتابع الصدف الجميلة في حياة صاحبنا فيلق
أبا حنيد مرة أخرى في الجمع ، حين عمل خبيراً
به منذ ست عشرة سنة ، ويتذكر أن مجلة المدرسة

الاستاذ على الخرجى مدرس اللغة العربية سحرته
إلقاء وبياناً ، وقد نصحه بأن يقرأ كتاب الايام
لأستاذنا الدكتور طه حسين ، فكانت صداقة وحباً
بين التلميذ وأستاذه ، ثم بين التلميذ وأستاذنا الكبير
رحمات الله عليه ، مما حبه في اللغة العربية شعراً
ونثراً وقصصاً وأدباً ، وحقق له الحصول على
أول جائزة وهو بعد في الثالثة الابتدائية لحصوله
على أعلى درجة في اللغة العربية ، وكأما كانت
هذه الجائزة هي الحافز الدؤوب لمتابع السير
على الدرب ، لتكون جائزته الثانية هي استقباله
اليوم عضواً عاملاً بجمع اللغة العربية وحفاوتها
به اليوم ، مما جعله يقرر ألا يترك الجمع إذا أجبر
على المفاضلة بين عملي الجمع والجامعة . ثم كانت
الصدفة الثانية التي زادت في حبه للغة العربية
وهوايته للادب العربي حين أريد له أن يلتحق
بمدرسة ثانوية قاهرية فكانت القبة الثانوية
وكان وكيلها أستاذنا المرحوم محمد فريد أبو حديد
الذى سمع عن شغف الطالب باللغة العربية وإجادته
لها ، فاستدعاه إلى مكتبه وهناك على ما سمع عنه من
ثناء من الأستاذ الشاذلى أستاذه في اللغة العربية
وكلفه الإشراف على مجلة المدرسة . ومضت الايام
ليعود إلى طنطا ويحال بينه وبين دخول القسم
الادبي ، فيضطر إلى دخول القسم العلوى امتثالاً
لأمر العائلة ، التي تريده طبيباً لا أدبياً . وعادت
الازمة مرة أخرى عندما أصر على الالتحاق
بكلية الآداب فاعتصم في حجرته وأضرب عن
الطعام . مصرأ على عدم الالتحاق بكلية الطب ،
وأخيراً كان الحل الوسط هو الالتحاق بكلية
العلوم هرباً من الطب والآداب معا .

لجنة خبراء العلوم بالمجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، وعضو الجمعية الجيولوجية البريطانية والجمعية الجيولوجية المصرية، وأمين الجمعية المصرية لتاريخ العلوم، وعضو الأكاديمية المصرية للعلوم. وله عشرات البحوث المتكررة في علم طبقات الأرض وعلم الحفريات وعلم الجيولوجيا الاقتصادية، شملت بحوثه مناطق شتى من صحارى مصر وليبيا، وفي أصقاع شبه جزيرة جرينلاند، وله مؤلفات في مستوى التعليم الجامعى في الجيولوجيا وبخاصة في علم الحفريات باللغة العربية ولقى كتاباه : قواعد الجيولوجيا العامة ومقدمة في علم الحفريات انتشاراً عربياً واسعاً. وبعد الدكتور يوسف ثاني من ألف للدارس الثانوية المصرية في علم الجيولوجيا بعد المرحوم حسن صادق باشا، ويدرس كتابه في المدارس المصرية والبلاد العربية. صنف خمسة عشر كتاباً بين مؤلف ومترجم في تبسيط العلوم، منها : فجر الحياة، الثروة المعدنية في العالم العربي، قصة السموات والأرض، الإنسان والقمر، كل شيء عن الصخور، قصة كوكب، الأرض من تحتنا .

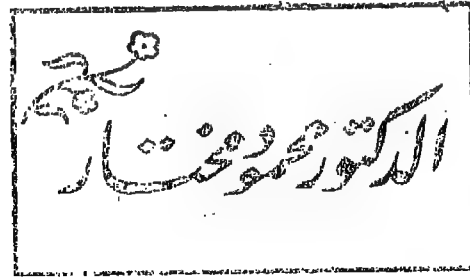
كما حقق مخطوطة وأزهار الأفكار في جواهر الاحجار، لأحمد بن يوسف التيفاشي، وشارك في إصدار معجم الجيولوجيا الذي نشره المجمع سنة ١٩٦٤، كما نشرت له بحوث بمجلة المجمع منها : المصطلح الجيولوجي، وثرأ اللغة العربية بأصول المصطلحات الجيولوجية .

أيها السادة :

يطول في الحديث إذا أنا حاولت استقصاء صورة كاملة لزميلنا الجديد، الذي أُرشدني وأستقبله

الثانوية ومقالاته فيها، ثم يلقي أستاذنا الدكتور طه حسين مديراً الجامعة الإسكندرية ثم رئيساً للمجمع، ويلقى جيل العمالة مرة أخرى في مجمعنا الموقر، فيجادل العقاد، ويشرح الجيولوجيا للطفي السيد وطه حسين. ولأنه في هذه الرحلة الطويلة لا ينسى واجبه الأول شارحاً ومعلماً للجيولوجيا ومفسراً لأحقابها وعصورها وحفرياتنا، ونافلاً إلى العربية أسماء أحافيرها وقياسات أحقابها وعصورها ولأنه ليطوف بأرجاء مصر دارساً ومعلماً من شبه جزيرة سيناء إلى فيافي الصحارى من شرقية وغربية، ومن السلوم إلى منخفض القطارة ومن جبال علبة إلى واحات سيوة إلى المناطق النائية في هذه الفيافي وتلك القفار، مفتشاً عن ثرواتنا المعدنية وهى من أوائل من كشفوا عن الفحم في مصر، فقال بوجوده في عيون موسى والمغارة. ولأنه ليدرس الجيولوجيا بلغة عربية سليمة فكان من أوائل الملبين لدعوتنا في استعمال اللغة العربية لغة للعلم، وخاصة حين تبين لنا أن قانون الجامعة ينص على أن العربية هى لغة التدريس وكل ما عدا ذلك كان استثناء، ففسينا وتناسيتنا حتى غدا الاستثناء هو القاعدة ولعلها فرصة أن نجدد الدعوة إلى تعريب العلم دون أن نهمل العناية بلغة أجنبية، لمتابعة الاطلاع على المسائل العلمية في لغاتها الأجنبية كذلك. ذلكم هو زميلنا الدكتور محمد يوسف حسن الذى تخرج في جامعة القاهرة منذ ثيف وثلاثين سنة وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة بريستول منذ نحو ريع قرن من الزمان. وهو أستاذ للجيولوجيا بجامعة عين شمس ثم بجامعة الأزهر ولأنه الحبير بمجمعنا منذ ست عشرة سنة، وعضو

نحوراً به، لثقتى بأن زمالته مشرفة، فهو يجمع إلى الفضل التخصص الذى يسمى إليه فيه والحس الأدبى اللغوى، وهى الشروط الثلاثة التى أصر على استيفائها فى زميل يجمعنا الموقر. أقدمه واستقبله باسمكم متمنيا له التوفيق .



أها السادة :

أما ثانى الاثنين، للذين وكلمت إلى استقباليها وشرفتمونى بتقديمهما إليكم فهو الزميل الكريم الدكتور محمود مختار قاهرى المولدى آخر بات العقد الاول من هذا القرن . حبيه إلى اللغة العربية مدرسه الشيخ أبو العنين جعفر الذى لا يزال يذكر فضله عليه، ويشيد به فى كل مناسبة، كما حبيه إلى علم الطبيعة مدرسه الاستاذ عبد العزيز الغباشى الذى تنبأ له أن سيكون أستاذاً لعلم الطبيعة؛ فقد كان يأخذ الدرجة النهائية فى علم الطبيعة، فى جميع امتحاناتها عرف صاحبنا أستاذه فى مدرسة الزقازيق الثانوية مع أن شغفه بالطبيعة وأجهزتها وأدواتها كان يدفعه إلى تفضيل مدرسة الفنون والصنائع، لولا الإصرار على أن يدخل المدرسة الثانوية ليتابع الدراسة ويكون مدرسا. مع أنه كان يفطن أن يكون مهندسا، فعندما افتتحت كلية العلوم لأول مرة فى مصر كان من بين الخمسة الطلاب الأوائل اللذين أجبروا

على التحويل من مدرسة المعلمين إلى كلية العلوم دخلوها مكروهين، فلم يكن لمصر عهد بكليات العلوم. ماذا عسى أن يكون عمل المتخرجين فيها؟ حتى قال أحد وزراء ذلك العصر وقد قابله أفراد الدفعة الأولى ومنهم زميلنا الدكتور مختار ولم يكن قد وضع لخريجها كادر — قال الوزير: لم لا نقول بكالوريا على بدلا من بكالوريوس علوم؟ كان هؤلاء الخمسة نواة لكلية العلوم شحهم، فيما يقول زميلنا، ناظر المعلمين فى « تاكسى » ليذهبوا إلى كلية العلوم لمقابلة العميد الأجنبى ليرغبهم فى الالتحاق بهذه الكلية الناشئة التى لم يقتنع طلابها بعد بمستقبلها .

فمدرسة المعلمين تخرج مدرسين والمهندسخانة تخرج المهندسين ومدرسة الطب تخرج الأطباء، ولكن ما عسى أن يكون خريج العلوم؟ وما معنى تخصصه فى الجيولوجيا أو الكيمياء أو النبات أو الحيوان؟ وما عمل هذا المتخصص؟ وماراتبه؟ وما مستقبله؟ كل ذلك كان لا يزال ضرباً من الغيب ورجماً به .

وعلى هذا النحو وبهذا القلق التحق بكلية العلوم ليتعلم فيها على عملاق من عمالقة العلم فى مصر ذلك هو المرحوم الاستاذ الدكتور على مشرفة، فقد كان مع حظ مصر والعالم العربى أن يوجد فيها على مشرفة يدعو إلى تمجيد العلم والبحث العلمى، حين لم يكن أحد فى ذلك العهد يعرف ما هو البحث العلمى فى علومنا الطبيعية . فقد كان العلم المهين صاحب الخطوة لدى آبائنا بل فى جيلنا كله، فوجد فيه رائده فى الرياضة والموسيقى معا؛ فقد كان أستاذاً الدكتور مشرفة

ذلكم هو الدكتور مختار. التحق بكلية العلوم بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ ، ضمن طلبة الدفعة الأولى التي افتتحت بها الكلية ، وتخرج في سنة ١٩٢٩ متحصلا في الطبيعة والرياضة ، ثم حصل على الدكتوراه من إنجلترا ، وتدرج في وظائف التدريس بالكلية من معيد بها سنة ١٩٢٩ إلى عميد لها سنة ١٩٦٤ . رأس قسم الطبيعة زهاء عشرين عاما ، وحصل على وسام الاستحقاق لاشتراكه في إنشاء مؤسسة الطاقة الذرية .

وهو رئيس للجمعية الفيزيائية المصرية ورئيس للشعبة المصرية للاتحاد الدولي للفيزياء ورئيس لمجلس البحوث الفيزيائية بالمركز القومي للبحوث ، وعضو المجمع العلمي المصري والأكاديمية المصرية للعلوم .

والدكتور مختار نشاط مرموق في تأليف كتب مرجعية في علم الطبيعة باللغة العربية منها أصول علم الطبيعة في خمسة أجزاء ، وأساس علم الطبيعة في خمسة أجزاء ، والطبيعة التجريبية ، وعلم الضوء . وفي مجال الترجمة العلمية قام بترجمة ومراجعة عدد كبير من المراجع العلمية بلغت في مجموعها بضعة عشر كتابا . كما ساهم في إخراج معجم الفيزياء النووية وهو باكورة إنتاج مجمعنا في التخصصات الدقيقة الحديثة ، كما أنه يسهم في إعداد معجمين للفيزياء العامة أحدهما للتعليم العام والآخر للتعليم الجامعي .

وفي مجال إحياء التراث العلمي العربي يتابع رائدنا الأول في هذا المجال أستاذنا مصطفى نظيف ، ويحقق كتاب « تنقيح المناظر لذوى

مشغولاً بالموسيقى ، ووجد في تليذه مختار الصورة المحببة إلى نفسه المنفذة لبحوثه ودراساته في الموسيقى العامة ، والموسيقى الشرقية والعربية بخاصة ، فلم لا يتخصص مختار في علوم الصوت بأجهزته وأدواته وتسجيلاته ؟ ولم لا يعمل بإشراف الدكتور مشرفة مع مصطفى رضا والعقاد من أعلام الموسيقى في هذه الحقبة ؟ ولم لا يسجل السلم الموسيقي الشرقي على أساس علمي ويبين بين الخصائص العلمية في السلم الشرقي والسلم الغربي ؟ كيف تختلف هذه الخصائص من عازف إلى آخر ومن آلة موسيقية إلى أخرى ؟ وكان لهذا البحث دويه في ذلك الوقت ونشر مفصلا في مجلة تيتشر . وما هو ذا يتابع بحوثه الموسيقية بعد وفاة أستاذه الدكتور مشرفة منذ ربع قرن من الزمان ، يتابعها مع تليذه الدكتور يوسف شوقي فيعيد تجاربه السابقة ليصل إلى النتائج نفسها ، ولكن بأجهزة أحدث وآلات أدق ، ومن بين دراساته الخالدة قياساته من تسجيلات سيدة الغناء العربي خاتمة الذكر ومعجزة الغناء السيدة أم كلثوم ، فيقول الدكتور مختار : إنه ثبت لديه أن في صوتها دقة أداء لسلم الموسيقى الشرقية إلى حد لا يقارن بأي صوت آخر ، وأن أداءها لينتقل بالسلم نفسه من أغنية إلى أخرى في دقة بالغة وأداء بارع ليس له نظير .

لقد كانت هوايته للموسيقى نابعة من تخصصه الدقيق في علم الصوت أحد فروع علم الطبيعة ، وكذلك اجتمعت الهواية مع العلم ، نبعان من عين ثرة هي شخصية الدكتور مختار الفذة المحببة .

الأبصار والبصائر ، مؤلفه كمال الدين الفارسي ،
خطارائه الأول الحسن بن الهيثم .

وقد خص الدكتور مختار الجمعية المصرية
للمعلوم الرياضية والفيزيائية بالجزء الأكبر من
نشاطه في النشر العلمي ، حيث كان من رواد هذه
الجمعية منذ نشأتها سنة ١٩٣٦ . وظل أميناً عاماً لها
طيلة خمسة وعشرين عاماً ، وقام برئاسة تحريرها
نحو ثلاثين عاماً . وهذه المجلة هي الأولى من
نوعها في الوطن العربي ، وقد عملت منذ
إنشائها على تشجيع النشر العلمي في الرياضيات
والفيزياء باللغة العربية . أما ما ينشر بلغة أجنبية
فيشترط أن يصحبه ملخص باللغة العربية
وقد عرفت المجلة بمستواها الرفيع في البحوث
العلمية المبسكرة .

كما أنشأ مجلة متخصصة للفيزياء النووية منذ
ست سنوات لبحوث النظائر والإشعاع ، ورأس
هيئة التحرير فيها ، وهي على نفس مستوى المجلة
السابقة مع العناية في تطبيق استخدامات
الإشعاعات النووية في شتى المجالات العلمية
والإحيائية والطبية والهندسية .

أما في مجال البحوث العلمية فقد افتتح
الدكتور مختار ثلاثة مجالات كان له فيها القدر
المعنى أولها ما يسمى بالفيزياء الإشعاعية ، وذلك
على أثر اتساع نطاق العمل بالإشعاعات النووية
الخطرة وما يستتبع ذلك من ضرورة الاهتمام
بشئون الوقاية من أخطارها ، وتناولت بحوثه
كيفية وقاية العاملين في الإشعاعات النووية .

وثانيها : علم الصوتيات ، فقد كان يعز عليه أن
توصم الموسيقى الشرقية بصيغة السماعية التي
لا تخضع لأساس علمي ، فبجهد معارفه الفيزيائية
وأجهزته الإلكترونية لخدمة هذه الموسيقى ، فقام
بتسجيل السلم الموسيقي الشرقي وصياغته على
أسس رياضية علمية ، أهدت عنه صفة السماعية
وخلصته من شوائب كثيرة . كما أجرى بحوثاً على
الآلات الموسيقية الفرعونية القديمة .

وثالثها : فرق السماعات . وإن الدكتور
مختار لمن رواد هذا المجال فأنشأ مدرسة بحثية
سايرت تطوراتها الواسعة ، وأنتجت مئات البحوث
التي تتناول الكثير من التطبيقات الأساسية
والأصول الكلاسيكية .

أيها السادة :

هذان هما الزميلان الكريمان أقدمهما وأنا
واثق أنهما سيمنحان الجمع كل وقتهم وجهدهما
وعلمهما وخبرتهما . وقد رأيت كيف أن أحدهما
صرح بأنه يؤثر عمل الجمع على عمله الأصلي .
أما الآخر فهو يتفرغ تماماً للجمع ولجانته
وجلساته وأعماله .

أيها السادة :

قبل أن أختتم كلمتي أرجو أن تأذنوا لي
في أن أحيي لمسة الوفاء التي لمستها في الزميلين
الكريمين ، اللذين نستقبلهما اليوم ، فالوفاء عملة
دارسة في هذه الأيام ، ولكن الزميلين أصراً على
ذكر أساتذتهما وأصحاب الفضل عليهما ، سوله
في تخصصاتهما العلمية الدقيقة أو في اللغة العربية .
فها نحن ذكرنا الخرزجي والشاذلي وجعفر

والغياشي وزاد نسكي ومشرفة ونظيف وطه حسين
وفريد أبو حديد وحسن صادفي ولطفي السيد
والعقاد، وغيرهم من أفاضل الأساتذة العلماء .
وصدق البغدادي الذي يقول: إن العلماء لا يموتون
أبداً ، وإنما يخلدون في أعمالهم ويعيشون في قلوب
تلاميذهم . والواقع أن الفكر العلمي واللغوي
والديني والأدبي يتسلسل جيلاً بعد جيل منذ
بشر التاريخ ؛ فكل عالم أستاذ سواء تتلمذ عليه
مباشرة ، أو تتلمذ عليه في كتبه . ومن هنا كانت
العنقة التي ورثناها عن السلف الصالح . إنها الأمانة
والوفاء والاعتراف بالفضل لنبيه . وكذلك
اعترف علماء العصر الإسلامي بالفضل لافلاطون

وأرسطو من علماء العصر الإغريقي وخلعوا
على أرسطو لقب المعلم الأول للإنسانية كما
اعترفوا لجالينوس وديسقوريدوس وبطليموس
وإقليدس من علماء العصر الإسكندري . وكذلك
نحن نعرف لعلماء العصر الإسلامي كابن الهيثم
وابن سينا كما نعرف لعلماء عصر النهضة الأوروبية
من كبلر وكوبرنيك إلى والتن ونيوتن ، وهذا
هو الوفاء أسمى سمة يمكن أن يتصف بها العلماء .
فلتحيا معي الزميلين الكريمين متمنين
لها متابعة خدمتهما للعلم ، ولغة القرآن الكريم
كتاب العربية الأكبر ، والسلام .

... كلمة الدكتور محمد يوسف حسن

في حفل استقباله عضواً بالمجمع

سيدى الرئيس : سادق

إن هذه الثقة الغالية التي جئتموني إياها
حين رأيتموني قادراً على حمل الأمانة ، لأغلى
وأعظم ما أعز به من تقدير ثلته أو يمكن أن
أناله مدى الحياة . إن الامتحان الذي اجتزته
أمام مجلسكم من أجل هذا التقدير ، ما شعرت
في امتحان قط بمثل ما شعرت لإزائه من هبة
وبلبلة هواجس ، برغم ما أحرزت قبله من
إجازات وجوائز ، وعضويات علمية ، وبرغم
ما علا من شيب وما أثقل كاهلي من مسؤولية .
حقاً لقد تبلبلت هواجسي لدى هذا الامتحان ،
وأنا الذي كنت أنصح كل من علمت ألا تدع
بجلاً للخوف والهواجس تتسرب منه لتوهن

الله العلي القدير أسأل أن يهني عرونا ،
ويهديني رشداً ، أتزود بهما في حمل الأمانة
الكبرى التي حملتموني إياها ، أيها الخالدون .
وليكم أخشى أن يكون في هذا إسراف في
حسن ظنكم بقدرتي على حمل هذه الأمانة . .
ولقد قدمي اليوم إلى بجمعكم العظيم ، أستاذي
الدكتور عبد الحليم منتصر نائباً عنكم ، فأضفي
على من الصفات مالا أعتقد أني أهل لها . وعلى
منذ اليوم أن أبذل غاية الجهد حتى أحتفظ بحسن
ظنكم بي ، وأكون خليقاً بالانتساب إلى
رؤسائكم .

من عزيمته أو تعوقها عن إحراز النجاح في
أى امتحان .

هذا التقدير العظيم الذى نلته منكم ، حقه
عندى أن أعاهد الله وأعاهدكم ونفسي على التفانى
في الحفاظ عليه ، وعلى البذل في سبيل ذلك من
أجل الإسهام في تحقيق رسالة المجمع ، مهما
تكلفت من تضحية ونصب أقدمهما عن طيب
نفس وسعادة في سبيل لغتنا الشريفة العالية ،
متمثلا في ذلك قول رب السيف والقلم :

« ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محب »

والحق أيها السادة الأجلاء ، أنه ليس بعد
الفوز بثقتكم من علياء يصبو إلى نوالها
إنسان .

أيها الاساتذة الأجلاء :

لقد مر أكثر من شهرين منذ أن طابت
نفسي بما نقل لإيها البشير من فوزي بثقتكم ،
وأصدقكم القول أنه بقدر ما أفعمت نفسي
فرحا بتحقيق أعز أمنياتي ، أحسست فجأة
بالإشفاق المضنى عليها ، من العجز عن تحمل أعباء
هذه الثقة . وإته لما زاد من وطأة هذا الإشفاق
ما علمته من أنه قد قدس لي أن أنال شرف
الجلوس في جمعكم على مقعد كان يملؤه قبلي رئيس
جمع الخالدين ، وعميد الأدب والفكر في عالمنا
العربي : المغفور له الدكتور طه حسين . لأنني
وقد مضى شهران منذ لم أستطع الخلاص من
وطأة التهييب والارتباك التي تسيطر على كلما

فكرت أننى سأخطو نحو هذا الشرف الرفيع
الذى هيأته لي تقاليد جمعكم التي لا تخالف .
ولعائى لا أجد في هذا تعبيراً خيراً بما قاله أحد
الخالدين في هذا المقام حين أعلن أن الصدفة
ظلمته كما ظلمت سانه العظيم باستوائه في مكانه
« فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ،

أيها العلياء الأعلام :

لقد كان لي الحظ العظيم منذ نيف وخمسة
عشر عاما أن يختصنى أستاذي الفاضل الدكتور
عبد الحليم منتصر الذى يعد من أبرز رواد
تعميق العلم في مصر ، بالدعوة لشارك في مهمة
إعداد المصاحف في علم الجيولوجيا لجمع الخالدين ،
فصدر قرار المجمع باختيارى خبيراً لدى لجنة
الجيولوجيا في أول عهدنا به تقريباً . وأخذ
بيدى أستاذي الدكتور عبد الحليم منتصر لما آنس
عندى من حب للغة ، وحرص على سلامتها ،
وكلف بالرى من مزايلها . أخذ بيدي منذئذ نحو
تحقيق ما ظل يراد نفسي منذ نعومة الأظفار
من أمل في العيش في رحاب لغتنا ، والتمتع بعماء
جمالها وفنونها . ولم تمض سنة أو اثنتان حتى أذن
أن يفتح لي باب مجامع الشايع لأول مرة ، فأرى
بعينى رأسى ما كان يضيئى به خيالى من كد في
تصور ما يدور خلف هذا الباب العظيم من
محاورات الخالدين .

وما زلت أذكر بالتيه والانهيار
تلك المنقشات اللغوية والعلمية العالية التي
أثيرت حول بعض ما كنت أعرضه من
مصالحات لجنة الجيولوجيا . كم كنت أخرج من

عن المصطلح العلمي وعن لغة العلم حيث يقول :
« تاريخ العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها ،
« على العلماء أن يحياؤا أولا كل ما يمكن لإحياءه
من المصطلحات القديمة ، فإن لم يجدوا ، فعليه
أن يقيسوا ، ويشتقوا من العربية نفسها ، —
« قيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به ، وبذا
يصبح جزءا من اللغة العلمية » لغة العلم وثيقة
الصلة بلغة الأدب ، تتعاونان وتتفاعلان ،
ولا تسكأ توجد نهضة أدبية إلا وتصاحبها نهضة
علمية » .

هذه باختصار ، معالم الدرب الذي
انتهجه الجمع لإحياء لغة العلم العربية
ولأثرائها . وإنني لعلّي هذا الدرب مرت وسأسير .
وما أنا بحاجة إلى أن أؤكد هنا أن التراث
لآخر من المصطلحات العلمية بالقيم والأصيل ،
وأن الفصحى لغاية بالاصول الصالحة لاشتقاق
المصطلحات . ولأنه لجدير بالجمع أن يؤلف لجنة
جديدة لتقصى المصطلحات في التراث ، وإحصائها
وتصنيفها وفهرستها ، وتحديث تعريفاتها ونشرها ،
وكذلك لإحصاء الاصول الصالحة من اللغة
للاستعمال العلمي في المجالات المختلفة ، وبحوث
الاشتقاق المناسبة للغة .

وسيكون هذا عوناً أي عون لمن يريدون
الكتابة العلمية الأصيلة ، ولمن يبتغون ارتياد
بجال تأليف البحوث العلمية المتخصصة بالفصحى .
ولا يسعني في هذا الموقف إلا أن أقترح على الجمع
تقديم النصح لوزارة التعليم العالي كي تتعاون معه
في تقرير تدريس اللغة العربية العلمية في الكليات

تلكم الجلسات ، وأنا أسائل نفسي عما إذا كنت
جديراً حقاً بالجلوس إلى هذه البقرة الممتازة
من الجبابة الذين كنت أسمع عنهم فقط ، وأرى
صورهم ، أو أقرأ أسمائهم على أمهات الكتب .
وهل كنت موقفاً حقاً فيما يدور بيني وبينهم من
محاورات ومناقشات ، وكنت أتبه وأثغر بما
يقروني عليه منها ، وأرضى عن نفسي بل
وأمتن عاجها بما يختصونني من ملاحظات عليها .

كم تعلمت في مدرستكم العليا أيها الأساتذة
الأجلاء ، وكم جعلتني هذه المدرسة أزداد حباً
للغة العربية ، واستمسكا وإيمانا برسالة تدريس
العلوم في جامعاتنا . لقد ألقت وأنا في كنف
مدرستكم الكبرى خلال خمسة عشر عاماً ، أول
ما كتب بالعربية في بعض فنون الجيولوجيا ،
وأول ما نشر على الجمهور من مبسطات هذا
العلم ، فلاقت بنفحاتكم ما لاقته من نجاح .

إن مجمعكم العظيم هو صرح اللغة الشايع
المنيع . وإن جهاد سدنته هو أشرف جهاد عزت
به لغة القرآن وانتصرت ، واتسعت مجالاتها .
لقد حقق لها جهادكم حياة ملؤها الرغد والتنوع
والقدرة على استيعاب كل الفنون والعلوم —
لقد دأب بجمعكم العظيم على بذل عناية خاصة
للهوض باللغة العلمية وصياغة مصطلحاتها ،
ولأنه ليس كفي أن أشير إلى جهاد أساطين العظام
في هذا المجال ، وأرجو أن يأذن لي رئيس
الجمع الدكتور إبراهيم مذكور في أن أعبر عن
مضمون هذا الجهاد بمثلاً في مقتطفات من أقواله

العلية بالجامعات والمعاهد العليا بجانب ما تقوم بتدريسه من لغات أوروبية عليية بها ، بل إنه لمن الخير - في رأيي - أن تستبدل الأولى بالأخرى مع زيادة الاهتمام بتدريس أصول اللغات الأوروبية في مراحل ما قبل الجامعة . ولعلمي أكتفي بهذا التنويه عما يراد نفسى من آمال في تحقيق أعمال جديدة لمجتمعنا ، وأترك تفصيله للبحث والمناقشة المستتائية .

أيها السادة العظام :

يأبى حفاظكم على التقاليد إلا أن يطلب إلى كل عضو جديد يشرف بمقعد في مجمعكم المجل ، أن يقول عند استقباله كلمة عن سلفه الذى سبقه إليه . وإني لمطيع أحكام هذه التقاليد على ما فيها من إرهاب لى ، وعلى ما أشعر به من عجز في موقفى هذا حين أجلس في مقعد كان يتبوؤه طه حسين . فإذا عسى أن أقول في رجل كان ملء الدنيا أدبا وفنلا ، ماذا أقول في رجل كان أمة في واحد ، بل كان عالما بأسره في واحد :

فياله من فرد هو الجمع كله

بمناه أو معناه حشداً مكديسا

أسألتنى : أنتم أقرانه ، وأنتم الذين عرفتموه عن كسب ، وإننى لا غبطكم على ذلك ، وما أنا إلا الذى حقه أن يستمع في هذا منكم . وإن كان لا بد أن أقول شيئا ، فحسبى أن أتحدث عن طه حسين المجمعى المنافع عن حمى اللغة العربية ، العاشق لها ، المعنى بالوقوف طويلا أمام مشكلاتها . المنادى دائما بالبحث في حل هذه

المشكلات . كان عميق الإيمان باللغة العربية ، وبجدارتها كلغة علم وحضارة ، استطاعت كما لم يتح للغة قديمة أو حديثة أن تكون لغة رسمية لكثير من الأقطار في زمن جسد قصير ، بل استطاعت أن تتجاوز هذا النطاق الرسمى فغزت شعوب تلك الأقطار - على حد قوله - في عقر دورهم حتى أصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم ، ذلك أنها لغة محبة قريبة إلى النفس تستطيع أن تترجم عن أفكار من يتحدث بها في طواعية ويسروا حسنا أن نستمتع إليه يقول « ويكنى أن نرى كيف استطاع العرب أن يسيغوا ما كتب عن فلسفة أرسطو وطب جالينوس إلى آخر هذه العلوم التي استطاعت اللغة العربية أن تسيغها وأن تطوعها لقواعدها وأن تطوع لها قواعدها أيضا ولننظر إلى قوله :

« انها لغة خلقت لتكون لغة عاطية بأوسع معانى هذه الكلمة وأدقها دون أن تنزل عن أصولها ، وعن قواعدها ، وعن خصائصها التي تمتاز بها من سائر اللغات . ولعل أهمها بجانب هذه القوة ، ما تمتاز به من المقاومة العنيفة التي تحميها من طغيان اللغات » .

ولم يقف هذا المدافع المجيد القوى عن العربية في سبيل تفهمه لمشكلاتها عند حد . فلم تغب هذه المشكلات عن خاطره ووجدانه ، بل ظلت تلح عليها أشد الإلحاح حتى لقد وقف طويلا أمام هذه المشكلات ، وقفة محب للعربية حذب عليها معنى بمستقبلها كعنايته بحاضرها وماضيها .

فرأى بثاقب فصره أن أهم مشكلاتها التي

وكان يرى أن تيسير الكتابة أساس لتيسير القراءة الصحيحة والإعراب، ومرتبط عضواً بتيسير فهم قواعد اللغة وأدوقها. لذلك كان دفاعه من أجل تيسير الكتابة لا يقل حماساً عن دفاعه من أجل تيسير الإعراب. وقد أحس بذلك وهو الذي لم يكن في حاجة إلى أن يكلف نفسه مؤونة الانشغال بحل مشكلة الكتابة. ولكن بالاشجاعة والحب والإيثار — تتجلى كلمنا في قوله : « ولا تسألوني أناعن تيسير الكتابة كيف يكون؟. ولكنكم الحق — كل الحق — في أن تسألوا الجمع والحكومة أيضاً والحكومات العربية والمجامع العربية في إصلاح الكتابة ، فمن التي ينبغي أن تسأل في هذا ، وأشهد لقد جدد جمعنا في إصلاح الكتابة منذ سنين ، وما أرى أنه قصر ، إذ لم يكن قد وفق إلى هذا التيسير ، ولكنه في حاجة إلى العون الذي يتيح له أن يعضى في التيسير ... » .

إن هذه المشكلات التي وقف طه حسين الجمعي الفذ أمامها بجرأة وشجاعة منذ أكثر من ربع قرن ، وطالب بمواجهتها ومعالجتها والتغلب عليها ، ما زال معظمها يواجهنا حتى الآن ، وما زالت اللجان تشكل والمؤتمرات تعقد وتنفض وهذه المشكلات قائمة . وسوف يعقد اتحاد المجامع بخصوص تيسير النحو في الصيف القادم مؤتمراً في الجزائر نرجو له التوفيق في تحقيق الكثير مما كان يدعو إليه طه حسين .

وما أظن المقام يتسع لإيفاء حق هذا العلم فيما جاهد في سبيل الفصحى وتيسير تعلمها ، لكنني أجد لزوماً على أيضاً أن أنوه بفضلته على

تهمدها اثنتان : الأولى : مشكلة الكتابة ، والثانية مشكلة الإعراب . لقد واجه هاتين المشكلتين بجرأة وشجاعة يعرف بهما ، دافعهما الحب والحرص ، لا مجرد النقد ، والضيق بالتقديم والمألوف . وتحدث عن العربية وأهلها فقال : « لغة حية مرنة قادرة على التطور ، يتكلمها قوم لا يزالون في حاجة إلى الحياة ، ولا يزالون في حاجة إلى التطور » .

لقد بين في أسلوبه الدامغ الساخر الساحر كيف أن القدماء أنفسهم كانوا يطالبون بتطوير النحو وتيسره ، وأن الذي يطالب به ليس بدعا بل هو سنة جارية ، وكان يستشهد في هذا مداعبا بقول أحدهم :

ماذا لقيت من المستعربين ومن
تأسيس نحوهم الذي ابتدعوا
إن قلت قافية فيما يكرن له معنى
يخالف ما قاسوا وما صنعوا
قالوا: لحنت وهذا الحرف منخفص
وذاك نصب ، وهذا ليس يرتفع
وحرشوا بين عبد الله واجتهدوا
وبين زيد ، فطال الضرب والوجع

وهو مع هذا كله كان يرفض الدعوة إلى العامية ، كلاماً أو كتابة رفضاً باتاً ، ويهاجم الداعين إلى ذلك هجوماً مبرحاً ، ويقول في هذا أنا مطعون إلى أن هذه الدعوة لن تلق من يستجيب لها ، وأصحابها أنفسهم لا يستجيبون لها — فيما بينهم وبين أنفسهم — وإنما هم قوم حيل بينهم وبين أن يتعلموا تعليماً صحيحاً ، وحيل بينهم وبين تذوق هذه اللغة ...

لقد كنت أقرأ الأيام منذ تفتش صباى حين لم تكن الحضارة قد امتنت بعد على أسماعنا بالمدياع الذى أخذ ينقل إلينا ذلك الصوت الساحر الفريد الذى تتردد فيه أصداء الفصحى كلها : تاريخاً وملاحم وأجساداً وعبقريات ... أما كيف كنا نتنادى ونتجمع لسماعه فى حلقات المدياع بالمدرسة الثانوية فى « حديث الأربعاء »، فإن هذا لمن أبقى ملامح ذلك العهد فى ذاكرتى. ثم تعلقت بأدبه وأسلوبه ، وأقبلت عليه فى عمق وتبتل حين درسنا تحقيقه لنقد النثر ، وحين صدر له : « صوت أبى العلاء » و « مع أبى العلاء فى سجنه » و « أديب » و « دعاء السكران » و « جنة الشوك » وغيرها ...

ثم شبيث ودخلت الجامعة ، وتدخل القدر فأقصانى عن الجو الأدبى مدة ، لكنه لم ينه صلتى بطله حسين . فشأن أن أعمل بعد التخرج معيدا بالجامعة التى كان أول رئيس لها ، ولم يكن يصدر له كتاب أو مقال حينذاك إلا وكانت أقرؤه وأعيده . ولم يطل مقامى فى جامعة الاسكندرية وما بقيت فيها إلا حباً فى جواره ، فتعللت بالأسباب لا عود أدراجى إلى القاهرة التى انتقل طه حسين إليها ، فطلبت الانتقال إلى جامعة عين شمس وأشهد أنى جئت إلى القاهرة تحذرنى الآمال فى أن أحظى بحظ أوفر من جواره . وفى جامعة عين شمس ، أسعدتنى الأيام بمالة أعز بها وأنقر ، زمالة مع استاذى الدكتور منتصر ، الذى أحاطنى برعايته وفضله ، والذى مهد لى الطريق إلى جمعكم العظيم ، أطرق أبوابه ، واستهدى سبيلى إلى

وضع المعاجم العلمية . وقد كان صاحب اقتراح وضع المعجم الطبى عام ١٩٤٧ ، وكان يدعو إلى إحصاء الكلمات الطبية العربية التى استعملها القدماء كابن سينا والرازى وأضرابهما أولاً حتى تكون بين أيدي من يقومون على إخراج المعجم فيردونها فيه إلى مصادرها . كما كان يدعو إلى العكوف على المصطلحات العلمية فى سائر العلوم التى خلفها لنا علماءنا القدماء .

أيها الأساتذة الاعلام :

يعز على أن أترك مكانى هذا دون أن أتحدث عن مدى مآثر كنهه حسين من أثر فى حياتى ، وعن ذكريات غالية أحملها له . لقد عشت عصره بكل أبعاده . نعم عشت زهاء نصف قرن من عصره الزاهى . فقد قرأ على والدى — رحمه الله — كتاب الأيام فيما كان يقرؤه على من كتب للأدب ، ولم أكن قد تجاوزت بعد سن الثامنة وقد كنت شديد التعلق بهذا الكتاب ، لقد كان أول كتاب أدبى أقرؤه بنفسى حين صرت قادراً على القراءة . ومن خلال الأيام أحبت لغة الضاد ، وعشقت أديها منذ نعومة الأظفار .

كم قرأت الأيام فى صباى ، وفى شبابى ، وفى كهواتى ... وفى كل مرحلة من عمرى كنت أتزود من « الأيام » ب زاد جديد من المتعة والأدب والعلم . كانت الأيام لى سحرها دائماً على مرالسنين وقد قرأتها آخر مرة عام ١٩٧٣ ، بعد وفاة العميد ويا لإبداع التصوير الذى تصوره لحياة الرجل العظيم ، وأيام الرجل العظيم ، وكفاح الرجل العظيم .

الانفاس خشوعاً ورهبة ولا كباراً . ولما مر
الموكب العبقري، قلت لصاحبي : ياليت كل
شباب اليوم يرون معنا هذا المشهد حتى يتعلموا
احترام المواعيد ، واحترام الواجب والعمل ،
واحترام الحياة .

كم كان عظيماً شاعراً طه حسين ، وكـم كان في
نفس الوقت حانياً ، جم التواضع . وإن أنسى
لا أنسى ما حييت انبهاري بعبقريته وحافظته
الفذة حتى آخر جلسة في المجمع لعرض مصطلحات
الجيولوجيا في عهده ، وكانت قبل وفاته ببضعة
أشهر . لا أنسى وعورة مسالك المادة في تلك
الجلسة ، كما لا أنسى صدق متابعتي لها وعمقها ،
وسديد مأساته في المناقشات من آيات من القرآن
الكريم ، وأبيات من الشعر القديم . ولا أدري
لماذا حرصت جداً في ذلك اليوم على أن أمثل
بين يديه بعد الجلسة لأودعه على أمل اللقاء في
العام المجمعى التالى ، ولتخطى منه مسامعى
بكلمة ، واعتذرت له عما بدا على مصطلحات
الصخر والحفريات من ثقل . . . وما زالت آخر
كلمات حظيت بها منه تتردد في أذنى وفى كيانى
عندما قال : « لا يأستاذ ، على العكس من ذلك ،
فإنها ممتعة جداً » .

ياله من عظيم ، ما أظن الزمان يجود على
الإنسانية بمثله قبل مئات السنين ، وصدق
عبد الرزاق محي الدين في رثائه حينما قال :

« يا ثائى اثنين فى العلياء دونهما

تلقى الدهارين مما آدهما السفر

ألف مضت ، وهى وحى فيك مثقلة

حتى ولدت ، قبل ألف بها أخر ؟ »

أروقه منذ عام ١٩٥٨ بالدرس والمثابرة والتفانى
فى الإخلاص للفصحى . ولـى عند هذه الأبواب ،
وفى رحاب هذه الأروقة أروع ذكرياتى التى
أحلمها لطفه حسين . . . وياليتنى حظيت منها بالكثير
وهى - على القلة - جلها « من بعيد » ، حتى أذن
الله أن يكون بعضها من قريب؛ عندما أوكل لى
شرف عرض مصطلحات الجيولوجيا على مجلسكم
الموقر وطه حسين نائباً للرئيس، ف رئيساً للمجمع .
وأشهدكم أحسست كأنى حييت الخلد حقاً وأنا
اتخذ مجلسى بجانبه أتاقي منه كلمة أو كلمات ،
أو إشارة رضا أو بسملة ارتياح .

وواهاً لقلبي من الذكريات القاسية عن
السنوات الأخيرة من عمر الرجل العظيم ، عندما
ثقلت عليه وطأة الداء . وما كان يتغيب عن
جلسات المجمع إلا نادراً . وكان يتحمل العذاب
فى هذا بصبر وشموخ . لم أذكر له مرة واحدة
فى كثير من الجلسات التى حضرتها يـطلب رفع
الجلسة بنفسه، مع ما كان يبدو واضحاً عليه
قرب نهايتها من تعب وإرهاق . كم وقفت فى
تلك السنوات بشرفة المجمع أرقب العبقري
المهيب يصعد درجاته بمشقة ونصب معتمداً على
ذراع زوجه أو كاتم سره أو كليهما . وكـم كنت
أرقبه بألم وخشوع بعد ذلك ، وهو يصعد
محمولاً على كرسيه ، لا يتأخر موكبـه دقيقة عن
موعد الاجتماع .

ولا أنسى يوماً من شتاء عام ١٩٧٢ ، ذلك
العام الحزين ، والراحل العزيز العظيم محمولا على
كرسيه نحو قاعة الجلسات ، وكنت وصاحبي
أحد عملاء السكليات الحاليين نقف بأقصى الشرفة
نرقب العبقريّة المحمولة أمامنا ، ونحن نحبس

كلمة الدكتور محمود مختار

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس . أيها السادة :

اسمحوا لى أن أقدم أخلص الشكر وأصدقه على ما طرقتم به عنى من فضـل عظيم وما منحتمنى من شرف يتوج حياتى بتاج من الفخر ، إذ قبلت منى جنديا فى مجملكم الموقر العريق الذى يخص بالقادة والابطال فى شق ميادين الآداب والعلوم . إن اختياركم لى شرف أعتر به فحمد الله وشكرا لكم كل الشكر . وإنى أدعو الله تعالى أن يجعلنى أهلا لهذه الثقة الغالية ويعيننى على أن أضيف لبنة إلى صرح هذا المجمع الشاـخ .

ويشرفنى كذلك أن أضيف شكرا خاصا وخالصا لاختى وزميلي الاستاذ الدكتور عبدالحليم منتصر الذى تفضل فقبل مهمة تقديمى إليكم اليوم ، على كل ما فى هذه المهمة من صعوبة وما فى جمعى من حصيلة متواضعة . ولكن سماحته فى السخاء وسلاسته فى التعبير قد جاءنا بما فاق كل حسابى ، فإذا بصعوبة المهمة تذوب فى أسلوبه السلس ، وإذا بصحالة حصيلى تحتفى فى طيات بيانه البليغ ، جزاه الله عنى خير الجزاء .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

جرت تقاليد هذا المجمع الحميدة بالاعتراف بالفضل والوفاء لذويه ، وخاصة إذا كانوا من

رجالهم الذين انتقلوا إلى عالم الخلود ، بعد أن أسدوا إليه وإلى اللغة العربية الحبيبة من حبات قلوبهم ما لا تمحوه الأيام . كما جرت التقاليد أيضا بأن يتولى الأعضاء الجدد هذه المهمة . لا أكتسبكم سرّا أيها السادة إن صرحت لكم بأنى أشققت على نفسى مرتين : الأولى عندما علمت أننى سوف أخلف عملاقا من عمالقة المجمع هو المرحوم الاستاذ على السباعى ، وأشغل الكرسي الذى ملأه قبلى بمجدارة . والثانية عندما علمت أن الوفاء للراحل الكريم يتطلب الإشادة بما أثره ، ولكم أيها السادة أعرف بها منى ولكن يسر على الأمر ما كان يتمتع به الاستاذ على السباعى من اسم لامع وصيت ذائع وعلم فياض وإشباع نافذ استثار به حتى من لم يسعده الحظ بحضور مجالسه والاستمتاع بأحاديثه . فقد كان المجمع يشيدون بصفتيه المتلازمتين : الدينية والعلمية . أما الدينية فتظهر جليلة فى استظهاره القرآن الكريم على الوجه الأكمل ، ومدامه قراءته قراءة عميقة واعية . أما العلمية فتظهر جليلة كذلك فى وفرة تحصيله وسعة اطلاعه فى أصالة رأيه وصفاء قريحته ، فى إحاطته بأهمات المراجع اللغوية ، فى معينه الغزير فى الفتوى بأمانته ، الأمانة التى لا يتردد معها فى أن يقول لا أدري فيما لا يدريه . وبما يذكر له كذلك بكل نحر وتقدير قراءته الفاحصة ليكتب اللغة العتيقة من

أمثال لسان العرب، وإثبات ملاحظاته وتصويباته عليها، مما لا يجرؤ عليه إلا أولو الرأي المتمكنون من أصالهم في العلم والتحصيل من أمثال على السباعي .

وفي مجال التدريس ، صعد الأستاذ السباعي السلم من مبدئه إلى أعلاه ، وتخرجت على يديه أجيال من الطلاب كتب لها حظ التلمذة والسير على خطاه ، سواء كان ذلك في التعليم العام أو في التعليم الجامعي في مصر أو في الخارج . أما عن رسالته في هذا المجمع الموقر ، فبالرغم من أن القدر لم يمهله أكثر من سنتين اثنتين في عضويته إلا أن آثاره فيه كانت واضحة وبصماته جلية يشيد بها الجميع . ويكفي للتدليل على ذلك ما جاء على لسان رئيس لجنة الأصول في حفل تأبين النفيد حيث قال : إن اللجنة قد فقدت فيه ثروة لغوية ضخمة ليس من السهل أن تعوض .

فلندعو الله أن يتغمد الأستاذ على السباعي بواسع رحمته وأن يحزيه أحسن الجزاء على ما بذل من جهد ، وما قدم من عمل صالح عميق الأثر في إعلاء شأن اللغة العربية وجمع اللغة العربية .

سيدى الرئيس ، أيها السادة :

في الثلاثينات من هذا القرن، بعد ما تخرجت في كلية العلوم ، كنت أنظر إلى هذا المجمع الموقر على أنه يجمع لأساطين اللغة والفصاحة والبلاغة والآداب لحسب . أما العلويون فلا محل لهم من الإعراب فيه . وكم تمنيت آنئذ وأنا أخطو أولى خطواتي في التأليف والترجمة العلمية،

وأتمش وألث أمام طوقان المصطلحات العلمية الحديثة ، أقول : كم تمنيت آنئذ بل كم تطلعت إلى هذه القلعة الشاخنة أستجدي منها العون والمساعدة . وفي شيء من التردد تلبست يوما طريقى إليها ودخلتها على استحياء بحثا عن بعض المراجع العربية ، وهناك شرفت بلقاء أكثر من قائد من قادة المجمع . وتطرق الحديث بيننا إلى آمال العلويين في المجمع . وهنا كانت المفاجأة لي فقد تبين أن المجمعين حريصون كل الحرص على أن يفسحوا للعلميين مكانا لائقا ويحولونهم بينهم على رحب وسعة ، بأكثر مما كان يتوق إليه العلويون أنفسهم . وما هي إلا بضعة سنين حتى رأينا المجمع يفتح أبوابه بل أحضانه للعلميين ، ويزيد من أواصر الصلة بهم ، ويمحو من آثار تلك العزلة التي باعدت بينهم وبين المجمع زمنا . ثم دخلت مصر الحديثة عصر العلم والتكنولوجيا ، فكان من حسن الطالع أنها وجدت لغة العلم والتكنولوجيا أداة طيعة في ركابها ، تمهد لها الطريق ؛ وتوفر لها مقومات السير فيه . وطرقت لغة العلم الحديث كل أبواب النشاط ، حتى أصبحت على حد تعبير الأستاذ الكبير رئيس المجمع لغة نعيش معها في الحقل والمنزل ، ونرى آثارها في المصنع والمتجر ، يرددها الأطفال في مدارسهم ويعنى بها الشباب في جامعاتهم ويسجلها العلماء في دراساتهم وبحوثهم . ومن حق المجمع علينا نحن العلميين أن ندين له بالفضل ونعترف له بالسبق وبعد النظر ، فقد أحس بالفعل منذ نشأته ، وكأنه كان يقرأ صحف الغيب ، بما سيكون للغة العلم والتكنولوجيا من شأن

منها بصفة خاصة لجنة الفيزيقا النووية التي كان
لشرف الانتماء إليها ، وأمدتها المجمع بالعديد
من المراجع العلمية الحديثة والمراجع اللغوية
الأصلية ،

وبدأت اللجنة مسيرتها بخطا وتيدة تنحس
طريقها الوعر الطويل بجذر تام ، وترددت أول
الامر في خطاها ما بين الترجمة والتعريب ، ما بين
تسجيل المصطلح الحديث وإحياء القديم ، ما بين
الاخذ بالنحت والاشتقاق والنسبة أو رفضها .
ودارت المناقشة في مضمون المفهوم الاساسي
للغة عامة ، وما أكدته اللغة العربية خاصة من
قدرة على استيعاب الجديد مع احتفاظها بجوهرها
القديم الخالد . بهذا المنطلق المتفتح سهل الامر
على اللجنة ، إذ أصبحت مهمتها مقصورة على
اختيار الاسلوب الذي يناسب كل مصطلح على
حدة ، على أن يخضع هذا الاسلوب لاس
وضوابط أو جزها على الوجه الآتي :

أولا — أن على اللجنة تسجيل ما اصطلح
عليه المختصون مادام لا يتعارض مع أصول
اللغة .

ثانيا — أن تبحث اللجنة عن جذور عربية
للمصطلح الجديد في مراجع اللغة فإن اهتمت
إلى لفظ مناسب له فيها ونعمت ، ولكن دون
ترمت . فمن قد نكلف لغتنا شططا إن نحن
صممنا على التنقيب عن أصل عربي لمصطلح
لم يكن موجودا أصلا في العربية . وفي هذه
الحال يصبح التعريب هو المخرج الوحيد .

ثالثا — أن التعريب ليس بدعا في اللغة

في حياتنا العلمية والتكنولوجية ، فأورد لها نصا
صرحا في لائحته يقول بأن « من أهم أغراض
المجمع أن يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم
والفنون في تقدمها ، وملائمة على المعمر لحاجات
الحياة في العصر الحاضر ، . وقد وفي المجمع
رسالتة فهنيئا له ولكم ، وبشرى للعلميين .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

منذ أكثر من خمسة عشر عاما دعيت لأعمل
خبيرا في اللجنة ومصطلحات العلوم الفيزيقية
والهندسية ، حيث تتلذذ فيها على يد رائد الجيل
الفيزيقي المجمع العريق المرحوم الاستاذ مصطفى
فضيل . وما كان أسعدنى هذه الدعوة الكريمة التي
نالت منى كل تقدير وترحيب ، إذ وانتى وأنا
غارق في خضم المصطلحات الفيزيقية الحديثة ،
ما بين مصطلحات الفيزيقا الكلاسيكية في صورة
جديدة متطورة ومصطلحات للفيزيقا التي صيغت
العصر الحديث بصفتها حتى تسمى باسمها ؛ فعرف
بعصر الطاقة النووية وعصر الإلكترونيات
وعصر الفضاء وما إلى ذلك . وكان تلاحق هذه
العصور سريعا بحيث لم يترك لنا نحن الفيزيقيين
فرصة لانتقاط الأنفاس ، وشغلنا باستيعاب الجديد
من العلم عن الاهتمام بالمصطلحات وتعريبها .
وتصدى عدد من الهيئات العلمية لميدان التعريب
ومنها الاتحاد العلمى العربى وأكاديمية البحث
العلمى وغيرهما ، ولكنها لم تصمد أمام تيار
المصطلحات العنيف . وعندئذ جاء المجمع الموقر
الذى لم يذس رسالته السامية يوما فأسرع بإدلاء
دلوه ، فشكل لجانا متخصصة تخصصا دقيقا ، تضافر
فيها العلمى المتخصص واللغوى الضليح ، وأذكر

اللاتينية . فإن كان لابد من الترجمة بالتنقيب عن المعنى الاصيل له فلتسكن تسميته ، علم دراسة قوانين الطبيعة ، . ولكن حتى هذه التسمية الوافية من حيث اللفظ أو التسمية الاولى المختصرة المختلة ، عليهما أكثر من مأخذ .

أولاً: أنها وضعت على أساس مفاهيم محدودة لهذا العلم ، وهى مفاهيم تقصر اليوم عن الإحاطة بمضمونه الحديث .

ثانياً: أن ترجمة لفظ Physics بالطبيعة يلتبس مع ترجمة لفظ nature بالطبيعة أيضاً ، وهذا اللبس كثيراً ما يوقعنا فى مأزق إذا ما اجتمع اللفظان مما فى عبارة واحدة كأن نقول
The physical nature of Sorso

من هنا رأى عدد من الاقطار العربية تعريب اللفظ Physics ووضعوا له لفظ « فيزياء » ولكن للأسف جاء هذا الاختيار أيضاً غير واف بمبادئ وأصول التعريب السليم لبعده عن الأصل وتحرره دين مسوغ ، اللهم إلا إذا كان المسوغ هو ما يحمله لفظ فيزياء . من سجع مع لفظ كيمياء وهو مسوغ غير مقنع . وبالبحت فى مراجعنا العربية عثرنا على لفظ أكثر استقامة وملائمة وهو لفظ « فيزيقا » الذى يجمع بين الاختصار وسلامة التعريب بالاحتفاظ بالأصل ورنين النطق العربى الجميل . هذا بالطبع بالإضافة إلى تشبيه مع اللغات العالمية المعاصرة . ويسرني أن أسجل فى هذه المناسبة أن الفضل الاول فى إحياء هذا اللفظ « فيزيقا » يرجع إلى المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف رائد الفقهيين .

العربية أو فى أى لغة سواها ، وبالتالي ليس لنا أن نخشاه أو نعمل على تحاشيه . ولنا خير قدوة فيما أخذ به العرب قديماً فى التعريب من جميع اللغات المعاصرة . بل إن فى التعريب إثراء واضحاً للغة من ناحية وبجارية للغات العالمية العلمية من جهة أخرى . وهذا العامل الأخير له وزنه أمام طوفان المصطلحات الجديدة وتقارب اللغات العلمية الحية فى عصر يتسم بالتقارب والتعاون الدولى فى شتى المجالات .

رابعاً - أن المعنى الواحد يجب أن يودى باللفظ واحد فقط سواء كان مترجماً أو معرباً ، على أن يكون هذا اللفظ صالحاً للاشتقاق والنسبة ما أمكن .

بهذه الضوابط والاسس وضع طريق اللجنة واتسعت خطاها ، وأنت أولى ثمارها بإخراج المعجم الاول المتخصص فى الفيزيكا النووية . وهو خير هدية يهديها المجمع إلى الوسط العلمى الفيزيقي وغير الفيزيقي ، لا فى مصر وحدها بل فى أقطار الوطن العربى وأرجائه الواسعة .

سيدى الرئيس . أيها السادة :

مادمنا فى سياق الحديث عن الترجمة والتعريب فأرجو أن يتسع صدركم فتأذنوا لى بعض وجهة نظر لها عندى أهمية خاصة ، لأنها تناول اسم العلم الذى أثار فى تشبيهه فى المجمع ، هذا العلم هو مادرجنا على تسميته فى مصر باسم « علم الطبيعة » . هذا الاسم ترى فيه اللجنة المتخصصة ترجمة غير وافية لكلمة Physics

سيدى الرئيس . أيها السادة :

ولسكنها لغة ثنائية إن جاز لنا أصلا أن نسميها لغة ، فهي لغة تخطط بين اللغتين معا ، وباليته خليط مفهوم ، ولسكنه خليط عجيب من لغة عربية ركيكة ولغة انجليزية أكثر ركاكة مندجين معا أو منصهرين معا . هذه الصورة المضحكة المبكية لما آلت إليه حال حال اللغة العلمية اليوم في الجامعات وغيرها هي في نظري ناقوس الخطر الذى أدقعه للمجمع العريق لى يزيد جهوده الموفقة التى بدأها على الطريق السوى خدمة للعلم والتعليم وإنقاذا للغة العلمية مما هوت إليه من حضيض .

سيدى الرئيس : أيها السادة :

استمحيكم عذرا عن هذه الإطالة . وأطلب الصفح منكم عن زلاتى . وأشكر لكم سماحتكم وسعة صدوركم فى الاستماع إلى . وأدعو الله لى ولكم بالتوفيق والسداد . والسلام عليكم ورحمة الله

إن رسالة المجمع نحو العلم والتكنولوجيا كما أراها ، يجب ألا تنتهى عند وضع المصطلحات وتحقيقها وتقنينها . بل يجب أن تنشر هذه المصطلحات على أوسع نطاق بين المشتغلين بالعلم فى الوطن العربى الكبير المتعطش لها فى كل مكان . وأتألم نحن العلميين نبارك هذه البادرة الجديدة للمجمع فى إخراج المعاجم العلمية العالمية المتخصصة ، ونأمل منها المزيد والمزيد ولن أكون مغاليا إن ذكرت لكم أن أساتذة الجامعات وطلابها يعانون اليوم الكثير من الشطط والمثقة فى لغتهم العلمية وعندى الدليل على ذلك بما يسمعه الكثير منا من المتصلين بالتدريس الجاهل فى الكليات العلمية ، حيث وتنشر اليوم لغة لا هى بالعربية كما تقضى به اللوائح وما يجب أن يكون عليه الأمر ، ولا هى بالانجليزية نمشيا مع الاستثناء الوارد باللائح .

..... كلمة الدكتور إبراهيم مدكور

فى ختام الجلسة

سيدادى : سادى :

لا أشك فى أنكم لمستم فى هذه الجلسة الطويلة الممتعة أنها تربط الحاضر بالماضى ، وتلك سنة هذا المجمع لا ينسى ماضيه مطلقا ، ولا يغفل ضرورات العصر بحاجة ، وأظنها السنة السديدة التى نرجو الله أن نوفق لها دائما ، ولاشك أن سنة التجديد المعجمى نفسها معينة ونافعة فيما نضطلع به ونجد له . ومرة أخرى أخى السادة الزملاء بمساهمتهم واشترآكم معنا ، وأشكر لكم جميعا حسن استماعكم وعظيم جلدكم ، فمكثنا المجمعيون دائما فاعذروهم إن كانوا قد أطالوا عليكم ، والسلام عليكم ورحمة الله،

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٢ من ربيع الأول سنة ١٢٩٥ هـ الموافق
٢٦ من مارس سنة ١٩٧٥ أقيم المجمع حفل تأبين عضوه المرحوم الدكتور مراد كامل ،
وفيما يلي ما ألقى في الحفل :

كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس المجمع

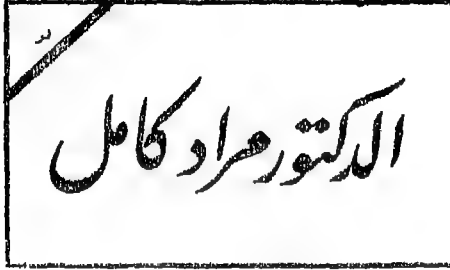
سيداتى ، سادى ..

نودع اليوم زميلا كريما ، وعالما جليلا ، هو الدكتور مراد كامل الذى أعطى مجمع اللغة
العربية طوال ربع قرن أو يزيد ، أعطاه وأجزل له العطاء ، حين كان خبيرا فى لجنة المعجم
الكبير نحو ثلاث عشرة سنة ، وحين أصبح عضوا به نحو خمس عشرة سنة . وأعطاه وأجزل
العطاء فى لجانته ومجلسه ، وفى مؤتمره ، وفى مجلته ، وغناه ببحوث مفصلة عميقة ، ودقيقة ،
فجزاه الله المجمع ، وعما قدمه من دراسات لغوية خير الجزاء .

ويقوم الزميل الدكتور عثمان أمين بإلقاء كلمة المجمع فى تأبينه ؛ وسيتولى الدكتور بورس
عباد إلقاء كلمة الأسرة .

والكلمة الآن للدكتور عثمان أمين عضو المجمع .

كلمة الدكتور عثمان أمين في تأبين :



ولقد وعت الشبيبة من جيلنا الجامعي هذه المغاني ، وحرصت على أن تجعلها نبراسا لها في حياتها الدراسية ، ومن بعد ذلك في حياتها العامة وخاصة . وكان ذلك علينا ميسورا ؛ فقد شهدنا المثل الطيبة يحققها أمام أبصارنا قادة أمتنا . فزعيم ثورة ١٩ لم يتردد لحظة في أن يعهد بأمانة الوفد إلى مكرم عبید ، وأن يختار من معاونيه رجالا من أمثال واعف غالي وويصا واصف وسيتوت حنا وغيرهم . وبفضل سعد وشوره العميق بمصريته التف الشعب حول فكرة واحدة هي فكرة الوطنية ، وآمن بعقيدة راسخة هي الامة المصرية . وهذه الروح النابضة استطاع وعى مصر وخيرها أن يسدا الهوة التي أرادها المستعمرون الغاصبون للتفريق بين الأقباط والمسلمين .

وما أحسب أن أحدا من أبناء جيلي ممن أتيسح لهم ما أتيسح لي يستطيع أن ينسى يوماً مشهوداً حقا من أيام مصر ، حين وقف شيخ الأزهر مع شيخ القبط ، واليد في اليد ، يخطبان الجماهير المتراعة الحاشدة في ساحة الجامع الكبير وسط حماسة متقطعة النظير . وما أستطيع أن

منذ نحو نصف قرن من الزمان ، انعددت بيني وبين الفقيد الراحل وشائج قوية غنتها الجامعة المصرية . ففي العام التالي لإنشائها جامعة أميرية ، التحقنا — مراد كامل وأنا — بكلية الآداب ، وقد كانت الحياة في كلية الآداب آنذاك حياة جوائية بمعناها الصحيح : الاساتذة وهيئة التدريس والعاملون والطلاب أسرة واحدة متأزرة ، يلتقي أفرادها على التعاطف العقلي والانتباه الحضاري ، وكذلك كان شأن الجامعة على العموم ؛ لا فرق بين كلية وكلية ، ولا بين قسم وقسم من أقسام الكلية الواحدة . الجامعة المصرية كانت رمزا وشعارا يعتز الجميع بالانتساب إليه .

وفي بداية الربع الثاني من هذا القرن كانت الروح الوطنية لا تزال متأججة مشبوبة لم تخمد لها نار . فقد أدرك سعد زغلول بفتنته ورجاحة عقله أن « المصرية » هي الغذاء الصحيح لهذه الامة ، وأدرك الملك فؤاد برجابه أفقه ان لمصر رسالة حضارية عريقة ، وأن موقعها الثقافي يجعلها أجدر الشعوب بالترسط بين الشرق والغرب ، كما قال « رومان رولان » بحق منذ نصف قرن .

وقد كانت الصلة بيننا وبين أولئك الأساتذة جميعا صلة وثيقة ميسورة ، وكانت أسبابها لدينا موفرة ؛ فعدد الطلاب محدود معقول ، وجميعهم مقبلون على الدرس والتحصيل ، نازعون إلى الجد والرجولة وإلى ضرب من المثالية العاملة المنبثقة من التجربة المصرية ، والمستغنية بأصالها عن التوجيهات الاجنبية .

والنظرة المثالية هذه من حيث إنها تدفع الناظر إلى التفاني في نصرة القضية التي يؤمن بها . هي الجانب الذي استهوانى في شخصية « مراد كامل » جعلنى أرى فيه ممثلا لفريق من الصفوة يؤمنون بالفكرة ، ويحيون في عالم جديد من صنعهم ، هو أرفع في نظرهم من العالم الواقعي الذي يقنع به « البرانيون » و « التراييون » ولم يكن عجيبا عندنا أن يرى « مراد كامل » في أقل الأشياء قيمة في نظر الناس سحرا وبدايع وأعاجيب ، ذلك لأن الإبداع والجمال مستقران في النفوس قبل أن يكونا في الأشياء . وقد كان الشاعر الإنجليزي على حق حين قال : « إن الجمال في أعين الناظرين » .

لقد حدثنا عباس العقاد عن صديقه المازني فوصفه بأنه كان « مندورا » الأدب العربي بكل ما نفهمه اليوم من معنى لكلمته النذر ، وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه « مندور » لهذا المعبد أو هذا الحرم ، فهموا من ذلك أنه قائم في خدمة معبده طـسول حياته ، وأنه لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياره ، لأن أرواح المعبد وجنوده ترده إليه إذا انصرفت

أنسى خطبة سمعتها آنذاك من مسكرم عبيد عن « شخصية سعد » ، وقد كانت في نظرنا وما تزال من روائع الفن الخطابي العربي ، يجري فيها الخطيب القبطى على غرار البيان القرائى ، ويفتن في ذلك أيما افتتان ..

ولقد كنا جميعا — مراد كامل وأنا وزملاؤنا من الدارسين في ربوع مصر — حريصين أشد الحرص على استظهار هذه التحفة والترنم بها في لقاءاتنا وغدواتنا وروحاتنا . فلا غرابة في أن « مراد كامل » ، وقد نشأنا في هذا الجو الحثيفى بلغة القرآن ، يختار أن يلتحق بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب .

وقد حظيت هذه الكلية في أول عهدها بنخبة ممتازة من الأساتذة الأرييون حرص المسئولون عن الجامعة على استقدامهم من أكبر جامعات الغرب ، أذكر منهم الأساتذة الفرنسيين « لاند » و « برييه » و « لوبروتون » و « ميشو » والاستاذ الإنجليزي « دوبريه » والأساتذة البلجيكيين « جريجـوار » و « جرانـدور » و « هوستليه » . وأذكر طائفة من الاعلام المستشرقين : « نلينه » و « جويدى » الإيطاليين و « برجستراسر » و « ليتان » الألمانيين . كما حظيت الكلية بغير قليل من أعضاء هيئة التدريس المصريين النابهين ، أخص بالذكر منهم : طـسه حسين ، وأحمد أمين ، ومصطفى عبد الرازق ، ومنصور فهمى ، وشفيق غربال ، ومصطفى عامر ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد الحميد العبادى ، وإبراهيم مصطفى — رحمهم الله رحمة واسعة .

الطويل ؛ فشكل ما له صلة بمشاعله الجوهرية من قريب أو من بعيد ، فهو يقف أمامه عن طيب خاطر ويملا منه عينيه ويروي الفكر فيه .

إن حياة مراد كامل حافلة بهذه المعاني : نشوة المعرفة ، وخدمة الثقافة ، فلا عجب أن يخلف لنا في هذين المجالين ثروة لا يستهان بها ، حصلها في عكوف وصبر وأناة ؛ فهذه المكتبة العلمية الزاخرة التي أهداها للكنيسة المرقسية ، وهذه البحوث اللبقة والمقالات النفاذة التي نشرها على مدى أربعين عاما ستبقى ثروة مصيرية لإنسانية ، وهي عندنا مناط الاعتزاز حين يتفاخر غيرنا بالاموال .

أمام ظاهرة الموت وقف حفي ناصف يتساءل :
أتقضى معنى إن حان حينى تجارى ؟

ونحن نجيبه فنقول : « كلا لن تقضى معنا تجاربنا » . والنضل في ذلك كله راجع في كل زمان ومكان إلى درجة الوعي عند الأحياء من المريدين والأنصار ؛ وما أحسب إلا أن طلاب مراد كامل وتلاميذه العديدين سيذكرونه ويتسمون مثاله ؛ لأن اللاحد الحقيقي للأموات ليس هو القبور التي تملأ الرحاب ، بل هو قلوب الأحياء حين يعترىها النسيان .

وجهته عنه ، فلا تبقى لنفسه بقية لغير الوفاء بنذره وإذا جازى اليوم أن أستعير هذا الوصف في الحديث عن مراد كامل ، قلت إنه كان منذورا للغات السامية وللكنيسة القبطية . كان منذورا للغات السامية التي أثرى بها بحوثه في اللغة العربية وآية هذا إسهامه المشكور في جلاء ألفاظ المعجم الكبير ، وكان منذورا أيضا للكنيسة القبطية ، فكانت رسالته أن يعزى آثاره وبحوثه العديدة « مكانة الأقباط في ركب الحضارة العالمية » ، وأحسب أنه قد مهد لاداء هذه الرسالة بدراسات في صلة الأدب الحبشى بالأدب القبطى ، وفي الرهبنة في الحبشة ، وفي بلاد النجاشى ، وفي مكتبة دير سانت كاترين في طور سيناء !

للفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون كلمة مأثورة تخطر ببالى حين أفكر في مراد كامل ؛ يقول « بيكون » : « لنا يجب أن نصير كالاطفال إذا أردنا أن ندخل ملكة العلم » ومعنى هذا أن من نذر نفسه للمعرفة فما ينبغي له أن يتخلى عن خلق الدهشة والمبالاة والإعجاب ؛ ينظر إلى الأشياء في نفسه وفيمن حوله وكأنه يفتح عينيه لأول مرة ، كل شيء يستوقفه ويستثير انتباهه . وكذلك كان مراد كامل ، كما عرفته على المدى



... كلمة الأسرة

ألقاها نيابة عنها الدكتور بولس عياد

في وفاته للجسد البشري يشعرك أنه ينتمى
لكل أمة من أمم الأرض .
محسن بغير حدود ، عطوف على من غدر
به للزمن .

على دراية واسعة بأمور الحياة ولوازمها .
له ذوق فنان في اختيار ما يناسبه من
أمر حياته .

هذا هو أستاذي الدكتور العلامة مراد كامل .
سمعت عنه من بعيد وعرفته عن قرب ، سمعت
عنه عندما كنت بالسنة الأولى بكلية الآداب ، وكان
بعض زملائي يذكر أن أممي بين الحين والحين
أن هناك أستاذا علامة يجيد العديد من اللغات
الاجنبية وعلى جانب عميق في تدريسه وأبحاثه .

وبمضي الوقت سمعت عنه الكثير حتى رأيت ذات
يوم في أحد مدرجات الكلية بمناسبة « ندوة »
خاصة بمشكلة من مشكلاتنا . وكانت طريقته في
الإجابة عن أسئلتنا وقدرته على الإقناع أخاذاً ،
أدهشتني وأدهشت كل من سمعه . ورأيت مرة

أخرى في امتحان اللغة المهرية القديمة (الفرع
المهروغليقي منها) فكانت ورقة الأسئلة غير
واضحة ، وسألنا الأستاذ المراقب أن يتكرم فيخبر
لجنة الامتحانات بالكلية عن مشكلتنا ، وفعلاً تحدث
مع المسؤولين ووجدنا بعد دقائق الدكتور مراد
كامل يلينا ، يقرأ لنا ما غمض من ورقة الامتحان ،
وجميعنا يعرف أن سيادته متخصص في اللغات
السامية ، وها هو يجيد اللغة المصرية كذلك !!

أستاذي كما عرفته :

عملاق من عمالقة القرن العشرين .
عبقريته خلاق ، وقريحة مثقبة .
حاضر البديهة ، لماسح ، ثاقب الفكر .
يعمل ليل نهار بلا ملل أو كلل .

قارئ ممتاز يقبل على الكتب بكل شغف
وجهد حتى ينهي كل ما يقع بين يديه منها .
نبيل في تصرفاته ووقفاته .

خديم لكل من يسأل خدمة .
لا يئن أو يتذمر حتى في أشد أوقات مرضه .
لم أسمع قط يشكو أو يتضجر مهما مرت
العواصف في حياته .

لا يعبد ولا يقطب الحبين
مبتسم ، سريع الفكاهة .

متواضع ، هادئ النفس وديع القلب .
رحيم ، شفوق ، لا يحب القسوة .
لا يحمل الإساءة للمخلوق .

يغفر للآخرين ولا يعرف للانتقام .

واسع الأفق ، يقبل التفاهم حتى لو كان الطرف
الآخر على اختلاف معه في وجهات النظر .
من خلال مناقشاته الهادئة وأحاديثه العابرة
تحس أنه عالم نادر المثال .

كانت صداقته للآخرين مبنية على الصداقة
الخالصة ، تبعد عنها المصالح الشخصية .

ومن الأمثلة الحية على تشجيع أستاذنا ،
أتنى في يوم — نتيجة لقراءاتي — بدأت أكتب
عن نظرية جديدة ، مخالفة للنظريات التي سبقتني
وعرضت نتيجة أبحاثي على أستاذي ، فما كان
منه إلا أن قال : « استمر في عملك هذا ؛ فأنا واثق
أن ما حصلت عليه من نتائج يعتبر صائبا ، وأنا
أففق معك ، وأختلف مع علماء اللغة الآخرين » .
وأكملت نظريتي بعد حصولي على الدكتوراه
ونشرها تحت عنوان .

The Topography of Elephantine,
according to Aramaic Papyri.
وقد وجدت قبولاً من علماء اللغات السامية
الذين أهديتهم بحثي .

وهكذا كان لتشجيع أستاذي لنا أن نخرج
دائماً بنظريات جديدة وآراء لم يسبقنا فيها أحد ،
وما من طالب يتلمذ على يد الدكتور مراد كامل
إلا وقد تعلم منه الكثير ، فقد كرس حياته لخدمة
طلابه ومحبي علمه ، ولا عجب فهو لاء الطلبة
هم الآن أساتذة يتولون مراكز مرموقة في الدولة
والفضل الأول مرده إلى أستاذي .

وأذكر أن جامعة روما أوفدت الطالبة
الإيطالية إدة برشيانى : Edda Bresciani لكي
تستكمل دراستها على يد الأستاذ العالم مراد كامل
واستمرت دراستها معه لمدة عام من (١٩٥٨ —
١٩٥٩) وقد قابلتها في هذه الأثناء ؛ فوجدتها
تشيد بالخير والثناء على الجهود العلمية العظيمة
التي بذلها أستاذي معها وكيف أنه لم يبتخل عليها
بعلمه أكثر من هذا فقد أشركها في التأليف معه
في كتابه الذي ظهر تحت عنوان :

Edda Bresciani and Murad Kamel,
- Le lettre aramaiche di Hermopoli,

ثم تكرر لقاءى مع الدكتور مراد كامل ، وخاصة
عندما التحقت بمعهد الدراسات القبطية ١٩٥٦ ،
وكان لي شرف الالتحاق بقسم الدراسات السامية
الذي يتولى سيادته الإشراف عليه ، وبينما كنت
أقوم بالدراسة معه في هذا المعهد طلبت أن يسمح
لي بشرف آخر ؛ وهو أن أقوم بالتحضير معه
للدكتوراه ، فوافق سيادته ، ثم وافقت الكلية ،
وبدأت أتعامل مع أستاذي أكثر فأكثر حتى عرفته
عن قرب .

وطوال دراستي معه (١٩٥٨ — ١٩٦٣) لم
أر أستاذي يرضن على بعلمه ، فكان رحمه الله كريماً في
نصائحه مخلصاً في توجيهاته ، مشجعاً لي ولغيري على
القراءة والبحث والتقيب والكتابة والنشر ، وكثيراً
ما كنت أجد أسماء مراجع أجنبية مذكورة في
بعض الكتب ولا أجدها في مكتباتنا المصرية
فأذكر هذا له ، فكان يغيرها لي حتى لا أتعطل عن
أبحاثي . وعرفت من زملائي أن أستاذنا كان كريماً
أيضاً مع طلابه أجمعين ، لم يبتخل على أحد منهم
بنصيحة مخلص ، بل دائماً يقف بجوارهم يشد أزهم
لكي يراجحوا الحياة وما فيها من معوقات ، حتى
يتم لهم النصر بفضل ما جبل عليه أستاذنا من محبة
لنا وتقدير ، يجعلنا نعمل ليل نهار حتى نعرف من
مناج العلم ، فبذلك نصل إلى المكانة التي تليق
بإشرافه علينا .

ومع كل هذه السنين التي عرفت فيها أستاذي
عن قرب لم أره إلا جهم التواضع ، يحترم كل من
يعمل معه ، ولم أسمعه يوماً أنه ذم إنساناً أو حقر
من قيمة فرد أو تعالى على مخلوق . وكل هذه
الصفات جعلت من أستاذي رائداً من رواد
التربية في بلادنا العزيزة .

ألمانيا لكي يواصل دراسته للغات السامية وقد حصل على الماجستير وبعدها دكتوراة الجامعة عام ١٩٣٥ .

وبعد ثلاثة أعوام من الدراسة المتصلة حصل على دكتوراه الدولة من نفس جامعة توبنجن بألمانيا عام ١٩٣٨ وأثناء تحضيره للدكتوراه حصل على دبلومين: الأول في اللغة اللاتينية يونيه ١٩٣٤ والثاني في اللغة اليونانية أكتوبر ١٩٣٤ . ومنذ أن التحق مراد بالتعليم الابتدائي حتى حصوله على أعلى الشهادات الدراسية وهي

Dr . Phil Habil كان من المتفوقين دائماً في مراحل تعليمه ، وحصل على العديد من الجوائز نتيجة لهذا النجاح المرموق ولذكائه النادر .

وسألت الأستاذ جرجس كامل عن أسباب تخصص الدكتور مراد في اللغة العربية وباقي اللغات الأخرى ، فأجاب سيادته أن حب مراد للغة ليس بجديد على العائلة فكان جدي وهو الأستاذ « جرجس ميلاد » بالرغم من وفاته في القدس ولم يبلغ من العمر ٤٢ عاماً ولكنه أجاد العربية والانجليزية ، وقد وضع قاموساً « انجليزي — عربي » كما قام الأستاذ جرجس ميلاد بتحرير إحدى الجرائد التي كانت تصدر في ذلك الوقت لمحاربة المستعمر وعنوانها « المستقل » وربما تكون هذه إحدى الأسباب التي دفعت مراد لحب اللغة العربية وباقي اللغات التي تخصص فيها فيما بعد ،

استاذي وثقافته :

لم تكن ثقافة الدكتور مراد محدودة بتخصصاته ، وحتى تخصصاته كان يضيف إليها الجديد في كل يوم بما يقرأه من مراجع وكتب ،

Atti della Accademia Nazionale dei Lincei, Classe di Scienze Morale Memorie Ser VIII, 12. Roma, 1966.

وعثرنا في مكتبته على العديد من كرات وخطابات التهنئة والشكر المرسلة إليه من الخارج من طلابه المصيرين والأجانب ، يشكرون فيها أستاذهم الدكتور مراد كامل ، على تدريسه أو لما أداه لهم من خدمات علمية أو إنسانية ، عندما كان يقوم بالتدريس لهم في جامعات الغرب .

استاذي ونشأته الأولى :

ومع معرفتي الطويلة بأستاذي لم أسأله يوماً عن نشأته الأولى والنشأة بشقيق الدكتور مراد كامل وهو الأستاذ جرجس كامل مدير عام بمؤسسة السكرام بالقاهرة ، وعضو مجلس إدارة بالشركة العامة للمشرعات السكرائية ، وسألته عن نشأة أستاذي الراحل فقال : كان أخي مراد وأختي (زوجة المستشار عبد الشهيد يسي) وأنا ، نعيش في منطقة الظاهر والفجالة وسكننا ونحن في عهد الطفولة في شارع الجد ، وكان لنا فيه أملاك وحديقة ضخمة ، كما كان والدي يمتلك أكثر من مائة فدان ، وقد عصفت بنا الأحداث ونحن في سن مبكرة جداً إذ توفي والدنا عام ١٩١٤ ومراد في سن السابعة من عمره ، وتوفيت والدتنا عام ١٩٢٠ وقد بلغ مراد الثالثة عشرة ، فتولت عممتنا تريبنتا ، وقد التحق مراد بالمدرسة المارونية الابتدائية وبعدها أكمل دراسته بمدرسة التوفيقية الثانوية . وعند ما حصل على شهادة البكالوريا ، التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية واللغات الشرقية وتخرج من الجامعة عام ١٩٣٠ ، فأوفدته الجامعة على نفقتها في بعثة إلى

والألمانية . وعند رجوعه من ألمانيا في عام ١٩٧٤ عرض عليه الاستاذ الدكتور عبد المنعم أبو بكر عميد كلية الآداب السابق والاستاذ بكلية الآثار أن يدرس منجها لطلبة الآثار ، عن اللغة المصرية القديمة - الفرع الهيروغليفي منها - لطلبة السنوات النهائية ، فاعتذر سيادته لضيق وقته ولتعب صحته .

ومن بين اللغات التي درسها لطلبته وخاصة في الغرب اللغة السواحيلية ، كما أتقن اللغة النوبية المسيحية ، وكنا زمعين أن نضع مؤلفا عن هذه عن هذه اللغة ، وقد سرت بأبحاثي قدما في هذا المجال ، ولولا انتقال أستاذي لعالم الخلود لواصلنا البحث حتى الانتهاء منه في مدة وجيزة .

كما أتم أستاذي إلماما كبيرا باللغات السودانية وباقي اللغات الإفريقية الأخرى ، واستمعت إليه وهو يحاضر في حديث طلي في أكثر من مناسبة عن هذه اللغات الإفريقية ، وكانت إحداها في معهد الدراسات القبطية بالقاهرة .

وقد تخصص سيادته في اللغات الأثيوبية الفرع السامي منها وغير السامي ، وقد نشر سيادته الكثير من المخطوطات التي كتبت بالجعز ، أما عن الأمهرية فكان يتحدث بها بطلاقة أدهشت كل من كان يسمعه يتحدث بها ، ومن أجل هذا الإتيان وحبه للحبشة وخدماته الجليلة لهذه البلاد - عندما كان رئيساً للبعثة التعليمية في الحبشة - اتخذته الحكومة الأثيوبية مستشارا فنيا لها في وزارة المعارف ، كما اتخذته الامبراطور السابق « هيلاسلاسي » صديقا حميلا له وامتدت صداقته لعدد كبير من الأثيوبيين .

وبما يسمعه من محاضرات وندوات ، وبما يشاهده من متاحف وبلدان ، وبين يقابله من علماء . ومن ثم فقد أتقن أستاذي عديدا من اللغات ، ومن بين اللغات التي كان يؤلف ويتحدث بها : العربية والأمهرية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية . أما عن اللغات التي كانت محور دراسته وتدخل في نطاق تخصصاته ، نعدد منها اللغة السومرية بنقوشها الإسفينية .

اللغات السامية : البابلية والآشورية ، وهذا هو الفرع الشرقي منها ، أما عن الفرع الغربي فقد أجاد سيادته لإجادة تامة : السكتانية ، والفينيقية ، والبنونية ، والعبرية ، والمؤابية ، والآرامية بلهجاتها الشرقية والغربية على السواء ، والعمورية والأوجرتية (لغة رأس شمرا بشمال سوريا) والنبطية ، والتدمرية . والفروع السابقة هي الفرع الشمالي من اللغات السامية . أما عن الفرع الجنوبي منها ، فقد أحب سيادته اللغة العربية ، وكثيرا ما كان يتحدث بها بطلاقة وله أسلوب بليغ أخاذ استخدمه في تأليف أبحاثه .

كما أتقن سيادته اللغة السبئية والمعينية والحيرية واليمنية والليحانية ، بالإضافة إلى اللغات غير السامية في الجزيرة العربية . وأخذت اللغة الحبشية وهي لغة آسيا الصغرى - نصيبا كبيرا من دراسته أما عن اللغات الإفريقية ، فكان يرغب سيادته في تأليف مجلد عنها محاولا أن يجعل منها لغة إفريقية موحدة عالمية .

وقد أتقن سيادته اللغة المصرية القديمة ، والقبطية بلهجاتها البحرية والفيومية والصعيدية

لـسكى تعتمد عليه فى كثير من النواحي الأكاديمية فأوفدته وزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف العمومية سابقاً) مديراً للبعثة التعليمية المصرية إلى أثيوبيا ، واستمر هناك حوالى عامين (مارس ١٩٤٣ - أبريل ١٩٤٥) . كما مثل الجامعة المصرية فى مؤتمر المستشرقين ٢١١ المنعقد فى باريس فى يولييه ١٩٤٨ ، كما أعاد إنشاء مدرسة الآلسن واختارته الحكومة لـسكى يكون أول مدير لها عام ١٩٥٢ . ثم انتدب كأستاذ زائر للجامعة « أنزبروك » فى صيف ١٩٥٢ . ومثل الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) فى أكثر من مؤتمر ؛ كمؤتمر دراسات العهد القديم : المنعقد فى « كوينزاجن » فى ٢٥ يولييه ١٩٥٣ ، ومؤتمر المستشرقين المنعقد فى « كامبردج » فى أغسطس ١٩٥٤ ، ومؤتمر المستشرقين المنعقد فى ميونخ فى أغسطس ١٩٥٧ ، كما قدم عدداً كبيراً من المحاضرات فى سالزبرج فى أغسطس ١٩٥٦ .

الهيئات التى أشترك فى تأسيسها :

وأشترك أستاذى فى تأسيس بعض الهيئات العلمية منها مدرسة الآلسن العليا ، وأكاديمية العلوم المصرية ، ومعهد الدراسات القبطية ، كما اختير من بين خمسين عالماً لإنشاء إحدى الجامعات السويسرية .

الجمعيات والهيئات والمعاهد التى نال زمالتها وعضويتها :

ومن أجل الشهرة التى نالها أستاذى فى مراحل حياته اختير عضواً عاملاً بالهيئات الآتية :

أما عن اللغات الآسيوية ، فلم يهملها أستاذى فقد أعطاها حقها من الدراسة والبحث والإتقان ومنها الأرمنية والروسية والسندسكريتية ولغات الهند ، كما تعلم وهو فى الخمسينات اللغتين الصينية واليابانية .

ونال سيادته دبلومين فى اللغات الأوربية القديمة وهما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

ومن هنا جاءت الخس وأربعون لغة التى أتمن أستاذى معظمها .

المناصب التى شغلها أستاذى : فى التدريس والمؤتمرات التى انتدب إليها .

وبعد رجوع الدكتور مراد كامل من بعثته عين بوظيفة مدرس بقسم اللغات السامية بكلية الآداب جامعة القاهرة . وتدرج سيادته فى سلك التدريس حتى رقى إلى وظيفة أستاذ ورئيس القسم ، وبالإضافة إلى عمله فى الجامعة فكانت المعاهد والكلليات الأهلية تحاول أن تستفيد بخبرات أستاذى فى مجالاته ، فمتطوع للتدريس بالسلكية الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية ، كما قام بالتدريس فى معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، كما استعانته به الجامعة الأمريكية بالقاهرة للإشراف ومناقشة بعض رسائل طلبتها فى الماجستير والدكتوراه ، مع تيامه أحياناً إعطاء بعض البرامج الدراسية فى نفس الجامعة .

ولم تجرد الحكومة والجامعات والهيئات العلمية المصرية أفضل من الدكتور مراد كامل

كامل حوالى مائة وسبعين بحثاً مما يدل على أن سيادته كان على إلمام ضخم بالميادين الآتية :

- ١ - اللغويات : أصول اللغة وقواعدها وتاريخها .
- ٢ - الآداب العالمية .
- ٣ - دراسة المخطوطات وتحقيقتها .
- ٤ - علم الخطوط .
- ٥ - البرديات والنقوش وشواهد القبور والاستراكا (الشقف) .
- ٦ - الفنون القديمة والحديثة .
- ٧ - دراسة الأديان .
- ٨ - تاريخ وحضارة الشرق في عصوره القديمة والوسيطة والحديثة .
- ٩ - سير العلماء .

١٠ - الفهارس (السكتالوجات) والمعاجم (القراميس) .

وسنفرد هنا بعضاً من أبحاثه في الميادين السابقة الذكر .

١ - اللغويات : أصول اللغة وقواعدها وتاريخها .
فقد ألف فيها سيادته حوالى الأربعين بحثاً .
وكان أول ما نشر عن اللغويات ، بحثه بعنوان :
العربية وتأثيرها على لغة التحدث النوبية .
وقد نشر البحث في عام ١٩٢٧ .

ومن أبحاثه في اللغويات : مباحث عربية ،
اللغات السودانية الشرقية ، ترجمات من العربية
إلى الأدب اللاتينى . المطالعة العربية للمدارس
اللاتينية ، الأساس فى القراءة الامهرية ،
قواعد اللغة العربية للمدارس الابتدائية ، ثلاثة

عضو المجمع العلمى المصرى عام ١٩٥٠ ، عضو
المعهد الشرقى ١٩٥٣ ، عضو معهد الدراسات
الشرقية ١٩٥٤ ، عضو الجامعة الدولية لعلوم
دراسة الاسماء بلوفان (بلجيكا) ١٩٥٥ ،
عضو الاكاديمية الالمانية للآثار - برلين ١٩٥٩ ،
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦١ ، عضو
شرف المعهد التشيكوسلوفاكى لدراسة الآثار
المصرية بجامعة كارل براغ ١٩٦٥ ، عضو
لجنة نوبل للسلام ١٩٧٠ . كما كان وكيلاً لمعهد
الدراسات القبطية بالقاهرة ، ووكيلاً لجمعية
الآثار القبطية بالقاهرة . وبعد بلوغه سن الستين
عين أستاذاً مدى الحياة فى جامعة فرايبيرج
بألمانيا ، كما كان عضواً بأكاديمية العلوم الالمانية .

الوسمة التى حصل عليها :

وبسبب ما أداه أستاذاً فى مجالات
الآداب والعلوم الاجتماعية للعالم أجمع ،
كرمته الدول فنحتته أو سمتها تقديراً
لكفاءته الممتازة وعلمه الغزير . فقد منحتة
ألمانيا وسام جوته الفضى عام ١٩٥٧ ، ومنحتة
الحبشة وسام أنيوبيا الذهبى عام ١٩٥٨ ، ووسام
كومانودور (النجمة) عام ١٩٥٦ ، وإيطاليا
منحتة وسام كومانودور (الاستحقاق) عام
١٩٦٠ ، وحصل من مصر على وسام الاستحقاق
من الطبقة الأولى عام ١٩٦٨ ، وميدالية التقدير
من بطريق الأقباط الأرثوذكس عام ١٩٦٨ ،
ووسام التقدير من بابا روما عام ١٩٦٨ .

مؤلفات أستاذاً :

وبلغت مؤلفات الأستاذ الدكتور مراد

صلة الأدب الحبشي بالأدب القبطي، ألفى : لون من اشعر الحبشي - محاولة لدراسة أوزانه ، ضميمه ربحان حديقة جوته ، تاريخ الادب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامى بالاشتراك مع الدكتور محمد حمدي البكري والدكتورة زكية رشدي ، لحن إيريس ، بين النيل والفرات ، أحداث من كردفان ، قصة سليمان وملكة سبأ كما يرويها أهل الحبشة ، تاريخ الادب العربى لسكارل بروكلمان الجزء الأول - نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار مراجعة الدكتور مراد كامل ، قصص سودانية ، أبو عمرو الشيباني .

٣ - دراسة المخطوطات وتحقيقها :

اهتم الدكتور مراد بدراسة المخطوطات وتحقيقها ، وقد نشر بعضها منها بمفرده والبعض الآخر بالاشتراك ومنها : د بيت الحكمة ، للمأمون - مخطوط محفوظ بمكتبة الجامعة المصرية تحت رقم ٩١٠٩ عدد الصفحات ٧٨ ؛ مخطوطات الاغسطية الجديدة ، المخطوطات الاثيوبية بسيينا ؛ تاريخ اليهود ليوسف بن جوربون ؛ تعليق وإضافة للدكتور مراد كامل ، سيرة الحبشة للأحمى الحسن بن أحمد - الطبعة الأولى والثانية ؛ الكون الخطية بدير سانت كاترين بطور سيناء ؛ تشریف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر تحقيق

٤ - علم المخطوطات :

وهنا نذكر بعضها ككتب :
الكتابات الاثيوبية ، الكتابات المختلفة التي

كتب باللغة الاثيوبية ، اللغات الشرقية في مؤتمر المستشرقين بباريس ، بحثان في اللغة العربية جنوب السودان (في الجنوب) ، بحثان عن بعض المصطلحات الفنية في اللغة الامهرية ، نصوص فرنسية مختارة ، اللغة الدولية والسلام العالمى ، الفعل الرباعى في اللغات السامية الحية الفلسفة اللغوية والالفاظ اللغوية لجورجى زيدان (مراجعة وتعليق ١٨٢ صفحة) اللغة والمجتمع العربى ، الكلمات الفارسية فى العربية القديمة ، اللغة العربية كائن حتى تعليق ومراجعة ، اللغة والاصطلاح ، لغات النقوش العربية الشمالية وصلتها باللغة العربية فى البحوث والمحاضرات ، تعال معى تتعلم الالمانية . العلماء الإبطاليون والدراسات العربية ، دلالة الالفاظ العربية وتطورها ، بحثان عن : اللغة العربية لغة عالميه ، علم الاصوات - نشأته وتطوره ، العلماء الألمان والدراسات العربية ، ملاحظات على الاوزان العربية القديمة للمستشرق يوهن فك نقلها إلى العربية الدكتور مراد كامل . بحثان عن : حاجة العالم إلى لغة عربية فصحة بسيطة ، الكلمات القبطية في اللغة العربية الدارجة اللهجات . الحديث في الين ؛ تربع الفعل الثلاثى في العربية وأخواتها من اللغات السامية .

٢ - الادب العالمية

نشر سيادته حوالى ثمانية عشر بحثا عن الآداب وبخاصة آداب اللغة العربية ومن أمثلة ما نشر : الزندقة عند بشار بن برد ، وبيت الحكمة ، للمأمون ، الادب المصرى في نظر المستشرقين

القبطى؛ الخمس مدن الغربية؛ العلاقات بين الكنيسة المصرية والآثيوبية.

٨ — تاريخ وحضارة الشرق :

كنوز الفاطميين للدكتور زكى محمد حسن — نقد كتبه بالألمانية المستشرق كالا — نقله إلى العربية الدكتور مراد كامل ، بحثان عن التقويم الآثيوبى ، مقالان عن الفلاسفة الآثيوبيين فى القرن السابع عشر ، مقالان عن « عامان فى الحبشة » ، مقالان عن إريتريا — مشاهدات وآمال فى هضبات الحبشة ، فى بلاد النجاشى ، مشروع بحيرة تانا ، هل المصرى سبة ، بلاد النجاشى ، فاسيلا داسى نجاشى الحبشة ، نظام الطرق فى بلاد الشرق القديم ، روائع مدفونة فى اليمن ، الحبشة بين القديم والحديث ، الألعاب الرياضية عند قدماء المصريين ، المجتمع العربى قبل الاسلام ، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية تأليف الكسندر شارف — ترجمة الأستاذ الدكتور عبد المنعم أبوبكر ومراجعة الدكتور مراد كامل ، فلسطين بين يدى التاريخ ، الاستعمار الإفريقى للدكتور زاهر رياض — نقد الدكتور مراد كامل ، بين العرب والهند قديماً ، تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى) . المجلد الثانى ٣ و ٤ من ديوة ليدانوس إلى دخول العرب ، الرمز فى الكيمياء عند العرب ؛ مركز المرأة فى مصر ، حضارة مصر فى العصر القبطى .

٩ — سير العلماء :

كان أستاذى يذكر أصدقائه بكل خير ،

عثر عليها فى سيناء ، خط القرمة فى المصرية .

٥ — البرديات والنقوش وشواهد القبور

والاوستراكا (الشقف) :

خطابات آرامية وجدت فى تونة الجبل المقال نشر بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور مامى جبره ملاحظات على الأوراق الآرامية المكتشفة فى هرموبوليس ، وثيقة آرامية على الجلد من القرن الخامس ق . م ، المكتشفات الآرامية الأخيرة فى مصر ، أوستراكس يمانية ، نقش أثيوبى وجد فى مصر ؛ الأوراق الخاصة . بتونة الجبل ، خطابات لاثيوبيا من البطركيين ية نس الثامن عشر (١٧٧٠ — ١٧٩٦) ومرس الثامن (١٧٩٦ — ١٨٠٩)

٦ — الفنون القديمة والحديثة

الفن الآثيوبى ؛ فنون القبط وحضارتهم القصة المصورة فى الفن الحبشى ، الكائنات السماوية فى خيال المصورين (جلبرت هايت) ترجمة د . مراد كامل ، الفنون الشعبية السودانية أرست كونيلى : عاش للفنون الإسلامية .

٧ — الأديان

الرهبة فى الحبشة ، يوحنا النقيوسى ، الآباء الحاذقون فى العبادة الجزء الأول والثانى : تمهيد القبط فى ركب الحضارة العالمية ، المرحلة الأخيرة فى العلاقات التاريخيه بين الكنيسة القبطية المصرية والكنيسة الآثيوبية ، والقديس باسيلوس الكبير نسكياته ، قوانينه الكنسية ، مصر القبطية ، إسرائيل فى التوراة والإنجيل ، حضارة مصر

بطور سيناء ، المعجم الكبير - ١ - ، أخنى
٥١٩ صفحة ، قاموس المصطلحات العسكرية :
٢٠٠٠ كلمة إنجليزي - ألماني ، فرنسي -
عربي ، المعجم الألماني : ألماني عربي - تأليف
الأستاذ وديع فانوس مراجعة مراد كامل ،
قاموس الكتاب المقدس حرف الدال من صفحة
٣٥٥ إلى ٣٨٣ ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة :
(تأليف علي بن إسماعيل بن سيدة ، الجزء
السادس تحقيق الدكتور مراد كامل) عدد
الصفحات ٥١٦) .

* * *

واحتوت هذه البحوث على كتب ومجلدات
ضخمة كما كتبت بالعربية والألمانية والإنجليزية
والفرنسية والإيطالية واللاتينية . وسوف
تظهر جميع منشوراته بالكامل في كتاب أعد
خصيصاً لهذا الغرض .

ومن أجل كل هذه التخصصات في الميادين
المختلفة العالمية والمحلية ، والتي ظهرت في هذا العدد
الضخم من مؤلفات أستاذي ، فقد أشار إليه علماء
العالم في أمهات مراجعهم وأبحاثهم أمثال ديفر
Emil G. Kraelin ، أميل كريلينج ، C.R Driver ،
بذال بورتن Bezael Porten ، كازل ؛ H. Gazelles ،
بومان ؛ R A. Bowman ، مفس ؛ Y. Muffs ،
أندريه دويل سومير جينسبرج Ginsberg ،
بيير جرلوت pierre Grelot ، إده برشيانى
A.D nPont-Sommer Edda Bresciani ،
كورير B Guoyer ، سامى جبره S. Gabra
وكثيرون غيرهم ذكروا اسم الدكتور مراد

وكان يجب أن يكتب عنهم ، نخصص بعضاً من
أبحاثه حول هؤلاء لكي يذكرهم التاريخ
ولا ينساهم بعد أن أدوا دوراً مرموقاً لخدمة
المجتمعات الإنسانية العالمية .

نخص بالذكر منهم أساتذته وبخاصة أستاذه
الراحل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين .
كما كتب بحثين عن أستاذه العظيم أنوليتمان
Ennolittmann الأول تحت عنوان « أنوليتمان
١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٥ - مايو ١٩٥٨ » ،
في مجلة كلية الآداب ، والثاني عن أنوليتمان :
أستاذاً وأباً . وقد ترجم مقالا في عام ١٩٢٩
من كارلو ألفونسو نلينو تحت عنوان « المستشرق
نلينو - حياته وآثاره » ، للعلامة المستشرق
البروفسور أنوليتمان .

وسجل استاذنا الراحل عام ١٩٤٢ كلماته
في مقال عن أحد أساتذته العملاقة المعروف عالمياً
لكل من يعمل بالآثار المصرية أو باللغات
السامية - وهو إيجين متفوخ Eugen Mittwoch
(١٨٧٦ - ١٩٤٢) .

وفي عام ١٩٥٠ كتب عن كارلو كوتاني
روسيني مقالا نشر في مجلة كلية الآداب . كما دون
بحثاً عن كارل بروكلمان في عام ١٩٦٠ بالمجلة .
وفي نفس العام كتب « حياة جورج جراف »
في مجلة جمعية الآثار القبطية .

١٠ - الفهارس والمعاجم :

فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء ،
كنالوج لكل المخطوطات في دير سانت كاترين

الاجنبية وللبلاد العربية فقد قضى فترة طويلة في ألمانيا عندما كان يحضر لدرجة الدكتوراه وبعد حصوله على درجاته العلمية استمر يزور ألمانيا في كل عام مرة أو مرتين ، كما زار سيادته إنجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وإسبانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغلافيا ودوليات البلقان واليونان وإيطاليا وبولندا ورومانيا ، والنمسا وسويسرا .

وزار سيادته كذلك بعضاً من الدول الآسيوية بالإضافة إلى العديد من الدول الإفريقية أما عن البلاد العربية فقد نالت حظاً وفيراً من زيارته بسبب تخصصاته العلمية أولاً وبسبب الصداقات التي كانت تشده إليها منذ أمد طويل أما عن مصر فقد تعددت سفرياته في كل أرجائها ، فكثيراً ما كان يصحب أصدقاءه الأجانب إلى الأماكن الأثرية كمنطقة الجيزة (الأهرامات) ومنطقة سقارة وبنى حسن وملوى والاشمونين وتونة الجبل والبليتا وإدفو والأقصر شارحاً لهم تاريخ مصر القديم وآثارها ، وما يحتويه هذا التاريخ وهذه الحضارة من عظمة الأجداد .

كما زار دير سانت كاترين والأديرة القبطية والكاثوليكية التي بوادى النيل .

وهكذا تعددت أسفار أستاذى إلى معظم قارات العالم ، إما طالباً لعلم أو كأستاذ زائر أو بحثاً عن المخطوطات القديمة أو لإلقاء محاضرات في فروع تخصصاته .

كانت حياته حافلة بالشيء الكثير : فلم يضع دقيقة واحدة من عمره إلا وقد صرفها فيما يفيد .

كامل ، وكنته كمرجع أساسى لا يستغنى عنه باحث أو مؤلف . وجاءت تلميحاتهم عنه كالآتي : « انظر كامل » ، « حسبما يقول كامل » ، « تبعاً لكامل » أو تأتي عبارتهم بصورة أخرى :

« إن البحث الرائع الذى كتبه كامل ... إن الكتاب الممتاز الذى ألفه كامل ... » ، « إن المقال العميق الذى نشره كامل ... » وغير هذا كثير من مثل هذه العبارات التى تشهد لأستاذى أنه حقاً كان أحد أساطين العلم في عصره .

وليس هذا بغريب على أستاذى الفاضل مراد كامل الذى تتلمذ على يد نخبة ممتازة من العلماء في مصر فنحصر بالذكر منهم الأستاذ الدكتور عميد الأدب طه حسين ، كما تتلمذ على يد فئة من الأساتذة الأجانب وصلت إلى قمة العلم في عصرهم ومنهم : « ثرنولد Th. Arnold » ، « برجسترسن Bergstrassen » ، « جودى M. Juidi » ، « نلينو (C.A, Nallino) » ، « إنوليتمان (Ennolittmann) » ، « تشخت Schacht » ، « تشيدر Schaeder »

وعندما أوفدته جامعة القاهرة في بعثة علمية تتلمذ على يد عدد آخر من العلماء المشهورين في الساميات والمصريات منهم :

« إنوليتمان Ennolittmann » ، « متفخ E. Mittwoch » ، « تشيدر Schaeder » ، « ميلسر Neissner » ، « زيتة Sethe » ، « جرابو GraPow » ، « هب Heepe » ، « تشلوبيز Schlobies » ، « وسترمان westermann » .

أسفاره ورحلاته :
وتعددت أسفار الدكتور مراد للدول

علاقته بالكنيسة القبطية .

إن تخصصات الدكتور مراد كامل وبخاصة في اللغة العبرية والسريانية والآثيوبية والقبطية بلهجتها قد شددت انتباهه إلى دراسة الكتاب المقدس ، فتدريسه ، فتأليف عنه وعن شعوبه ، وساعدت هذه كلها إلى أن يمتد نشاط سيادته ليعمل بكل جهد وقوة في كنيسته ، وبالذات عندما سافر إلى أثيوبيا وعمل فيها كاستشار في لوزارة المعارف الآثيوبية فأخذ على عاتقه أن يتم بالعلاقات السائدة بين الكنيسيتين ، الكنيسة القبطية الأم ، والكنيسة الآثيوبية ، وبعد أن عاد من الحبشة اشترك في أكثر من هيئة وأكثر من لجنة كنسية وعمل جاهدا أن يؤلف عن الكنيسة فظهر له العديد من الكتب في هذا المجال . وجهه لكنيسته دفعه أن يتم بالتراث القبطي الذي انحدر عن المصريين القدماء ، فخصص له وقتا غير قليل من التأليف والنشر ، كما ساعد على أن يكون واحدا من الرواد الأوائل ، الذين عملوا بكلهمة لتأسيس معهد الدراسات القبطية ، والذي أصبح وكيلا له . ومن أجل مجهوداته غير المحدودة وعلو قامته اختير بالإجماع لكي يكون وكيلا لجمعية الآثار القبطية بالقاهرة ، فعمل مع المستوئين في الجمعية حتى وصل مستواها إلى أعلى المستويات العالمية في الحفائر والبحث والتنقيب عن الآثار القبطية في وادي النيل ، وأصبحت مجلة الجمعية المرآة التي يرى فيها العلماء الأجانب قيمتها الفريدة . إذ أنها هي المجلة الوحيدة التي تصدر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية في جميع أنحاء الشرق والعالم أجمع ،

والتي تتناول هذا للتراث الخالد بالبحث والدراسة .

ولرفع مستوى الكلية الإكليريكية من الناحية العلمية ، ولكي لا تقتصر دراستها لطلابها على المستوى الديني ، اختير لها أساتذة علماء من هيئة التدريس بالجامعات المصرية ، وعلى رأسهم الاستاذ الدكتور مراد كامل ، الذي عمل مع غيره لرفع مستوى الكلية الإكليريكية حتى غدت كمستوى الكليات في جامعاتنا المصرية ، وكان رحمه الله يقبل العمل في كل هذه الهيئات القبطية متطوعا .

وقد امتد هذا النشاط الديني العلمي إلى باقي الكنائس الشرقية الكاثوليكية والبروتستانتية فأشركوه في كثير من أنشطتهم ، وأصبح على علاقة قوية وصداقة متينة بالكثيرين من رؤساء هذه الكنائس حتى إن بابا الكرازة المرقسية منحه وساما ، كما أن بابا رومانيا منحه وساما تقديرا لخدماته واعترافا بأفضاله .

مكتبته :

وقد أنشأ الدكتور مراد كامل مكتبة ضخمة بلغت عشرين ألف كتاب في مدى خمسين عاما . وكان كريم النفس عندما أوصى قبل وفاته بهام واحد أن توهب المكتبة إلى بطريركية الأقباط الأرثوذكس ، وقد استلمتها البطريركية فعلا بعد انتقال الدكتور مراد بيومين إلى جوار الله .

ونصت الوصية أن تحفظ المكتبة في دواليها وأن يخصص لها قاعة كبيرة باسم صاحب المكتبة . وأن يصرف عليها من مؤلفات الدكتور مراد التي تطلع للمرة بعد المرة ، لكي تزود دائما

وسير الأشخاص والعلاقات بين الشعوب وعلم
الخطوط وكتبه المئات التي نشرت عن البردي
والأوستراكا ، والقواميس المتعلقة باللغات القديمة
والحديث على السواء .

ووجد أعداد هائلة من المجلات العلمية
والدينية والاجتماعية .

ما كتب عنه :

وكتب عن الدكتور كامل في حياته وبعد
مئاته كثيرون ، فقد كان أستاذنا معروفا عالميا
لعدد غير قليل من علماء العالم ، كما كان معروفا
للآلاف من أفراد شعبنا الكريم . والذين
كتبوا عنه من علماء العالم كانوا من زملائه الذين
تخصصوا في دراساته وعرفوا قدره .

أما بعد انتقاله ، فقد كتب الأستاذ أنطون
سيدهم بحريدة وطني الصادرة ١٩٧٥/١/١٩ كلمة
رقية أقتبس بعض كلماتها :

« فقدت مصر هذا الأسبوع ابنا بارا من
أبنائها الذين أدوا واجهم بإخلاص وأمانة .
وصدق لزام الوطن .. فقد اختار الله إلى جواره
المغفور له الأستاذ مراد كامل ، العالم ، الفيلسوف
الباحث ، بعد حياة حافلة بجلالات الأعمال في
مختلف مجالات الفكر ، والأدب ، والتاريخ ،
واللغات .

لقد كان رحمه الله موهوبا لا يضن بعلمه ،
بل يقدمه لخدمة وطنه مصر ، وللإنسانية
جميعها بسخاء يؤكد أصالة وعلو كعبه في كل
مجال تناوله بالبحث البناء ، بالعمل الدائب المثمر

بالكتب التي تصدر حذما وفي نفس تخصصاته .

فقد تعاون نيافة الحبر الجليل الأنبا صموئيل
أسقف الخدمات العامة مع الأستاذ جرجس
كامل وجمعا كتب الدكتور مراد في صناديق
ضخمة بلغت أكثر من ستين صندوقا ، وحفظت
كما هي لمدة أيام في مكتبة الكلية الإكليريكية .

وقد اهتم حضرة صاحب القداسة البابا
المعظم الأنبا شنودة الثالث بالمكتبة اهتماما عظيما
لندرة الكتب التي تحتويها وعملا بوصية صاحبها
فأفرد قاعة كبيرة في المبنى المقابل للكاتدرائية
الجديدة ، وأشرف على ترتيب المكتبة بنفسه كما
كانت في منزل صاحبها ، ووضعها في القاعة المعدة
لذلك ، وبدأ قداسته في تعيين نخبة ممتازة من
الأمم لعمل فهرس وكرتات ، وزين المكتبة
بصور صاحبها وشهاداته وأسمته التي كان قد
حصل عليها في حياته كما زودها بما تحتاج إليه
من خزائن ومناضد الدرس ، وقد أعجب كل
من زار المكتبة من المصريين والأجانب على
السواء للمكان المعد لها وللكنوز التي بالمكتبة .

وجاءت المكتبة متنوعة في موضوعاتها كنوع
صاحبها في علمه فشملت كتب اللغة وبخاصة اللغة
العربية والسامية وآدابها ، والخطوط التي كتبت
في عصور مختلفة ، وكتب عن تاريخ الشرق
وحضارته . ولاهتمام صاحب المكتبة بإفريقية فقد
حظيت المكتبة بمجموعة ضخمة من الكتب
الإفريقية أما الكتب الدينية فوجد منها الكثير .

وفي المكتبة عدد ضخم من كتب الفنون

وبالفكر العميق الجاد .

وقد عرفت المحافل الدولية مكانته العلمية الرفيعة ووقفت على قدرته الفذة في البحث العلمى المستند إلى الحقائق فأقبلت على إنتاجه تهل منه ما يمد أمامها الطريق ، وهى تقوم ببحوثها في مختلف مجالات الفكر .

وانعكس أثر هذا الاهتمام الدولى فى الجامعات الأوروبية والأمريكية ، فاستعانت بمؤلفاته الكثيرة التى تجاوزت المائة، فى بحوثها التى تسعى للاستفادة بالماضى من أجل الحاضر ، والاستفادة بالحاضر من أجل مستقبل زاهر يظل البشرية بسعادة ، وخير ، وطمأنينة ، وسلام ..

وقد اعتمدت الدراسات اللغوية عليه اعتمادا كبيرا ، كما اعتمدت دراسات تراثنا الفرعونى والعربى على إبداءه العبقري .

هذا بالإضافة إلى أنه - رحمه الله - كان أول عميد لكلية الآلسن فى مصر ، ثم شغل بعد ذلك منصب رئيس قسم اللغات السامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

وبما نعيه ذاكرتى ويذكره الكثيرون أيضا أن الحكومة الأثيوبية قد استعانت به فى تنظيم وزارة التعليم بها وإعداد برامج الدراسة فى مدارسها المختلفة .

وأدى الفقيد الكريم خدمات جليلة للكنيسة القبطية ، فقد كان مرجعا رئيسيا ورائدا تعتمد عليه فى البحوث والدراسات .

كان الفقيد العظيم فى الحقيقة أستاذا ،

وعالما . كان صاحب قلم وفكر ودين ... كان مصريا قوميا .. محبا لبلده .. لأمته .. لهروبه . كان صديقا عزيزا يحب صديقه ويتمنى له الخير دائما ، لقد ترك وراءه الآلاف من تلاميذه ومحبيه ومريديه .. فى الجنة الخلد .. رحمه الله ، وطيب ذكراه .

وكتب الأستاذ فريد عبد السيد بحريدة وطنى الصادرة فى ١٩/١/١٩٧٥ عن أستاذنا الراحل كلمة رائعة حلال فيها سيادته جوانب عدة من التى كانت للدكتور مراد كامل . وهذه بعض فقرات مما جاء فيها :

« فقدت مصر عالما جليلا ومفكرا عظيما ، نذر حياته من أجل الثقافة واللغات والفكر أكثر من ٥٠ عاما . فقدت مصر الدكتور مراد كامل ، الذى أجاد أكثر من ٤٠ لغة ، وقدم أكثر من ١٧٠ كتابا وبحثا ، وكان عطاءه الفكرى جزيلا فى جامعات مصر والخارج ، فاختير عضوا فى أكبر هيئة علمية فى العالم ، هى هيئة الترشيح لجائزة نوبل للسلام العالمى فى تاريخ الأدب واللغة ، واختارته جامعة فرايبورج بألمانيا بعد انتهاء خدمته الرسمية بمصر أستاذا مدى الحياة » .

كما نعاه الأستاذ كان المالاخ فى جريدة الأهرام بالكلمات الآتية :

« فقدت مصر أمس عالما كبيرا من علمائها هو د . مراد كامل عضو الجمع اللغوى والوحيد

لقد ترك عالم الغرب وعاد إلى مصر ، ولكن ما هي إلا بضعة أشهر قضاها بيننا حتى انتقل إلى جوار ربه بعد مرض لازمه أربعين يوما ، وفى هذه الفترة القصيرة زاره فيها أهله وأصدقائه وعارفوه وطلابه ، وكانت بمثابة توديعهم له الوداع الأخير ، وهكذا تحققت لإحدى رغبات أستاذى وإحدى أمنائه وأن يدفن فى تراب مصر .

أستاذى الخالد :

أشرقت شمسك بنور المعرفة على القريب والبعيد ، فأنت عملاق سموت فى علمك ، تألقت فربطت بين الحضارات قديمها وحديثها ، فكنت خير سفير لمصر فى المجال العالمى . كنت لى وللكثيرين أبا روحيا ، ومعلما ، وموجها « ورائدا » . ولن أنسى مدى الحياة ، ما قدمت لى ، فى محبة خالصة وأبوة صادقة . لك الخلود ولنا العزاء .

وإن كانت شمسك قد غربت ، فالجنة مثوا أعمالك العديدة ستخلد ذكراك ، بين الخالدين ، ومحبيك وعارفى فضلك .

فى الشرق العربى الذى يجيد . ٤ لغة ، بينها اللغة الاميرية ، وهو أحد خبائها العالميين .

توفى د . مراد كامل (٦٨ سنة) فى المستشفى بعد مرض لازمه شهرا .

حبه لوطنه « مصر »

أمنية ردها الاستاذ الدكتور مراد كامل وهو أن يدفن فى تراب مصر ، مصر التى أحبها كل الحب وكرس حياته بأكملها من أجل خدمتها وخدمة أبنائها ؛ فتدريسه فى الجامعة ومؤلفاته الخالدة وأسفاره والمؤتمرات الدولية التى اشترك فيها والهيئات العالمية التى كان عضوا بها ، كل هذا أشعر العالم أجمع بمدى الخسارة الفادحة التى خسرتها مصر والعالم بانتقال الدكتور مراد إلى جوار ربه .

لقد أحب أستاذى مصر حتى إنه لم يكن يتصور أن يعيش بعيدا عنها مدة طويلة، وعندما وصله خطاب الجامعة منذ عام لى يقوم بالتدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، سر كثيرا جدا، وكان فى منتهى السعادة أن يعود إلى مصر ليواصل كفاحه فى بلاده ويعيش بين طلابه وأصدقائه وعارفيه ومقدرى علمه ،

رثاء الدكتور طه حسين

للدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| ولا نثر أسلس من نثره | نوى الحبر طه لدى ربه |
| وسهل الكلام سوى صعبه | وخلفه الله في حربه |
| وبالعلم قد ورث الأنبياء | وكان لعمري عديم النظير |
| والفن كان رحي قطبه | ومنذا الذي كان من مربه! |
| وكان كميلاً بإيمانه | وكان شجاعاً وكان جريثاً |
| وشاهد ذلك في قلبه | وكان ذكياً وأعظم به |
| وقد كان حراً بتفكيره | وأسلوبه يسحر القارئ |
| ومتقد الحس في خصبه | ويخلص للمرء في لبسه |
| وكان الطواغيت قد راعها | شغفنا به في زمان الصبا |
| بثورته وسنا شهبه | وذقنا التذوق من عذبه |
| ولم يكن الزيف من دهره | وقد كان فذاً وجيلاً بنى |
| ولا ملق الناس من طبه | بما قرأ الناس من كتبه |
| يشع عليك بإشراقه | وكم قلد الناس أسلوبه |
| مهيوب الجلالة في قربه | ومنذا يطول إلى هضبه |
| لطف الدعاة حلو الحدي | وينساب مثل انسياباته |
| س، وسل في الخطابة عن خطبه | وينهل مثل حيا سحبه |
| تدقعه وندي صوته | وقد نال شدة أسر القديم |
| واسماحه وقوى جسديه | وكان الحديد إلى جنبه |

وقد زرت مصر رجاء اتصال
 به وانتساب إلى رُحبه
 ونوه بني بين أهل الحجا
 أَيْجِزِيه عَنى سوى ربّه ١٩
 وعاداك قومٌ بإحسانه
 إليك وراموا إلى ثلبه
 وقد كان طه كثير الحياء
 رقيق العبارة في عتبه
 ويُعْرِضُ إعراض حلم الكريد
 سم عمن يريد إلى سبه
 ويسم حتى ضياء البصير
 قَ تبصره العين من صوبه
 وقد كان ملتزما بالوفاء
 وحسن الثناء على صحبه
 وكان حبيباً إلى شعبه
 ويأوى الأديب إلى شعبه
 وأحزنتى الناس لما نعوه
 إلى ومجدى من سبه
 يعيبونى حين أثنى على
 بخير ، أفضلى من ذنبه ١٩

فصاحة سَحْبَانٍ فى سمته
 وقسّ الإيادى فى ثوبه
 وأحيا لنا الجاحظَ العبقرى
 بإبداعه ومدى وثبه
 ومثل المعرّى لـكنه
 أضاف إلى الشرق من غربه
 وراد لنا نهضة لا نزا
 ل نسلك فيها على دربه
 عرفنا به الأدب الجاهلى
 وصدق الرواية من كذبه
 وعلمنا فهم نهج الجزا
 لة حتى ثبتنا على حبه
 قرأنا تصانيفه فاستفدنا
 بعب الشلالة من شربه
 ونحن بها من تلاميذه
 وأى أولى الفضل لم تسبه
 وقد كان بعد شديد المرا
 س مُرَّ الشكيمة فى حربه
 كذاك يكون الأديب الأصيل
 ل الذى طلب الحق من دأبه

وإنّ دموعى هذا القريض
ولست أفترُّ من سكبهِ
وأطربه حين أنشدته
قريضى وهشّ إلى ضربه
وقد قال : إنَّك أشعر مما
تظنّ كثيراً ولم أنبهِ
وأثنى على الثناء الذى
يموت عدوى من غبّه
فلا تأسّ قلباً على حاسدٍ
يعيبُ وذلك من عيبهِ
وحسبك طه وإقباله
عليك وكان فتى عُرِبَهِ

وفى جَنَّةِ النّفر الصّالحية
من مضجَع طه لدى ربّه
فجّادت ترى قبره رحمة
وسحّ رضا الله فى تربه
عقيلة طه فلا تحزنى
فإنَّك شاركتِ فى كسبه
بِحُبِّكَ إِيَّاهُ قد كان طه
مع الفنّ يأمنُ فى سيره
فذاك عزاء ، وكلّ الورى
يسوقهمُ الموتُ فى ركبهِ



أمين جديد للمجمع :

انتخب مجلس المجمع بجلسته المنعقدة في ٣٠ / ١٢ / ١٩٧٤ الأستاذ
عبد الحميد حسن أميناً للمجمع ، وصدر القرار الوزاري باعتماد انتخابه لمدة
أربع سنوات أخرى قابلة للتجديد .

فقيها المجمع :

- فقد المجمع عضوين جليلين من أعضائه هما :
- * المرحوم الدكتور مراد كامل ، الذي توفي في ١٦ / ١ / ١٩٧٥ .
وأقام المجمع حفل تأبينه في ٢٦ / ٣ / ١٩٧٥ ، والكلمات منبثة في هذا
الجزء من المجلة .
- * والمغفور له صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج الذي توفي
في ١٣ / ٤ / ١٩٧٥ .
وسُردت الكلمات التي ستلقى في حفل تأبينه بالجزء القادم من المجلة .

أعضاء جدد :

- انتخب مجلس المجمع بجلسته التي عقدها في ١٦ / ٢ / ١٩٧٤ ثلاثة
أعضاء جدد ، هم السادة :
- * الأستاذ بدر الدين أبو غازي في المكان الذي خلا بوفاة المغفور له
الأستاذ محمود تيمور .
- * الدكتور محمد يوسف حسن في المكان الذي خلا بوفاة المغفور له
الدكتور طه حسين .
- * الدكتور محمود مختار في المكان الذي خلا بوفاة المغفور له
الأستاذ علي السباعي .
- وأقام المجمع حفل استقبالهم في ٢٠ / ٢ / ١٩٧٥ ، والكلمات منبثة
بهذا الجزء من المجلة .

خبراء جدد :

- قرر مجلس المجمع اختيار بعض الخبراء الجدد للجان المجمع ، وهم السادة :
- * الدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة
العربية بجامعة الأزهر (للجنة الأصول) .
- * الدكتور محمد الهادي عفيفي عميد كلية التربية بجامعة عين شمس
(للجنة التربية وعلم النفس) .

- * الدكتور رأفت كامل واصف رئيس قسم الفيزيكا بكلية العلوم بجامعة الأزهر (للجنة الفيزيكا)
- * الدكتور محمد سالم الجرح الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم (للجنة المعجم الكبير) .
- * الدكتور على كامل المدير العام السابق للفنون الجميلة (للجنة الفنون) .
- * الأستاذ أحمد كامل مرسى الخرج السينمائي (للجنة الفنون) .

صلاات المجمع الثقافية :

** ورد إلى المجمع رسالة من الأستاذ محمد الحسن الداغستاني (من دمشق) تتضمن استنباط حروف عربية جديدة ، لتيسير الكتابة العربية ، ومرفق برسالته بعض النسخ المصورة لبحثه . وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ٦ / ١ / ١٩٧٥ إحالتها على لجنة تيسير الكتابة العربية ، لنظرها وإبداء الرأي فيها . ثم أرسل نماذج أخرى لمشروعه ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ٧ / ٤ / ١٩٧٥ إحالتها أيضاً على لجنة تيسير الكتابة العربية .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور محمد حلمي مراد مدير مشروع الأمم المتحدة الإقليمي للمالية العامة والإدارة «بيروت» طالباً إبداء الرأي في الدليل الموجز للمصطلحات المالية العامة باللغتين العربية والإنجليزية ، الذي يعده ليكون في متناول المشتركين في برامج التدريبية ، لتعريفهم بالمصطلحات المطلوبة ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ٢٠ / ٣ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة القانون ، لنظره وإبداء الرأي فيه .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور محمد عبد العزيز محمد (طبيب العيون) مرفق به مصنف في مفردات طب العيون . فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٤ / ٤ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة الطب ، لنظره وإبداء الرأي فيه .

** ورد إلى المجمع كتاب من الدكتور الصيدلي صبحي السبكي يتضمن بحثاً يعرض نماذج خاصة بتيسير الكتابة العربية ، فقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ٢١ / ٤ / ١٩٧٥ إحالته على لجنة تيسير الكتابة العربية ، لنظره وإبداء الرأي فيه .

